

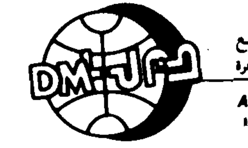
عبد الحكيم العفيفي
تاريخ الإغتيالات السياسية في مصر
• في العصور الفرعونية
• في العصور الوسطى
• في العصر الحديث
الدار المصرية اللبنانية



تاريخ الإغتيالات السياسية
في مصر

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت – تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ – ٣٩٣٦٧٤٣ – فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ – برقياً: دار شادو – ص.ب: ٢٠٢٢ – القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH

PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

عبد الحكيم العفيفى

تاريخ الاغتيالات السياسية في مصر

- في العصور الفرعونية
- في العصور الوسطى
- في العصر الحديث

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمـــة

منذ أن أخذت التجمعات البشرية الأولى تظهر فى التاريخ لأول مرة ، أخذت المعركة تتضح وتتبلور بين الخير والشر . . وذلك لأن البشر الذين عاشوا قبل ذلك لم يكن ثمة فيما بينهم دساتير تحمى الحقوق وتصون الشرعية وتحدد الواجبات . فكان القوى يحطم الضعيف وينهب ما يملكه من أرض وخيرات ومعدات دون وازع من ضمير أو أخلاق أو احترام للحياة البشرية .

وعندما ظهر الضمير الإنسانى تفتحت بصيرة الناس ونظروا فى حاجاتهم للأخلاق التى ترعى حقوق الضعفاء والفقراء ، وتكبح فى ذات الوقت من رغائب نفوس الأشرار والقتلة وتحد من تطلعاتهم العدوانية الشريرة .

وبتنامى النزعات الأخلاقية أنبثقت المجتمعات الأولى المتحضرة ، واستقرت بعد تجارب وخبرات مريرة قاسية لا حصر لها . . فظهرت الابداعات البشرية ، وتراكمت الثروة والإمكانات والمعارف ، فشيد الإنسان حضارات مشرقة لازالت آثارها الأخلاقية والفنية والعلمية باقية بيننا وحولنا حتى يومنا هذا .

ولكن حتى مع ظهور تلك الحضارات القديمة الرائدة فلم تتوقف المعركة بين الخير والشر وبين الأخيار والأشرار . . وذلك لأن البشر ليسوا جميعاً أسوياء . وعندما يظهر الأشرار ويتجمعون في أى مجتمع أو أى عصر فلنا أن نتيقن من أن الأخيار سيعانون . . فالمعركة دائماً تبدأ باعتداء الأشرار على الأخيار ، وذلك لأن الشرير من الناس حتى وإن بدى لنا متمتعاً ببعض مظاهر القوة ، إلا أنه ضعيف من الداخل . . فضعفه الداخلى المستتر أقوى من قوته الظاهرة . . وضعفه الداخلى

وعدم اكتمال ذاته يجعله يبحث عن وسيلة يغطى بها ضعفه وعدم سواءه ، فيقوم بالاعتداء على الخيرين من الناس لكى يحس أنه ليس وحده الذى يعانى من عدم الاكتمال ، وكأن لسان حاله يقول له : (إنهم كذلك يعانون) . . أو (انهم كذلك يتألمون) . . وإذا ما تمتع إنسان بإيقاع الألم على الآخرين فلنا أن نصفه بعدم السواء والتطرف فى السلوك . وإذا ما استمر ذلك المتطرف فى اعتداءاته فقد هبط بنفسه إلى الدرك الأسفل من الغى والضلال والانحراف وسوء العاقبة ، وابتعد فى ذات الوقت عن الاعتدال والفضيلة والصلاح .

ولقد شاهدنا على مر حقب التاريخ كيف أن الأشرار لا يتورعون عن ارتكاب كل الموبقات والجرائم ، حتى استحلوا لأنفسهم قتل الأنبياء والصالحين والأبرياء من الناس ، وقد استمر ذلك منهم حتى بعد أن اختتم الله بفضله ورحمته الرسالات الكريمة التى تحث على احترام الحياة البشرية واحترام مشيئة خالقها وحافظها ومالكها . ولكن الذين ضل سعيهم فى الحياة وخضعوا لرغائب نفوسهم وأحاطوا قلوبهم بالأوهام لا يبدو أنهم قد فهموا مواثيق الله وتحذيرياته ونواهيه وحقوقه .

ولو تفكر كل متطرف عدوانى فى لب الفلسفة الأخلاقية لوجد أن من يؤمنون بالتطرف قلة أمام من يؤمنون بالخير والاعتدال . . ويدلنا على ذلك تاريخ الصراع بين الخير والشر والذى ينتهى فيه الأمر دائماً ـ ولو طال الزمن ـ بدحر الأشرار وانتصار الأخيار . . ويدلنا فيه كذلك تطور الحياة الإنسانية إلى الأفضل والأرقى . . وكان من العسير أن يتم ذلك لولا فوز الأخيار بمعركة البقاء .

فالاشرار المتطرفون يمثلون مصلحة خاصة محدودة على العكس من الأخيار المعتدلين المسالمين الذين يمثلون مصلحة عامة أصيلة واسعة غير محدودة . . ولما كانت المصلحة الخاصة مضادة للمصلحة العامة فالمتطرفون (الذين يؤمنون بالعنف ويرفضون الحوار العقلى) خارجون عن الشرعية . . وكل خروج عن الشرعية باطل لا يجب السماح به .

ولما كان التطرف العدوانى مظهرا وعرضا . . والاعتدال أصلا وحقيقة فإن كل عرض مصيره إلى التبدل والزوال . . أما الحقائق فباقية لا تتبدل ولا تزول . كذلك لما كان التطرف العدوانى ناقصا والاعتدال كاملا يكون الأول ـ منطقياً ـ فى حاجة

إلى الاندماج مع الثانى (لأن الناقص فى اشتياق دائم لصفات الكمال) . . ومحال أن يتأتى ذلك بدون تخلص التطرف من صفاته العدوانية لينال مطلبه .

ولهذا ، فالإنسان لكى ينصلح فكره ويستقيم عقله يجب ألاّ ينخدع أمام أية مسميات أو أوهام يروجها المتطرفون العدوانيون . . ولكن عليه أن يرجع إلى أصول الحكمة (التى هى أرقى مراتب العقل) فيختار الحق دون الباطل ، والصدق دون الكذب ، والتواضع دون الكبر والخير دون الشر ، والعلم دون الجهل ، والاعتدال دون التطرف والعنف والجريمة . . فإنه إذا ما اختار كل ثمين وترك كل غث سما بنفسه إلى معارج العلى .

* * *

إن هذا الكتاب موجه أساساً للشباب المصرى الذى يود معرفة تاريخ الاغتيالات السياسة فى مصر عبر العصور التاريخية المختلفة وهو مقسم إلى عدة فصول تشمل أهم عصور التاريخ المصرى منذ القدم ومروراً بالعصور الوسطى فالعصر الحديث وحتى التاريخ المعاصر . وسيجد القارىء كذلك معلومات تحليلية عن ظاهرة الاغتيال السياسى فى العالم وعلاقتها بالثورة ، والانتفاضة الشعبية ، والانقلاب العسكرى وذلك ليتسنى له معرفة أن حجم جريمة الاغتيال السياسى هى أقل أعمال العنف السياسية التى تظهر فى المجتمعات أثراً .

وستتناول فصول أخرى من الكتاب شرح عقائد القائمين بجريمة الاغتيال ، وأسباب قيامهم بها ، وهل المجتمع المصرى يشجع قيام واستمرار تلك الجريمة أم أن أغلب المصريين يرفضونها ويذمونها ويستنكرونها ، وما هو - إذن - مستقبل الجماعات المتطرفة التى لا ترى غير العنف والجريمة بديلا للحوار والتفاهم .

وسوف يلاحظ القارىء بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك حقيقة محورية هامة تظهر من متابعة الأحداث فى كل العصور التاريخية التى عاشتها مصر وهى أن المصريين على مدى القرون الطويلة الممتدة المتعاقبة التى عاشوها لم يكونوا أبدا من المؤمنين بالعنف والقتل بل على العكس مالوا ولازالوا إلى السلام والأمن واحترام حياة الآخرين .

فبالرغم من ظهور أحداث اغتيالات سياسة فى كل العصور التى عاشها المصريون إلا أن التاريخ الذى دونت كتبه كل تلك الأحداث لم يظهر أن المصريين يحبذون سفك الدماء . فعلى مدى التاريخ الفرعونى الذى استمر أكثر من ثلاثة آلاف عام لم تذكر كتب التاريخ أن مصرياً اشترك مع عصابة لقتل الملك أو الفرعون . . وعلى مدى التاريخ الأموى والعباسى والطولونى والإخشيدى والفاطمى والأيوبى والمملوكى والعثمانى ، وهى كلهاعصور حُكم فيها المصريون بحكم غير مصرى ، كانت أحداث الاغتيال السياسى تحدث من فئات غير مصرية تتصارع مع من حكموا مصر والذين كانوا هم أيضا غير مصريين !

وفى عصر محمد على الذى وقعت فيه أكبر عملية اغتيال سياسى فى مجمل التاريخ المصرى وهى مذبحة القلعة لم يكن محمد على مصرياً ولم يكن ضحاياه من المماليك مصريين .

وبعد ذلك . . ولسوء الحكم العثمانى التركى وفساده (وهو المسئول عن الكثير من صور التخلف الموجودة بمصر الآن) خضعت البلاد لحكم المستعمر الأوروبى الممتد البغيض لأول مرة فى التاريخ منذ دخول الإسلام . . فأخذ المستعمر يرسخ تخلف الحياة فى مصر بمساعدة أحفاد محمد على . . فانتشرت المفاسد والمخازى والمظالم التى انعكست على صورة السلبيات فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلى أن قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ لتنهى حكم وتحكم كل من هو غير مصرى على أرض مصر . ومع ذلك أصبحت مصر عرضة للمؤامرات الدولية التى تحاك لها علناً أو تستراً . . فاعداء مصر من الشرق أو من الغرب يعلمون قوتها وحجمها ووزنها الحضارى والسياسى . . ومن السذاجة تصور أن الأعداء لا يكيدون لمصر كيداً ولا يحاولون زعزعة الاستقرار فيها بصفة مباشرة أو غير مباشرة .

إن أكبر وأمجد وأشرف الأعمال التى يقدمها الشباب المصرى لبلده حكاماً ومحكومين هو احترامه لدستورها وقانونها . . وأن يؤمن إيماناً لا تشوبه شائبة أنه ينتمى لبلد عريق يحب السلام ويكره العنف . . وأن يرفض بقلمه ولسانه وسلوكه كل أنواع العنف والتطرف لأنه بذلك يساعد على استقرار بلده ورفاهيتها وقوتها .

فلابد إذن أن تتضافر كل الجهود وتتوحد كل الصفوف ويتعاون كل الخيرين من أجل وقف العنف والتطرف والجريمة السياسية فى مصر .

وإنى على أمل أن يحقق هذا الكتاب هدفه الأساسى وهو تعريف القارىء بتاريخ ظاهرة الاغتيال السياسى فى مصر . . وأثر استمرار بعض المجرمين فى سفك دماء الأبرياء متجاهلين حقيقة هامة يكشف عنها التاريخ المصرى بكل وضوح وهى أن الاغتيال السياسى لم يكن أبداً وسيلة من وسائل إنهاء المشاكل . . ليس فقط لكونه عملاً عدوانياً إجرامياً فردياً ولكن لأنه أيضاً عمل غير شرعى وغير دستورى يرفضه بكل تأكيد التيار العام من المصريين لأسباب دينية وأخلاقية وتاريخية واضحة .

والله نسأل أن يحفظ مصر وشعبها وقادتها من كل سوء ومن كل عدوان .





الفصـــل الأول



الاغتيالات السياسية فى العالم



يقسم العالم المعاصر الآن إلى قسمين هامين : القسم الأول ويضم كافة دول العالم النامية . والقسم الثانى يضم كل دول العالم المتقدمة .

والتسميات هنا ـ فى هذا الصدد ـ عديدة فقد أطلق على الدول النامية : الدول المتخلفة ودول الجنوب ، والدول التى لا تملك ، وأطلق على الدول المتقدمة دول الشمال أو الدول التى تملك . وفى كلا الحالين فإن هذه التسميات لا تفيد كثيرا فى هذا البحث . ولكن الذى يفيد هو دراسة بنيان كل من هذين القسمين كل على حدة حتى نستطيع أن نفهم مقدار العوامل الخاصة بالتقدم أو بالتخلف على قيام فرد أو منظمة أو جماعة ما بارتكاب قتل ذى صبغة سياسية .

أولا : البنيان العام للدول المتقدمة :

* الاعتماد على العلوم وتطبيقاتها .
* زيادة مضطردة فى الرفاهية الاجتماعية .
* ارتفاع مستوى الدخل الفردى .
* سيادة الحياة الديمقراطية مع ما تعنيه من حرية الرأى والفكر ، ووجود قيادات شعبية عديدة ، وتكافؤ الفرص بين فئات المجتمع .
* انفصال الدين عن مؤسسات الحكم .
* ظهور اختلالات اجتماعية على صورة إدمان المخدرات ، والسرقات ، وجرائم القتل .

هذه كانت أهم سمات المجتمعات المتقدمة (الغربية بصفة خاصة) . . . ويلاحظ أن هذه السمات تختلط ببعضها اختلاطا شديدا وتكون محصلة ذلك الصورة العامة التى يجدها أى زائر أو مقيم أو دارس لهذه المجتمعات .

وفى الحقيقة فإن الوصول إلى درجة متقدمة من النمو السياسى والاجتماعى والاقتصادى لم تأت لهذه الدول بدون دفع ضرائب باهظة على مدى قرون ممتدة من تاريخهم . والقارىء لأى كتاب يتناول التاريخ الأوروبى أو الأمريكى يلاحظ الحال الذى كانوا يعيشون فيه ـ أو يعيش فيه أغلبهم ـ والأدب الفرنسى والانجليزى بصفة خاصة يعكس حال عامة الأفراد ووضعهم الاقتصادى والاجتماعى والصحى .

ويبدو أن مخلفات عصور الظلام فى أوروبا قد تركت بعض علاماتها المأساوية على نسيج الحياة المرفهة التى ينعم بها الناس هناك . ففى الوقت الذى يلقى المواطن الأوروبى (أو الأمريكى) أجود أنواع الخدمات الصحية والاجتماعية وأعلى دخل من دخول الأفراد فى العالم ، نراه مهددا بين الحين والحين بسرقة أو حادث عنف أو اغتصاب أو قتل يتعرض له بنفسه أو أحد ذويه .

ومع ذلك فلا تهتز أركان المجتمع من هذه الأفعال ، ولا ينحرف الحكام أو المحكومون عن الطريق الذى اختاروه بأنفسهم بعد أن اختاره أجدادهم منذ عشرات عديدة من السنين .

ومع ذلك فإن البنيان العام للدول المتقدمة يتيح قدرا مقلقا من أعمال العنف والاغتيالات السياسية للأسباب الآتية :

١ ـ ازدهار قوانين الحريات العامة والشخصية .
٢ ـ أنه لا قيود على تملك الأفراد أدوات العنف .
٣ ـ أن الكتب التى تحوى مئات الطرق لصنع المعدات التكنولوجية المساعدة لتنفيذ عمليات العنف تباع فى كافة أرجاء تلك البلاد .
٤ ـ مستوى الثقافة والأدب الحر الذى يعرض كل ما يضعه عقل الفلاسفة والأدباء ورجال المخابرات والأمن لأى فرد يريد الاطلاع .
٥ ـ ضغوط الحياة الاقتصادية والاجتماعية التى تقع على كاهل الأفراد تهيىء بيئة مناسبة لظهور المنحرفين إلى أقصى مدى .

٦ ـ انفتاح البلاد من الناحية الجغرافية حيث لا تكدس سكانى فى مناطق معينة وانعدامه فى مناطق أخرى مما يتيح أكبر الفرص لتخطيط وتنفيذ عمليات العنف .

ثانيا ـ البنيان العام للدول النامية :

* ضعف القوة الاقتصادية واعتمادها على الزراعة أو استخراج المواد الخام .
* ضعف (أو عدم وجود) المستوى التكنولوجى القائم فيها .
* سيادة الحكومات الديكتاتورية أو شبه الديكتاتورية بصفة عامة (هناك استثناءات قليلة بطبيعة الحال) .
* معاناة الفرد صحيا واجتماعيا واقتصاديا .
* وجود الظلم الاجتماعى أو القهر السلطوى وتفشى الانحراف المالى والإدارى .
* التبعية للدول الكبرى سياسيا واقتصاديا .
* وجود دور قوى للأديان (سماوية أو غير سماوية) فى حياة تلك المجتمعات .
* عادة ما توجد بها قوى اجتماعية متصارعة وهذا للتخلف السياسى أو للفقر الاقتصادى .

ملاحظة : إن مصر أصبحت اليوم تتمتع بنفوذ سياسى كبير يجعلها تبتعد بأكثر مما تقترب من مسمى الدولة النامية . . ذلك النفوذ الذى يفوق بالفعل نفوذ العديد من الدول الأوروبية الشرقية والجنوبية .

إن الدول النامية تشكل أعدادا هائلة من البشر يملأون كل قارات أفريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية وهذه الدول كانت فى أغلبها مستعمرات للقوى المسيطرة على العالم قبل الحربين العالميتين الأولى والثانية . . وهى لم تحرر إلا منذ سنوات قليلة مضت من التاريخ الحديث .

وبنيان معظم هذه الدول يشكل بيئة مادية ومعنوية من المشاكل أكبر من طاقة مواطنيها أو حتى حكامها ، ولهذا فإن حكم معظم هذه البلاد لا يخضع لأى نظريات مطبقة فى بلدان القسم المتقدم من العالم وتعتبر غايات الفرد العظمى من سكان الدول النامية هى أن يأكل هو وأولاده وأن يجد مكانا لنومهم . .

وعادة ما تحكم أغلب شعوب البلدان النامية حكما أوتوقراطيا ، ولهذا فإن رد فعل الشعوب يكون بالانفصال المعنوى المتزايد عن الحكومات التى تسيطر على أمورهم وبهذا الانفصال لا يتم التقدم وتزداد الكراهية بين الفئتين حتى تحين الفرصة لضربة قاضية من إحداهما للأخرى . (مثل ما حدث ويحدث فى زائير وأثيوبيا والصومال وتشاد وجنوب أفريقيا) .

ولهذا فإن البنيان العام للدول النامية يتيح قدرا هائلا لأعمال العنف والاغتيالات السياسية وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ أن انقسام المجتمعات النامية لفئات يشكل عنصرا دافعا لظهور العنف .
٢ ـ غياب الديمقراطية فى أغلب بلدانها .
٣ ـ قوة التأثير الدينى الذى قد يختلف عن نوع الحكم القائم وهذا يعد منافسا للحكومات العلمانية .
٤ ـ قوة التيار اليسارى أو الراديكالى فى بعض البلدان النامية .
٥ ـ عدم التفسير الجيد من قبل السلطات لأعمال العنف .
٦ ـ وجود عناصر من دول أجنبية تدفع بعض تلك الشعوب لإعلاء صوتها .
٧ ـ نجاح أعمال العنف فى بعض المجتمعات النامية فى إنهاء مشاكلها مع الاستعمار يغرى بعض الدول الأخرى على الثورة ضده .

إذن فيبدو أنه لا مفر فى بلدان العالم غنيها وفقيرها من وجود العنف السياسى بكل معانيه وأهمها الاضطرابات المسلحة والهجوم بالقنابل والاغتيال السياسى[1] .

فدول العالم تواجه وتعيش أعمال العنف بكل صنوفها وتنوعها ولكن لأسباب ودوافع مختلفة ، وعندما تجرى محاولة لاغتيال رئيس حكومة أو رئيس دولة من دول العالم المتقدمة تكون الدوافع عادة وراءها غير الدوافع التى تكمن خلف محاولة اغتيال رئيس دولة من دول العالم النامية . ولكن الجريمة واحدة وهى إهدار دم انسانى .

---

(١) سيتم شرح وتحليل كل من مظاهر العنف هذه فى فصل مستقل من فصول هذا الكتاب . . . لان أعمال العنف قد يكون وراءها دوافع متشابهة ولكن اسلوب التنفيذ هو الذى يختلف وفقا للظروف التى تسمح بظهوره ولا تسمح بظهور أشكال أخرى منه .

تعريف الاغتيال السياسى :

تعرف دائرة المعارف الأمريكية الاغتيال السياسى بأنه قتل لشخصية عامة بارزة ، وعادة ما تكون هذه الشخصية حاكما أو قائدا سياسيا . ويتم الاغتيال غدرا ، ويكون الدافع انتقاما من خطأ حقيقى أو متصور وقع ضد المعتدى ، أو يكون بداية للإطاحة بنظام الحكم السياسى .

ولا يستخدم اصطلاح الاغتيال السياسى لوصف حالة إعدام شخصية عامة إذا ما كان الإعدام قانونيا[٢] .

وفى دائرة معارف أمريكية دولية أخرى تعزى أسباب الاغتيال إما للانتقام ـ أو للحصول على مكافأة ـ أو للإطاحة بعدو سياسى من السلطة[٣] .

ومن هذا التعريف يمكننا أن نرى أهم خصائص عمليات الاغتيال السياسى كما يلى :

١ ـ المقتول (أو المعرض للقتل) هو شخصية معروفة لعامة الناس .
٢ ـ القاتل شخص يرى ـ كذبا أو صدقا ـ أن الشخصية السياسية تستحق أن تقتل .
٣ ـ يتم القتل فجأة وبطريقة غادرة . . أى أن المقتول لا يعلم مسبقا أنه سيقتل .
٤ ـ أهم أسباب الاغتيال هو الإطاحة بنظام الحكم السياسى ، أو التمهيد لذلك .
٥ ـ أن هناك تناقضا يحدث فى الوصف القانونى أو الأخلاقى للاغتيال السياسى . . فقد ينظر بعض الناس له على أساس أنه عمل بطولى أو وطنى . . وقد ينظر البعض الآخر له على أساس كونه عملا جبانا من أعمال السفهاء . (فإذا كان ضد قوات احتلال أجنبية مثلاً فهو جائز أما إذا كان ضد حكام وطنيين فهو جريمة يجب استنكارها) .

أول جماعة منظمة للاغتيال السياسى :

لم يكن الاغتيال السياسى بلا جذور تاريخية . . ولكن ظهور أول جماعة متطرفة للاغتيال السياسى يعتبر حدثاً متأخراً نسبياً .

(٢) - The Encyclopedia Americana- International Edition 1988- Volume 2- Printed In The U.S.A

(٣) - The World Book Encyclopedia- Volume 1-1985 Printed In The U.S.A.

فقد حكم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله الدولة الفاطمية لمدة ستين سنة وأربعة شهور . . لم تحظ فيها مصر ـ مقر الخلافة ـ بالكثير من النعم أو الاستقرار (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ) . فقد أخذت الدولة الفاطمية تتقلص ، فاستقلت عنها ولاية شمال أفريقيا وصقلية واليمن ، وحدث فى عهد الخليفة المستنصر قحط شديد صاحبه وباء قاس فى مصر والولايات الفاطمية التابعة لها حتى لم يجد أغلب الناس ما يأكلوه . وهذه الاضطرابات ساعدت على سيطرة الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى الذى ما أن مات المستنصر حتى رفض مبايعة ابن الخيلفة الأكبر (نزار) ، وبايع الأصغر (أبا القاسم أحمد ـ أو المستعلى بالله) . . ولقد حدث نزاع مرير بين مؤيدى كل من الشقيقين انتهت بمصرع (نزار) ولكن اتباعه تمكنوا من تجميع صفوفهم ورحلوا إلى التلال الجنوبية لبحر قزوين حيث احتلوا قلعة حصينة هناك تسمى قلعة (علموت) ، وسموا أنفسهم بالإسماعيلية النزارية ، أو بالحشاشيين (الحشيشة) وهو الاسم الذى اشتق منه الاسم الانجليزى للقائم بالاغتيال Assassin ، وهو المسمى الذى عرفوا به على مدار السنين لأنهم كانوا يتعاطون مادة الحشيش المخدرة قبل اقدامهم على تنفيذ عمليات اغتيال خصومهم .

ويعتبر الحسن الصباح هو العقل الذى وضع أيديولوجية تلك الجماعة الشيعية المتطرفة فهو الذى أقنع أتباعه بضرورة التضحية بالنفس من أجل ظهور الإمام المستور (الذى لم يظهر بعد !) ، حتى تمكن من إنشاء دولة فى فارس استقلت عن الدولة العباسية ، كان هدفها اغتيال كل القادة المسلمين السنة . . وكان يقوم بتلك الجرائم أشخاص تميزوا بالقوة الجسدية ، ويحملون الخناجر المسمومة الحادة ، ويتصفون بالولاء التام لنائب الإمام المستور .

ولما أتى المغول إلى المشرق العربى ، ذهبوا لحصار قلعة (علموت) فأسروا من بها من الحشاشيين بما فيهم زعيمهم ركن الدين خرشاه فأعدموهم عام ٦٥٥هـ (١٢٥٧م) فدخلت طائفة الحشاشيين فى طور الكمون الذى استمر حتى عام ١٨١٧م حينما ظهر الإمام النزارى أغاخان الذى يتركز اتباعه المسالمين اليوم فى بعض مناطق الهند وباكستان وأفغانستان .

اغتيالات تاريخية منذ عام ١٨٦٥ [٤]

١ - فى ١٤ ابريل ١٨٦٥ أطلقت النار على الرئيس الأمريكى إبراهام لينكولن فى العاصمة واشنطون وقد مات فى اليوم التالى مباشرة .

٢ - فى ١٣ مارس ١٨٨١ اغتيل الكسندر الثانى امبراطور روسيا .

٣ - فى ٢ يوليو ١٨٨١ ضرب بالرصاص الرئيس الأمريكى جيمس جارفيلد فى واشنطون ومات فى ١٩ سبتمبر من نفس العام .

٤ - فى ٢٩ يوليو ١٩٠٠ اغتيل الملك امبرتو الأول ملك ايطاليا .

٥ - فى ٦ سبتمبر ١٩٠١ ضرب الرئيس الأمريكى وليم ماك كينلى فى ولاية نيويورك ومات فى ١٤ سبتمبر من نفس العام ، وقد نفذ حكم الاعدام فى قاتله ويسمى ليون شولجوتش .

٦ - فى ٢٣ فبراير ١٩١٣ اغتيل الرئيس المكسيكى فرانشيسكو مادرو واغتيل نائبه جوزبينو سواريز .

٧ - فى ١٨ فبراير ١٩١٣ اغتيل الملك جورج ملك اليونان .

٨ - فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ اغتيل فرانسيس فيرديناند ولى عهد النمسا وزوجته فى مدينة سارايفو (الآن جزء من يوغوسلافيا) والقاتل هو جافريلو برينسيب .

٩ - فى ٣٠ ديسمبر ١٩١٦ اغتيل جورجى راسبوتين الراهب الروسى ذو النفوذ السياسى القوى .

١٠ - فى ١٢ يوليو ١٩١٨ قامت السلطات البلشفية بإعدام الدوق ميشيل دوق روسيا فى مدينة بيرم ، وفى يوليو أعدم نيقولاس الثانى - المتنازل عن عرش قيصر روسيا - وأعدمت زوجته زارينا الكسندرا وابنهما زاريفيتش ألكسس وبناتهما الدوقات أولجا ، تاتيانا ، مارى ، اناستازيا . كما أعدم أربعة من أهل القيصر فى مدينة اكاترينبرج .

---

(4) The world Almanac & Book of facts, 1990. Newspaper Enterprise Association, Inc. U.S.A

١١ - فى ٢٠ مايو ١٩٢٠ اغتيل الرئيس المكسيكى الجنرال فينيوزتيانو كارانزا فى مدينة تلاكس كالانتونجو . Talaxcalantongo

١٢ - فى ٢٢ أغسطس ١٩٢٢ اغتيل قائد ثورى ايرلندى يسمى ميشيل كولينز .

١٣ - فى ٢٠ يوليو ١٩٢٣ اغتيل الجنرال فرانشيسكو فيللا ، وكان قائداً سابقاً للتمرد فى مدينة بارال بالمكسيك .

١٤ - فى ١٧ يوليو ١٩٢٨ اغتيل الجنرال الفارو أوبريجون الرئيس المنتخب فى المكسيك فى مدينة سان انجل .

١٥ - فى ١٥ فبراير ١٩٣٣ قام جوزيف زانجارا - وهو فوضوى - بإطلاق النار على الرئيس فرانكلين روزفلت - وهو الرئيس المنتخب - ولكن امرأة قامت بتقييد يده فأصابت الرصاصة انتون سيرماك وهو عمدة شيكاغو الذى مات فى ٦ مارس لنفس العام ، وقد أعدم زانجارا بالكرسى الكهربائى فى ٢٠ مارس لنفس العام (وقع هذا الحدث فى مدينة ميامى بولاية فلوريدا) .

١٦ - فى ٢٥ يوليو ١٩٣٤ اغتيل المستشار النمساوى انجلبرت دولفز فى مدينة فيينا بواسطة النازيين .

١٧ - فى ٨ سبتمبر ١٩٣٥ اغتيل السناتور هوى لونج فى مدينة باتون روج بواسطة الدكتور كارل أوستن الذى ذبحه حراس لونج .

١٨ - فى ٣٠ يناير ١٩٤٨ أطلق الرصاص على موهانداس غاندى (٧٨ سنة) فى مدينة نيودلهى .

١٩ - فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ اغتيل الكونت فولك برنادوت وسيط الأمم المتحدة لفلسطين فى كمين قام به اليهود بالقدس .

٢٠ - فى ٢٠ يوليو ١٩٥١ اغتيل الملك عبدالله بن الحسين ملك الأردن .

٢١ - فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٦ ضرب الرئيس اناستازيو سوموزا رئيس نيكاراجوا فى مدينة ليون ومات فى ٢٩ سبتمبر بنفس العام .

٢٢ - فى ٢٦ يوليو ١٩٥٧ اغتيل الرئيس كارلوس كاستيللو ارماس رئيس جواتيمالا فى مدينة جواتيمالا بيد أحد حراسه .

٢٣ ـ فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ اغتيل الملك فيصل ملك العراق وعمه الأمير عبدالإله ولى العهد وفى اليوم التالى (١٥ يوليو) اغتيل رئيس وزراء العراق فى تمرد بالعراق .

٢٤ ـ فى ٢٥ سبتمبر ١٩٥٩ اغتيل رئيس وزراء سيلان سولون باندارانيك بواسطة راهب بوذى فى مدينة كولومبو .

٢٥ ـ فى ١٧ يناير ١٩٦١ اغتيل رئيس وزراء الكونجو السابق باتريك لومومبا فى مقاطعة كاتانجا .

٢٦ ـ فى ٣٠ مايو ١٩٦١ اغتيل ديكتاتور الدومنيكان رافائيل ليونيداس بالقرب من مدينة جويداد تريوجيللو .

٢٧ ـ فى ٢ نوفمبر ١٩٦٣ اغتيل الرئيس نجو دين ديم رئيس جمهورية فيتنام وشقيقه نجو دين هو .

٢٨ ـ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ اغتيل الرئيس الأمريكى جون كيندى فى مدينة دالاس بولاية تكساس ، والمتهم هو لى هارفى ازوالد . قتل هو الآخر أثناء محاكمته .

٢٩ ـ فى ٢١ يناير ١٩٦٥ اغتيل رئيس وزراء ايران حسن على منصور فى العاصمة طهران وقد نفذ حكم الإعدام فى أربعة أشخاص .

٣٠ ـ فى ٢١ فبراير ١٩٦٥ قتل زعيم أمريكى قوى أسود يدعى مالكوم . س فى مدينة نيويورك .

٣١ ـ فى ٦ سبتمبر ١٩٦٦ طعن رئيس وزراء جنوب افريقيا هندريك فيرورد حتى الموت فى البرلمان بالعاصمة كيب تاون .

٣٢ ـ فى ٤ ابريل ١٩٦٨ اغتيل الدكتور مارتن لوثر كينج الزعيم الأسود فى مدينة ممفيس بولاية تنيسى ، وقد حكم على قاتله جيمس ايرل راى بعقوبة ٩٩ سنة سجن[*] .

---

(٥) بعد عقدين تقريبا من وفاة الدكتور مارتن لوثر كينج ، يتذكره الناس كبطل أمريكى وأب روحى ، وسوف يحتفل الامريكيون بعيد ميلاده (١٥/١/١٩٢٩) كعيد قومى . إنه أول أمريكى أسود (وثانى فرد امريكى فقط ـ الفرد الآخر هو جورج واشنطن) ـ يتم تكريمه بهذا الشكل (انظر مجلة «المجال» ـ يناير ١٩٨٦ «تصدر عن وكالة الاعلام الأمريكية») .

٣٣ - فى ٥ يونية ١٩٦٨ اغتيل السناتور روبرت كيندى فى مدينة لوس انجلس وقد اتهم بقتله سرحان بشارة سرحان المقيم بالولايات المتحدة(٦).

٣٤ - فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ اغتيل رئيس وزراء الأردن وصفى التل فى القاهرة بواسطة فدائيين فلسطينيين .

٣٥ - فى ٢ مارس ١٩٧٣ اغتيل كل من سفير الولايات المتحدة كليو نويل ، والقائم بالأعمال الأمريكى جورج مور ، والقائم بالأعمال البلجيكى جاى أيد وهذا فى مدينة الخرطوم على يد فدائيين فلسطينيين .

٣٦ - فى ١٥ أغسطس ١٩٧٤ اغتيلت زوجة رئيس جمهورية كوريا الجنوبية برصاصة كان المقصود بها زوجها .

٣٧ - فى ١٩ أغسطس ١٩٧٤ اغتيل السفير الأمريكى فى قبرص رودجر دافيز فى العاصمة نيقوسيا .

٣٨ - فى ١١ فبراير ١٩٧٥ اغتيل رئيس مدغشقر ريتشارد راستيماندرافا فى العاصمة تاناناريف .

٣٩ - فى ٢٥ مارس ١٩٧٥ اغتيل الملك فيصل ملك السعودية على يد ابن شقيقه سعد بن عبدالعزيز وذلك بالقصر الملكى بمدينة الرياض العاصمة .

٤٠ - فى ١٥ أغسطس ١٩٧٥ اغتيل رئيس جمهورية بنجالاديش الشيخ مجيب الرحمن فى هجوم مفاجىء .

٤١ - فى ١٣ فبراير ١٩٧٦ ذبح على يد ثوريين رئيس دولة نيجيريا الجنرال مورتالا رامات محمد .

٤٢ - فى ١٦ مارس ١٩٧٧ اغتيل زعيم الدروز اللبنانيين كمال جنبلاط بالقرب من بيروت العاصمة .

---

(٦) سرحان بشارة سرحان المتهم باغتيال السناتور روبرت كيندى كان مهاجراً فلسطينياً للولايات المتحدة . . وقد نصت مراجع أمريكية كثيرة وعلى رأسها دائرة المعارف البريطانية (المطبوعة بالولايات المتحدة) على انه مهاجر فلسطينى . . ولإيضاح مدى التعصب الأمريكى تجاه العرب خاصة يجب ذكر أن وسائل الاعلام الأمريكى تصف أى مواطن عربى بالنجاح فى أى من مجالات الحياة بأنه مواطن أمريكى . أما إذا فشل المواطن العربى أو سبب أى مشاكل فانه يوصف بأنه عربى . . ويستطيع القارىء متابعة هذه القضية فى كثير من المجالات السياسية أو العلمية أو الرياضية للتأكد من وجود هذا التعصب .

٤٣ ـ فى ١٨ مارس ١٩٧٧ اغتيل رئيس الكونجو مارين نوجوابى بالعاصمة برازافيل .

٤٤ ـ فى ٩ يوليو ١٩٧٨ اغتيل رئيس وزراء العراق السابق عبدالرازق النايف فى مدينة لندن .

٤٥ ـ فى ١٤ فبراير ١٩٧٩ اغتيل السفير الأمريكى فى أفغانستان ادولف ديوبس فى مظاهرة عنف بالعاصمة كابول .

٤٦ ـ فى ٢٧ أغسطس ١٩٧٩ قتل اللورد مونتباتن بطل الحرب العالمية الثانية واثنين آخرين عندما انفجرت قنبلة فى زورق صيده على شواطىء سليجو بايرلندا . وقد ادعى المسئولية الجيش الجمهورى الايرلندى .

٤٧ ـ ٢٦ أكتوبر ١٩٧٩ ، اغتيل رئيس جمهورية كوريا الجنوبية (بارك شينج هى) وستة من حراسه الشخصيين بواسطة (كيم جى كو) وخمسة من مساعديه فى العاصمة سيول .

٤٨ ـ فى ١٢ ابريل ١٩٨٠ ، ذبح الرئيس الليبيرى وليم تولبرت فى هجوم عسكرى مفاجىء .

٤٩ ـ فى ١٧ سبتمبر ١٩٨٠ ، اغتيل الرئيس السابق لنيكاراجوا اناستازيو سوموزا واثنان آخران حيث أطلقت النار عليهم فى الباراجواى .

٥٠ ـ فى ٣٠ أغسطس ١٩٨١ قتل الرئيس الايرانى محمد على راجا ورئيس الوزراء محمد جاد باهونار من انفجار قنبلة فى طهران .

٥١ ـ فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ اغتيل الرئيس المصرى أنور السادات عندما كان يشاهد عرضا عسكريا فى القاهرة .

٥٢ ـ فى ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ قتل الرئيس اللبنانى المنتخب بشير الجميل فى انفجار قنبلة فى بيروت الشرقية .

٥٣ ـ فى ١٠ ابريل ١٩٨٣ اغتيل ممثل منظمة التحرير الفلسطينية الدكتور عصام صرطاوى بواسطة شخص مسلح مجهول فى مدينة البوفيريا بالبرتغال ، وقد ادعت جماعة منشقة عن منظمة التحرير مسئوليتها عن الحادث .

٥٤ـ ٢١ أغسطس ١٩٨٣ اغتيل زعيم المعارضة الفلبينية بنين أكينو بواسطة شخص اطلق عليه الرصاص فى مطار مانيلا الدولى .

٥٥ـ ٩ أكتوبر ١٩٨٣ اغتيل أربعة وزراء من حكومة كوريا الجنوبية وخمسة عشر آخرون من جراء انفجار قنبلة فى مدينة رانجون ببورما .

٥٦ـ ٣١ أكتور ١٩٨٤ ، اغتيلت السيدة أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند بواسطة اثنين من حراسها ، اكتشف فيما بعد أنهما عضوان من طائفة السيخ .. وقد وقع الاغتيال فى مقر إقامة انديرا بالعاصمة نيودلهى .

٥٧ـ ٢٨ فبراير ١٩٨٦ ـ اغتيل رئيس وزراء السويد أولف بالم بواسطة رجل مسلح فى العاصمة ستوكهولم .

٥٨ـ ١ يونيه ١٩٨٨ انفجرت قنبلة داخل طائرة هليوكبتر كان يستقلها رئيس الوزراء اللبنانى رشيد كرامى .

٥٩ـ ١٦ أبريل ١٩٨٨ اغتيل خليل الوزير المسئول عن الشعبة العسكرية بمنظمة التحرير الفلسطينية بواسطة كوماندوز إسرائيليين فى تونس العاصمة .[٧]

ملاحظات :

١ ـ يقصد بالاغتيال فى الحالات السابقة استخدام الرصاص لقتل شخصية هامة ما لم ينص على غير ذلك .

٢ ـ يلاحظ أيضا أن بعض حالات القتل قد تمت نتيجة انفجار قنابل أو استخدام سكين أو نتيجة إعدام وقد ذكر ذلك صراحة فى تلك الحالات .

٣ ـ ان عدد الحالات السابقة هى تسعة وخمسون حالة ، حدث فيها جميعا قتل مقصود لشخصيات هامة فى التاريخ المحلى أو العالمي ، وهى وإن كانت لا تحصى جميع الحالات التى حدثت فى التاريخ الحديث الا انها كافية الى حد كبير لوضع نتائج يستفاد بها فى فهم تاريخ الاغتيال السياسى فى مصر .

---

(٧) The World Almanac And Book of Facts 1990 - (مرجع سابق رقم ٤) .

٤ ـ لم تذكر حالة اغتيال واحدة فاشلة فى كل الحالات السابقة . . ولهذا فسوف يتم عرض لأهم محاولات الاغتيال السياسى الفاشلة فى العالم للتعرف على القائمين بها وطرق التنفيذ .

٥ ـ فى الاحصاءات التالية سوف تعتبر كل حالة تم فيها قتل أكثر من شخصية هامة حالة واحدة فقط . . وهذا لتلافى حدوث تضارب فى الأرقام المسلسلة والعدد الاجمالى للشخصيات التى تم قتلها .

٦ ـ سيلاحظ أنه فى احصاء عدد الاغتيالات فى الدول النامية والدول المتقدمة حذفت أربع حالات وهى الخاصة بالارقام ١٩ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٥ وذلك لانها تتضمن اغتيال وسيط للأمم المتحدة بالقدس وكذلك اغتيال مسئولين اجانب خارج بلدانهم .

وفيما يلى جدول احصائى يبين نوعيات الاغتيال الاربعة التى جاءت فى الحالات السابقة وكذلك عدد مرات حدوثها فى البلدان النامية والمتقدمة .

***



جدول مقارن يبين نوع عمليات الاغتيال ونوع الدول التى وقعت فيها

العدد الاجمالى للاغتيالات	عدد الحالات التى استخدم فيها الرصاص	عدد الحالات التى استخدم فيها الطعن	عدد الحالات التى استخدمت فيها القنابل	عدد حالات الإعدام	عدد الحالات فى الدول النامية	عدد الحالات فى الدول المتقدمة
٥٩	٤٩ بنسبة تقدر بـ ٨٣٪	٣ بنسبة تقدر بـ ٥٪	٤ بنسبة تقدر بـ ٦,٨٪	١ بنسبة تقدر بـ ١٧,٠٪	٣٤ بنسبة تقدر بـ ٥٧,٦٪	٢٠ بنسبة تقدر بـ ٣٣,٩٪

ملاحظات :

(١) وجد أن عدد السنوات التى جرى فيها الحصر السابق منذ عام ١٨٦٥ وحتى عام ١٩٨٨ هو ١٢٣ سنة . . ولما كان عدد حالات الاغتيال بلغت ٥٩ حالة . . فقد حدثت اغتيال واحد كل عامين وشهر واحد تقريبا .

(٢) عدد الدول التى حدثت فيها الاغتيالات السابقة ٣٠ دولة منها ٩ دول متقدمة و٢١ نامية .

(٣) أكثر الدول التى حدثت فيها حالات اغتيال هى الولايات المحدة الأمريكية حيث تم اغتيال ٩ شخصيات هامة . . يليها المكسيك حيث تم اغتيال ٤ شخصيات هامة .

(٤) وعلى هذا يلاحظ أن الكثير من دول العالم لم تسجل أية أحداث اغتيال سياسى فى العصر الحديث (وفقاً للمرجع المشار إليه فى هذا الصدد) .

محاولات الاغتيال :[٨]

١ - فى ٦ أغسطس ١٩١٠ أطلق الرصاص على عمدة مدينة نيويورك وقد جرح جروحا خطيرة من أحد موظفى المدينة المفصولين من عملهم .

٢ - فى ١ نوفمبر ١٩٥٠ جرت محاولة لاغتيال الرئيس الأمريكى ترومان ، حيث قام اثنين من الحركة الوطنية لبورتريكو بإطلاق النار عليه وقد قتل أحد المهاجمين كما اصيب إصابة قاتلة أحد الحراس للرئيس ، وقد أدين المهاجم الثانى فى ٧ مارس ١٩٥١ بقتل حارس الرئيس .

٣ - فى ٧ نوفمبر ١٩٧٠ حاول أحد الأشخاص مهاجمة البابا بول السادس فى مطار مانيلا بالفلبين ولم يصب البابا بأذى .

٤ - فى ١٥ مايو ١٩٧٢ أطلق أرثر بريمر النار على حاكم ولاية الأباما الذى أصيب بعاهة خطيرة .

٥ - فى ٧ ديسمبر ١٩٧٢ طعنت زوجة الرئيس الفلبينى فرديناند ماركوس وجرحت جرحا خطيرا وذلك فى مدينة باساى بالفلبين .

٦ - فى ٥ سبتمبر ١٩٧٥ قامت إحدى الفتيات بمحاولة تصويب مسدس لقتل الرئيس الأمريكى جيرالد فورد ولكن رجال الحراسة الخاصة قاموا بخطف المسدس من يدها وقد عرف أن هذه الفتاة من أتباع شارلز مانسون وحدث ذلك فى مدينة ساكرامنتو بولاية كاليفورنيا .

٧ - فى ٢٢ سبتمبر ١٩٧٥ نجا الرئيس جيرالد فورد عندما قامت سارا جان مور بإطلاق النار عليه وقد عرف أنها - ذات نشاط سياسى .

٨ - فى ١٤ إبريل ١٩٨٠ نجت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندى من محاولة لاغتيالها بعد أن قذف نحوها رجل بسكين فى مدينة نيودلهى .

٩ - فى ١٦ يناير ١٩٨١ تعرضت برناديت ديفلين ماكليسكى وزوجها (وهما من ذوى النشاط السياسى فى إيرلندا) لإطلاق النار وأصيبا إصابات خطيرة وذلك عندما أطلق ثلاثة من جماعة بروتستنتينية فى مدينة كوتيرون بإيرلندا .

(٨) - The World Almanac And Book of Facts 1990- Copyright: Newspaper Enterprise Association- Inc- U.S.A.

١٠ - فى ٣٠ مارس ١٩٨١ اطلق الرصاص على الرئيس ريجان والمتحدث الصحفى جيمس برادلى وأحد الحراس الشخصيين (تيموس ماكلرثى) وأحد أفراد شرطة العاصمة واشنطن (توماس دلهانتى) وقد أصيبوا جميعا إصابات خطيرة بيد جون هينلكى وقد حدث هذا فى العاصة واشنطن .

١١ - فى ١٣ مايو ١٩٨١ أطلق محمد على أجقا Mehmet Ali Agca النار على البابا جون بول الثانى وقد أصيب هو واثنان من المحيطين به وذلك فى ميدان القديس بطرس بالعاصمة روما .

١٢ - فى ١٢ مايو ١٩٨٢ نجا البابا جون بول الثانى من محاولة لاغتياله من أحد الأشخاص الذين قبض عليه بواسطة الحرس ومعه سكين وذلك فى مدينة فاتيما بالبرتغال .

١٣ - فى ٣ يونيو ١٩٨٢ أصيب السفير الإسرائيلى لدى بريطانيا شولومو أرجوت إصابة خطيرة عندما أطلق عليه أحد العرب النار .

● تعليق على الاغتيالات فى العالم

مازالت مأساة الاغتيال السياسى تنتشر فى أرجاء العالم ولا تفرق بين رئيس دولة نامية أو متقدمة ، وأصبح الرصاص لغة دولية ، وتتفجر دماء غزيرة من هنا وهناك تشهد فى كل يوم على أن الإنسان أصبح عدو نفسه الأول ، يريد تدمير ذاته وكيانه وتاريخه وروحه وتراثه . أصبح القتل المتعمد مثلا أعلى لدى البعض فى أغلب دول العالم ، وباتت طرقه وخططه وأسبابه عديدة ، ومازال منفذوه لا يتحرجون من أعمالهم وقتلهم لذاتهم قبل قتلهم لضحاياهم . . ويبدو أن صدى أول جريمة قتل بيد ابن آدم عليه السلام مازال يتردد فى أرجاء الأرض كالصاعقة العمياء ، يُذكر بنى البشر دائما أنهم قاصرون ، يضمرون العداء لبعضهم البعض .

لقد عرضت لبعض حالات اغتيال ومحاولات اغتيال هزت ضمير العالم ، وفى الحقيقة فإن البحث لا يسعه إضافة أكثر من هذا العدد حتى لا يختل توازنه ويصبح دراسة لتاريخ الاغتيال السياسى فى العالم بدلا من دراسة تاريخ الاغتيال السياسى فى مصر ، وقد حاولت جهدى فى اختيارى لهذه الحالات أن تكون

واضحة من بدايتها حتى نهايتها لكى تبرز دوافع الاغتيال والقائمين به والشخصية الضحية وطريقة التنفيذ حتى يستطيع المطلع عليها أخذ انطباع جيد عن الظاهرة فى العالم ليتسنى له فهم الاغتيال السياسى فى مصر . . وهناك بعض التعليقات التى أراها هامة لاستخلاص العبر والنتائج من الحالات السابقة :

١ ـ ان الاغتيال السياسى لا يفرق بين دولة نامية أو دولة متقدمة .

٢ ـ انه دائما ما تحدث أخطاء أمنية لدى المكلفين بحفظ الأمن وهذه الاخطاء موجودة فى كافة دول العالم .

٣ ـ ان الرصاص أو التفجير كان الأداة الرئيسية فى العمليات بصفة عامة .

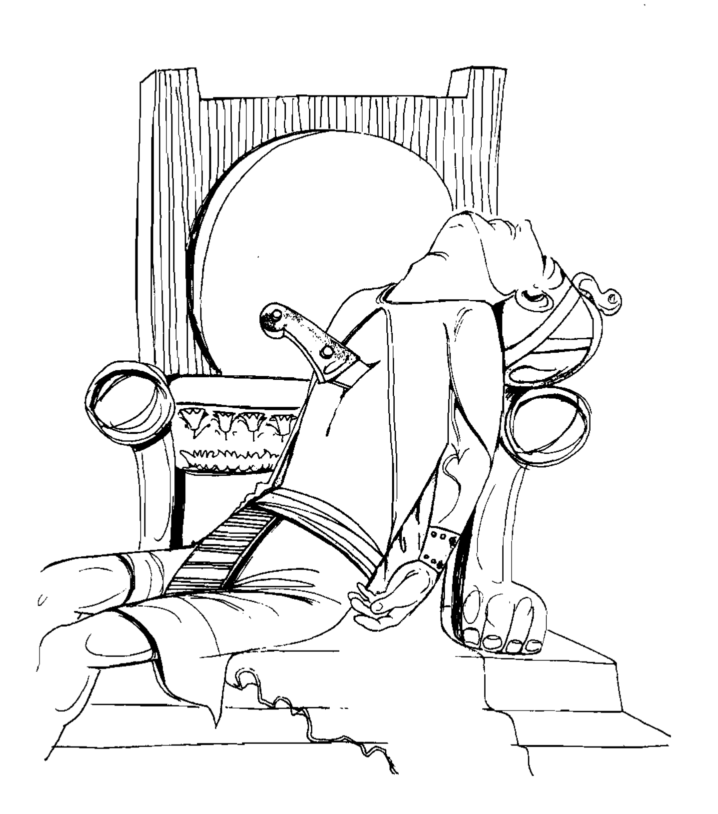
٤ ـ أن الاغتيال فى الدول المتقدمة يختلف فى أسبابه عن الاغتيال فى الدول النامية .

٥ ـ ان الوقاية الأمنية هى الحل الأخير لمنع عملية الاغتيال من النجاح اذا كانت الأوضاع فى المجتمع ـ النامى أو المتقدم ـ قد صارت الى وضع يساعد على ظهور الاغتيال السياسى (والوقاية الأمنية هى الحل الأخير وليس الحل النهائى للتخلص من الاغتيال السياسى) .

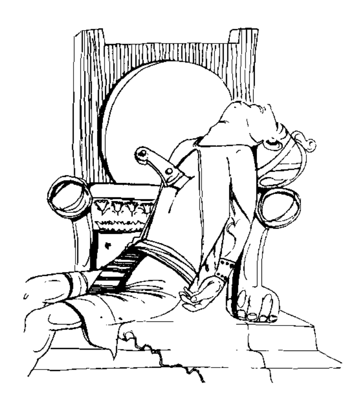
***



الفصـــل الثـــانى



الاغتيالات السياسية فى مصر
فى عصـــر الفراعنـــة



لن يكون سهلا التعرض (لظاهرة) الاغتيال السياسى ـ كموضوع يهم المشتغلين بالعلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسى بصفة خاصة فى العصر الحديث ـ عند قدماء المصريين . وإذا كان هناك قدر من المعرفة عن هذا الموضوع فإن الباحث الحديث أو حتى المؤرخ لن يجد عونا كبيرا من التاريخ . وهذا لأن أسرار القدماء ـ وربما قدسيتها ـ يبدو أنها مع الجهود الجبارة التى تبذل لإجلائها ، مازالت تشكل «ألغازا» كبرى . وفى الحقيقة فإن تاريخ مصر القديم يذكرنى دائما بمقبرة واحد من أشهر ملوكها القدماء الذى عاش فى الأسرة التاسعة عشرة منذ حوالى اثنين وثلاثين قرنا وهو الملك (سيتى الأول) ومقبرته تلك تعتبر إحدى العجائب الأثرية الكبرى التى يراها الزائر فى وادى الملوك غرب مدينة الاقصر . المقبرة تعد تحفة المقابر بهذا الوادى حفرت فى أعماق الجبل لمسافة تتعدى المائة متر وكلما يهبط النازل فيها مجموعة من الدرجات الخشبية ويعتقد أن نهاية المقبرة قد دنت يكتشف أنه مازال فى بداية مشواره الطويل . . . وعندما يصل الى نهايتها ويكاد يستريح من عناء الهبوط والدهشة والسحر الفنى الأخاذ يرى انه لم يكتشف سرها ويحيط به . فالمقبرة تحوى أنواعا لا تحصى من الفنون والقصص والهندسة المعمارية والطقوس والتعاويذ بحيث تحتاج إلى عشرات الزيارات من حين لآخر حتى يشعر المرء انه قد أحاط بسرها . وفى الحقيقة فإن هذا الشعور ما هو إلا سراب ووهم هيأه لنا الأجداد . أو هكذا يبدو .

وكما يقول الأستاذ الدكتور سليم حسن مترجم كتاب (فجر الضمير) لعالم [1] المصريات الذائع الصيت جيمس هنرى برستيد «فان الباحث فى تاريخ

(١) فجر الضمير ـ تأليف جيمس هنرى برستيد ـ ترجمة الدكتور سليم حسن ـ مكتبة مصر بالفجالة ـ القاهرة .

الحضارة المصرية القديمة كمثل السائح الذى يجتاز مفازة مترامية الأطراف ، يتخللها بعض وديان ذات عيون تتفجر المياه من خلالها ، وتلك الوديان تقع على مسافات فى أرجاء تلك المفازة الشاسعة ، ومن عيونها المتفجرة يطفىء ذلك السائح غلته ، ويتفيأ فى ظلال واديها ، فهو يقطع الميل تلو الميل عدة أيام ، ولا يصادف فى طريقه إلا الرمال القاحلة والصحارى المالحة ، على أنه قد يعترضه الفينة بعد الفينة بعض الكلأ الذى تخلف عن جود السماء بمائها فى فترات متباعدة ، وهكذا يسير هذا السائح ولا زاد معه ولا ماء إلا ما حمله من آخر عين غادرها ، إلى أن يستقر به المطاف فى واد خصب آخر . وهناك ينعم مرة أخرى بالماء والزاد . وهذه نفس حال المؤرخ الذى يؤلف فى تاريخ الحضارة المصرية القديمة . فالمصادر الأصلية لديه ضئيلة سقيمة جدا لا تتصل حلقات حوادثها بعضها البعض ، فإذا أتيح له أن يعرف شيئا عن ناحية من عصر معين من مجاهل ذلك التاريخ ، فإن النواحى الأخرى لنفس ذلك العصر قد تستعصى عليه ، وقد تكون أبوابها موصدة فى وجهه لأن تلك النواحى قد اختفت إلى الأبد أو لأن أسرارها لا تزال دفينة تحت تربة مصر لم يكشف عنها بعد».

وإذا ما كان ذلك هو حال مقبرة الملك سيتى الأول بوادى الملوك . . وإذا كان ذلك هو حال الدارس فى تاريخ مصر القديم . . فإن ظاهرة مثل الاغتيال السياسى فى مصر الفرعونية تكاد تكون غير واضحة مثلما هى واضحة فى التاريخ الوسيط والحديث لمصر . . فمصادر معلوماتنا المؤكدة ذاتها نادرة كما أن بعضها غير واضح . . فنحن نحصل على معارفنا عن تاريخ مصر القديم إما من الكتابات الهيروغليفية والصور والرسوم والرموز المنتشرة على جدران المعابد والمقابر والمسلات والأحجار والتماثيل . . . أو من القليل من أوراق البردى التى وجدت فى بعض المقابر والسراديب والمدون بها القصص والأحداث والعادات والتقاليد التى كان يقوم بها الملوك والآلهة والكهنة والنبلاء إبان العصور الطويلة التى عاشتها مصر . . وأخيرا هناك أمامنا كتب التاريخ القديم التى كتبها مؤرخون قدماء من أمثال مانيتون وهيرودوت والتى دونوا فيها ـ إبان العصر البطلمى ـ ما سمعوه وقرأوه واستنتجوه عن تاريخ المصريين القدماء .

فترات حكم المصريين القدماء :

من ضمن أهم الأمور التى يتفق عليها اليوم كتاب ودارسو التاريخ المصرى القديم التقسيم الدقيق الذى وضعه أحد مؤرخى مصر القدماء ويدعى مانيتون . . الذى عاش فى مصر إبان حكم الملك بطليموس الثانى (وهو أحد ملوك البطالمة) . فقد توصل هذا المؤرخ إلى تقسيم فترات حكم المصريين القدماء إلى ثلاثين قسما كل قسم منها يسمى الأسرة . وكانت الأسرة الأولى قد تأسست عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد عندما ظهر الملك مينا موحد شمال وجنوب مصر . وأخذت الأسر بعد ذلك تتوالى حتى انتهت الأسرة الثلاثون عام ٣٤٠ قبل الميلاد عندما احتلت مصر من قبل الفرس .

ولقد دون مانيتون التاريخ المصرى القديم تدوينا دقيقا شاملا . . استخدم فى ذلك اللغة التى كانت سائدة فى مصر فى ذلك الوقت وهى اللغة اليونانية . ولكن ما تركه ذلك المؤرخ من تأريخ لمصر القديمة ضاع ضمن ما ضاع فى حريق مكتبة الاسكندرية ولم يصل إلينا منه سوى ما استطاع بعض المعاصرين له من اليونانيين نقله .

ومع ذلك فكثير من المصادر الأخرى للمعلومات مثل نقوش جدران المعابد والمقابر والبرديات بالإضافة الى استخدام العلم الحديث ، قد أوضح لنا لحسن الحظ أن الكثير مما تركه مانيتون من معلومات كان صحيحا إلى حد كبير .

دماء إله .. وانتصار للخلود :

إن غيرة الحاقدين تتصف بالعدوان الذى يقف خلفه قدر أكبر منه من الكراهية ، فكلما زادت الكراهية زاد العدوان إلى أن يصل إلى ذروته بالقتل .

وإذا كان القاتل مجرما والمقتول بريئا أصبح الأخير شهيدا . . والشهيد كما نعلم لا يموت . . وهذا هو المنظور الأخلاقى الرفيع الذى أوضح لنا قدماء المصريين منذ زمن بالغ القدم .

كان أوزيريس ملكا يلقى حب المصريين لرحمته وطيبته معهم . . ومع ذلك فقد كان له عدو ماكر مخادع استشعر الغيرة فى قلبه فحولها حيلة ماكرة لايقاع الأذى بالملك المحبوب الذى هو فى ذات الوقت شقيق له . دعا ست الماكر أخاه

أوزيريس لحضور حفل . وكان قد صنع صندوقا جميلا . ووعد الحاضرين بأن هذا الصندوق سيكون هدية منه لأى شخص يناسب الصندوق حجم جسمه . . ولما هم أوزيريس بالدخول فى الصندوق والتمدد بداخله قام ست ومن معه من الخونة والمتآمرين بغلق الصندوق وإيصاده وبداخله الملك .

ولقد تعددت الروايات عن هذه القصة فمنها ما ذهب الى أن ست قام بعد ذلك بذبح اوزيريس وتقطيع جسده إلى أجزاء نثرها فى طول البلاد وعرضها . ومنها ما يفيد بأن الصندوق ظل مغلقا عليه حتى مات . ومع ذلك فإن كل المصادر تؤكد أن ست قتل شقيقه أوزيريس لحقده عليه وغيرته منه . . . حتى إن أقدم المعلومات التى تدلنا على تلك القصة وهى متون الأهرام تؤكد أن ست قتل شقيقه .

وعلم الناس بما حدث ، ولدهشتهم وجدوا أن فى كل بقعة من بقاع الأرض التى دفن فيها جزء من جسد أوزيريس قد نمت وأينعت بالخضرة والخصوبة والخيرات .

وأخذت إيزيس زوجة أوزيريس المخلصة فى البحث عن أشلاء زوجها حتى وجدتها جميعا . . . وبذلك قامت بإعدادها للدفن وفقا للطقوس الفرعونية الخاصة بتحنيط أجسام الملوك .

لقد أحب الناس أوزيريس الملك الطيب ، وعلموا بالمؤامرة التى حيكت ضده وآمنوا بأن الشهداء لا يموتون . . ولكى يخلد أوزيريس أبد الدهر فيجب أن يكون إلها . . . وهذا هو ما حدث حيث أصبح ذلك الإله مسئولا عن الحياة فى العالم الآخر .

بقى الجزء الخاص بتطبيق العقوبة على المجرم لكى يتسنى لنا معرفة كيف توصل المصرى القديم إلى أسمى قيم الأخلاق والعدالة . . فلا يكفى أن يصبح المظلوم إلها لهم بل يجب معاقبة المجرم كذلك حتى لا تتكرر الجريمة ويسود الحياة الظلم وسفك الدماء .

أنجبت إيزيس ابنا هو حورس وأخبرته بقصة أبيه أوزيريس حتى صمم على الانتقام من ست . . فحدثت بينهما معارك شتى امتدت لوقت طويل وانتهت

بانتصار حورس . ولذلك أصبح حورس بطلا يأخذ اسمه كل ملك يحكم البلاد . وعندما يموت حاكم البلاد فإن اسمه يتحول من حورس (الذى كان بطلا) الى أوزيريس (الذى يعيش شهيدا مخلدا) . وتعتبر حادثة اغتيال أوزيريس على يد شقيقه ست من أقدم حوادث الاغتيال السياسى فى مصر الفرعونية إن لم تكن أقدمها على الإطلاق . . . فهى مدونة فى متون الأهرام التى يرجع تاريخها إلى تاريخ الدولة القديمة . . وهذا يؤكد لنا أنها كانت موجودة حتى قبل أن يتم بناء الأهرام ذاتها .

ولقد اتضح لنا أن السبب الرئيسى الذى دار حوله الاغتيال هو الحقد من ست على شقيقه أوزيريس لاعتلاء حكم مصر . . ويبدو أن التاريخ الإنسانى يكرر نفسه . . فالطمع فى السلطة كان وراء القتل قديما مثلما هو الآن فى نهاية القرن العشرين . . وإذا كانت طريقة الاغتيال لا تتشابه بين العصور القديمة والحديثة إلا أن الدماء البشرية تتشابه فى كل الأحوال .

نزاع بين أفراد عائلة الملك خوفو:

عاش الملك خوفو فى الأسرة الرابعة (٢٦٨٠ ـ ٢٥٦٠ قبل الميلاد) وهو من أعظم ملوك مصر وأكثرهم شهرة فى الدولة القديمة .

تزوج خوفو بأكثر من زوجة ـ مثله فى ذلك مثل الكثير من ملوك مصر القدماء) وأنجب من كل منهن أبناء . فأخذت كل زوجة مع أبنائها فى التصارع مع الزوجات الأخريات وأبنائهن . . . وانضم رجال القصر خلف الزوجات والأبناء فاتسع الصراع وكثر الطمع وانتشرت الدسائس خاصة بعد موت خوفو . وظهر ولى العهد الجديد (كاوعب) الذى تزوج من الأميرة (حتب حرس) الثانية . . . إلا أن شقيقه (جدف رع) كان يحقد عليه وحاك مؤامرة ضده بالاستعانة بأمه ونجح فى قتله واستحوذ على عرش البلاد . ولم يكتف بذلك بل قام بالزواج من (حتب حرس) الثانية ولم تلد له ولدا ليكون ملكا يخلف أباه على العرش . ولكن (جدف رع) رزق بابن من زوجة أخرى فأصبحت قوية أمام الزوجات الأخريات . ولهذا وبعد ما يقرب من ثمانى سنوات نرى أن (جدف رع) قد اختفى من مسرح الأحداث بدون أن نعلم شيئا عن سبب اختفائه ، فخلفه شقيق له يسمى (خفرع) وهو الذى شيد الهرم الثانى المعروف الآن باسمه . وتزوج (خفرع) من ابنة شقيقه

(كاوعب) وكذلك الأميرة (مرس عنخ) ابنة (حتب حرس) الثانية . ولكن الصراع لم ينته عند ذلك الحد ، بل زاد لدرجة أن العرش تم الاستيلاء عليه بعد موت (خفرع) مرتين فى وقت قصير قبل أن يظهر (منكاورع) الذى شيد الهرم الثالث ليحكم البلاد .

بقى أن نشير إلى أن الدولة القديمة كانت على وشك الاندثار بحلول نهايات الأسرة الرابعة مما ساعد بطريقة واضحة على ظهور الطمع والقلاقل فى الأسر المالكة فانعكس ذلك على الوضع السياسى فى البلاد فلم نر ازدهارا بعد حقبة بناء الأهرام .

ماذا حدث لمؤسس الأسرة السادسة

الفترة الزمنية التى عاشتها الأسرة السادسة امتدت من ٢٢٨٠ إلى عام ٢٠٥٢ قبل الميلاد . ولقد عاشت هذه الأسرة وحكمت البلاد من عاصمة الدولة القديمة المعروفة بمنف .

ويعتبر الملك (تيتى) هو مؤسس تلك الأسرة وله هرم معروف باسمه كان قد شيده فى منطقة سقارة جنوب الجيزة .

ولقد عرف من دراسة التاريخ المصرى القديم ان مؤسسى الأسر كانوا دائماً معرضين للمتاعب من أعدائهم والطامعين فى السلطة والحكم ولهذا فقد ذكر المؤرخ مانيتون ان الملك (تيتى) قد قتل . . بل ذكر ان حراسه هم الذين دبروا أمر قتله .

ومع ذلك فإن امتداد حكم الملك تيتى لمدة ١٢ سنة يهيىء لنا الافتراض ان القلاقل ضده أخذت تتزايد فى نهاية حكمه . . ولم تنته بمقتله . . بل ان الملك الذى خلفه وهو (أوسر كارع) لم يبق فى الحكم هو الآخر إلا لمدة سنوات أربع .

وعندما جاء الملك (ببى الأول) للحكم واستتب له الأمر لم تكن القلائل والمؤامرات قد ولت وانتهت . . لدرجة أنه طلب من أحد أهم الشخصيات البارزة فى عهده القيام بالتحقيق مع زوجته (أى زوجة ببى الأول) وربما يوضح لنا ذلك انها كانت قد اتهمت من قبل زوجها الملك بارتكاب جريمة تستحق عليها العقاب .

ويبدو أن الأمر قد استتب بعض الشيء لبيبى الأول بعد زواجه من ابنة الأمير الذى يحكم منطقة أبيدوس ، والتى فيما بعد أصبحت أماً لابنه (مرى ان رع) الذى حكم البلاد من بعد أبيه . أما الزوجة الثانية لبيبى الأول فكانت شقيقة لزوجته الأولى وانجبت هى الأخرى ابناً أصبح حاكماً للبلاد وهو طفل صغير بعد موت شقيقه .

وقد أدى ذلك كله بلاشك إلى انهيار نظام الحكم ، فقامت الثورات ضد الملوك والأمراء وحكام الأقاليم فانتهت بذلك الأسرة السادسة وهى آخر أسرة من أسر الدولة القديمة ليبدأ عصر الاضمحلال الأول . . الذى يمكن وصفه بأنه كان عصر تخلف وظلام .

اغتيال امنمحات الأول فى مخدعه :

لم يكن امنمحات الأول إلا رجلاً عصامياً[٢] من الشعب رفعه ذكاؤه وجده وحسن إدراكه للأمور إلى المكان الذى يستحقه ، ولكنه لقى الكثير من المصاعب ، وقامت كثير من القوى الرجعية ضده ، فكان من بين أساليب رده على خصومه كتابة البردية المعروفة باسم تنبوءات (نفرتى) المحفوظة الآن فى متحف لنينجراد . وهى التى أطنبت فى وصف ما سيحل بمصر من فوضى ، وأن إنقاذها سيتم على يدى «ملك سيأتى من الجنوب يسمى (امينى) ابن امرأة من النوبة ويولد فى الصعيد . . سيهزم الآسيويين أمام مذابحه ويقع الليبيون صرعى أمام لهيبه وسيبنى (حائط الأمير) ولن يتيسر للآسيويين بعد ذلك النزول إلى مصر» وليس اسم (أمينى) الا اختصارا عاديا لاسم امنمحات ، الذى نرى أصله الجنوبى فى ملامح وجهه ووجوه اسرته من بعده . ولم يكن المقصود من كتابة تلك البردية الا الترويج بين الشعب لهذا الحاكم الجديد ومحاولة إقناع الناس بأن اختياره لإنقاذ مصر أمر أرادته الآلهة منذ أبعد الأزمنة . وكان من الطبيعى أن يهتم امنمحات بطيبة ، ذلك البلد الذى نشأ فيه وعاونه على تولى الملك ، وكان طبيعيا أيضا أن يهتم بإعلاء شأن إلهها المحلى أمون ، وأن يقيم له المعابد ، ولكن هذا كله لم يمنعه من نقل عاصمة البلاد إلى مقربة من منف وبناء مقره الجديد فى المنطقة التى تقع الآن على مقربة من قرية اللشت ، وبناء مقره الأبدى على مقربة منها . ولم يقتصر نشاط

(٢) مصر الفرعونية ـ تأليف أحمد فخرى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٠ .

هذا الملك على طيبة وعلى عاصمته الجديدة ، بل نرى آثار نشاطه فى جهات كثيرة من مصر ، وبقايا معابده منتشرة فى سيناء وفى شرقى الدلتا وبخاصة فى الختاعنة (مركز فاقوس) وفى تل بسطة (الزقازيق) كما نرى بقايا معبد له فى مدينة الفيوم إذ كان أول ملوك تلك الأسرة (الأسرة الثانية عشرة ١٩٩١ ـ ١٧٧٨ق . م) الذين اهتموا اهتماما خاصا بذلك الإقليم لاستصلاح أراضيه والاستفادة من بحيرته . وورد اسمه على كثير من مقابر ولوحات الموظفين الذين عاشوا فى عصره . ويمكننا أن نتوقع من أى شخص فى مكان امنمحات أن يغضب الكثيرين ويبطش بالمناوئين له ، ولهذا لا نعجب إذا وجدنا أيامه الأخيرة مليئة ببعض المتاعب ، بالرغم من أن البلاد تمتعت بوجه عام بطمأنينة ورخاء لم تعرف لهما مثيلاً منذ الدولة القديمة . وقد امتد حكم امنمحات الأول إلى ثلاثين عاما أى أنه حكم منذ عام ١٩٩١ق . م إلى عام ١٩٦١ق . م ولم يقدر له أن يموت وهو فى شيخوخته ميتة هادئة بل مات غيلة وهو فى قصره ، إذا انتهز أعداؤه فرصة غياب ابنه وولى عهده وشريكه فى الملك ، سنوسرت فى حملة على ليبيا ودبروا مقتله ، وربما كان ذلك الاغتيال بسبب التنافس على العرش بين أفراد العائلة نفسها إذ استطاع المتآمرون أن يصلوا اليه فى مخدعه . وفى بردية نصائح امنمحات لابنه ، وقد كتبت دون شك بعد موت الملك وكأنها على لسانه من العالم الآخر يتحدث فيها إلى ابنه ويوصيه كيف يسوس الملك ويشرح له كيف قتلوه : ينصح امنمحات ابنه ، وقد صار ملكا أن يحترس من رعاياه ، ولا يظهر بينهم وهو وحيد ، وألا يثق فى أخ أو يعتمد على صديق ، ويذكره بما كان يفعله عندما كان يعطى المحتاج ويربى اليتيم ويجعل من لا يملك شيئا يبلغ هدفه . ولكن الذى أكل طعامى هو الذى حرض الجنود علىَّ ، والذى أطعمته يدى هو نفسه الذى استطاع بواسطتها أن يحدث الفزع . ويستمر امنمحات فى ذكر جحود الذين أغدق عليهم نعمه ثم يقول : كان ذلك بعد تناول الطعام عندما حل المساء ، خلدت لساعة من الراحة مستلقيا على سريرى لأنى كنت متعبا وعند ذلك سمع صليل الأسلحة ورأى اشتباك حراسه مع المهاجمين ، ولكن سرعان ما حدثت النكبة قبل أن يتمكن الملك من النهوض من فراشه ، لو أننى أسرعت وبيدى أسلحتى لجعلت الجبناء يتقهقرون ، ولكن لا شجاع فى الليل ولا قتال لمن كان وحده ولن يتم النجاح دون حام . إذن لقد تمت المؤامرة بالنجاح . ويستمر النص فيذكر أن ذلك قد حدث عندما كان

سنوسرت بعيدا . وتملأ الحسرة نفس الملك من خيانة خدمه وأتباعه الذين رعاهم وعاونهم ووضع ثقته فيهم ، فكانوا هم المتآمرون على حياته . ويعدد امنمحات بعد ذلك ما قام به من إخضاع البلاد لسلطانه وتأمين حدودها واعتراف الناس بأفضاله ، ويذكر أيضا شجاعته فى الصيد وغزوه لإقليم «واوات» فى النوبة وتأديبه للآسيويين الذين كانوا يغيرون على الدلتا . ولا ينسى ذكر قصره الذى شيده وزينه بالذهب وحلى سقفه بأحجار اللازورد ، وكانت أبواب حجرته من النحاس ومصاريع الأبواب من البرونز ، ويختم وصاياه بتحية ابنه وتمنيه النجاح له ليتم ما بدأه ويوصيه بعمل الخير وتشييد المعابد الفخمة المتينة .(٣)

تعليق :

١ ـ يلاحظ أن الهدف الذى من أجله تم اغتيال هذا الملك المصرى العظيم يعتبر مجهولا . . ويمكن أن نفترض أنه ربما دبر من أحد أعداء مصر الخارجيين ، أو ربما تم بإيعاز من أحد حكام الأقاليم . . . ولكن فى كلتا الحالتين لا نستطيع أن نجزم بصحة ذلك .

٢ ـ يمكن الاعتقاد بأن اغتيال امنمحات الأول قد جاء بدون غرض سياسى لاعتلاء الحكم لأنه لم يعتل العرش خلفاً له أمير ينتمى لأسرة مصرية أخرى ، بل إن الذى اعتلى العرش بعده هو ابنه (سنوسرت) . ولهذا فقد يكون الغرض من ذلك الاغتيال تصفية حسابات قديمة كانت فى صالح الملك سواء مع جهات أجنبية أو مع أحد حكام الأقاليم . لأن سنوسرت إبن امنمحات عندما تولى الحكم تابع السير على سياسة أبيه لا فى مصر وحدها بل وفى البلاد التى كانت على حدودها .

مأساة العمة حتشبسوت :

يقع الدير البحرى على مسافة حوالى ثلاثة كيلومترات من نهر النيل عند مدينة الأقصر . . وهذا المعبد الرائع الذى يحوى كل صفات الروعة والفن الهندسى والمعمارى هو معبد الملكة حتشبسوت التى حكمت مصر إبان أرقى

(٣) مصر الفرعونية ـ تأليف أحمد فخرى ـ الطبعة الثانية (المرجع السابق) .

عصور ازدهارها وحضارتها . . فمن هى هذه الملكة وماذا حدث لها ؟

ولدت حتشبسوت لأب قوى يسمى تحوتمس الأول وورثت عنه الحكمة والحنكة وقوة البأس . . ولما كان أبوها متزوجاً من عدة أميرات ، فقد أنجب من إحداهن وتدعى (موت نفرت) ابناً ذكراً سمى تحوتمس الثانى . . وبوصول حتشبسوت وتحوتمس الثانى سن الزواج ، تم عقد الزواج فيما بينهماكعادة الملوك القدماء وقتئذ . ولما كانت مصر تحكم عادة من قبل الملوك الرجال فقد أخذ تحوتمس الثانى مقاليد وأمور الحكم فى يده ، ولكنه كان ضعيفاً فى الصحة يفتقد المبادأة والحنكة والبأس ، فأخذت الخلافات تظهر بينه وبين زوجته حتشبسوت مما انعكس بدوره على أسلوب حكم البلاد . ومن المؤكد أن هذا كان سبباً كافياً لاندلاع أعمال العنف فى بعض مناطق جنوب مصر فذهب تحوتمس الثانى على رأس جيش تابع قتاله من مدينة أسوان ضد المتآمرين حتى اخضعهم وبسط نفوذ مصر كما كان عليهم .

ولم يستمر تحوتمس الثانى طويلاً فى حكم مصر ، بل إن موته قد جاء تقريباً فى السنة الخامسة منذ توليه الحكم . . . ولم ينه موته مشاكل زوجته حتشبسوت . . بل إنها فى الحقيقة قد زادت . وهذا لأن زوجها كان قد أنجب من زوجة أخرى له ابناً سماه تحوتمس الثالث . ولابد أن القارىء لتاريخ مصر القديم يعلم من هو تحوتمس الثالث الذى يعتبر من أعظم الملوك الذين عاشوا على أرض مصر وأكثرهم حنكة وبأساً .

وكلما كبر تحوتمس الثالث كانت حتشبسوت ترى فيه الخطر عليها وعلى طموحاتها . . ولهذا فقد استمالته فى البداية بجوارها كحاكمة لمصر فأخذت تدون اسمه على جدران المعابد بجوار اسمها إلا أن ذلك كان بدون جدوى . . فقد كبر تحوتمس الثالث وأدرك المنازعات بين عمته وبين أبيه فثارت العداوة فى دمه فجمع الأعوان والسلاح والنفوذ إلى أن أستعاد حقه فى حكم مصر .

وهكذا اختفت حتشبسوت من الوجود . . ولكن الشىء المؤكد اليوم أنها قد اغتيلت لأن مفتشى الآثار وخبرائها عندما اكتشفوا مقبرتها لم يجدوا بداخلها جثتها . . وكذلك لم يتم العثور فى مخابىء معبدها بالدير البحرى على أى أثر لتلك الجثة .

والزائر اليوم لمعبد حتشبسوت بالدير البحرى سوف يجد دلائل كثيرة على أن تحوتمس الثالث كان قد تخلص من عمته بقتلها . وذلك لأن اسم الملكة المرسوم على جدران حجرات المعبد كان قد محى ورسم فوقه اسم تحوتمس الثالث . ونفس الشيء كان قد حدث بالنسبة لصورها وصور أصفيائها ورتبهم وأسمائهم . كذلك قام تحوتمس الثالث بتدمير معظم تماثيل عمته . . ويقال إن العمال الذين قاموا بتدمير تلك الثروة من التماثيل كانوا يضعون تلك التماثيل فوق الحطب الكثيف المشتعل ثم يقوموا بصب الماء فوقها وهى ساخنة فتتحطم تحطيماً وتتناثر غير مخلفة أى أثر لصاحبة هذه التماثيل .

ومع ذلك فحتى يومنا هذا هناك آثار مازالت باقية من فترة حكم الملكة حتشبسوت التى استمرت ثمانية عشر عاماً (١٤٩٠ ـ ١٤٦٨ قبل الميلاد) . . فالزائر لمعبد الكرنك شمال شرق مدينة الأقصر سوف يجد مسلتين عظيمتين تقفان بجوار بهو الأعمدة العظيم . . هاتان المسلتان كانتا للملكة حتشبسوت التى كانت قد أمرت بطلائهما ذهباً تحية لمعبد أمون رع ، وحتى تستطيع أن تشاهد بريق الذهب وهى جالسة فى معبدها غرب الأقصر . لم تستطع يد التحطيم أن تصل لهاتين المسلتين فبقيتا رمزاً لملكة عظيمة حكمت مصر وحافظت على استقلالها وحضارتها ورقيها حتى رحلت .

هل اغتيل الملك الشاب توت عنخ آمون ؟

لعبت الصدفة دوراً كبيراً جعلت من هوارد كارتر أكثر علماء الآثار شهرة فى العصر الحديث . . فبعد أن قضى العديد من السنوات فى البحث عن مقبرة الملك الشاب توت عنخ آمون غرب الأقصر بوادى الملوك انهارت الرمال فجأة لتكشف حجراً يشكل جانباً من السلم الذى يؤدى لتلك المقبرة .

وفى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٢ فتحت المقبرة ليطلع العالم أجمع على أروع كنز جنائزى عرفه التاريخ . . فلم تكن تلك المقبرة قد تعرضت بأى صورة من الصور لنهب لصوص المقابر ، كما وجدت الكنوز بحالتها التى تركها القائمون بدفن الملك عند إجراءات الدفن . والسؤال الذى يثار هنا هو أن الكنوز التى تركها ملك صغير فى السن (إذ انه مات مقتولاً على الأرجح وهو فى الثامنة عشرة من عمره)

تكاد تبهر الدارس للتاريخ المصرى القديم . . إذ يتبادر إلى الذهن السؤال عن مدى حجم وتنوع كنوز لملوك أكبر وأعظم منه . أو بمعنى آخر ، إذا كان ملك صغير السن والشأن كالملك توت عنخ آمون قد ترك مثل هذا الحجم من الذهب والأحجار الكريمة ، فما بال الكنوز التى كانت تخص ملوكا عظاما أكبر وأعظم شأناً مثل ملوك الأهرام ، وملوك الدولة الوسطى أمثال امنمحات وسنوسرت ، وملوك الدولة الحديثة كأحمس وإخناتون وتحتمس الثالث ان كانت مصر على أيامهم أعظم امبراطورية سياسية وعسكرية وعلمية على وجه الأرض .

ومع ذلك فليس يعنينا هنا كثيراً الإفاضة فى شرح كنوز الملك توت عنخ آمون أو كنوز غيره من الملوك ، ولكن يهمنا أساساً معرفة عصره وماذا حدث له . .

فقد اضطربت الحياة السياسية والاجتماعية والدينية اضطراباً شديداً فى الفترة التى سبقت مجىء توت عنخ آمون للحكم وهى الفترة التى حكم فيها إخناتون البلاد ، حيث أنه كان نازعاً للعبادة ليس فى معبد آمون رع بطيبة ولكن فى عين شمس ، وهو لذلك ترك عبادة آمون وتحول لعبادة آتون (قرص الشمس) وهذا جعل الحياة تنقلب رأساً على عقب . . . ولكن عندما جاء توت عنخ آمون فإنا نراه قد تغير وعاد مثل أجداده القدماء ليتعبد فى معبد آمون ، وقدم للآلهة فروض الطاعة والولاء والهدايا ولهذا فقد (أحب آمون أكثر من أى زمن مضى ابنه المحبوب (نب خبرو رع) سيد الكرنك توت عنخ آمون الذى أرضى كل الآلهة) .

ولم يكتف الملك الصغير الذى حكم مصر وعمره تسع سنوات بإرضاء الآلهة بل زاد من حركة البناء فى طيبة ومنف والمنطقة التى توجد بها الأهرام ، ويبدو كذلك أن له آثاراً فى شمال السودان . ومع ذلك فقد اختفى من الحياة فجأة فبكته زوجته الصغيرة التى كانت تشاركه الحياة الهنيئة والتى صورت فى كثير من تحفه وهى واقفة تحادثه حديث الزوجة المخلصة الوفية .

وليس هناك دليل مكتوب على آثاره تفيدنا فى معرفة سبب موته . ولكن فى آخر فحص للمومياء سنة ١٩٧١ ميلادية اكتشف الخبراء شجاً فى عظام الجمجمة ، مما يدل دلالة واضحة على أنه توفى نتيجة حادث اغتيال بأن ضرب بهراوة على مؤخرة رأسه أو أنه قد يكون سقط من مكان مرتفع .

كذلك يمكن القول إن تاريخ وفاته كان فى شهر يناير ١٣٤٣ قبل الميلاد لأن الفواكه والأزهار التى وجدت فى مقبرته وقت دفنه إنما هى الفواكه والأزهار التى تنضج فى البلاد المصرية فى شهور الربيع الأولى (أى مارس وابريل) . . والفترة بين وقت الدفن ، والوقت الذى تنضج فيه هذه الأشجار والزهور هى الفترة التى تحتاجها عمليات التحنيط (حوالى سبعين يوماً قبل يوم الدفن) .

اغتيال رمسيس الثالث بواسطة إحدى زوجاته :

حكم رمسيس الثالث اثنين وثلاثين عاما (١١٩٢ - ١١٦٠ق . م) كانت فى الواقع فترة صحو بين عهدين فاسدين[٤] وسنرى أن جميع جهوده أثمرت فى البداية ، ولكنه عندما تقدمت به السن بدأت عوامل الانحلال مرة أخرى تظهر من جديد . ففى السنة الخامسة من حكمه هجم جيش كبير من الليبيين وحلفائهم من الشعوب الهندو - أوروبية على مصر . أما السبب فى هذا الهجوم فربما كان راجعا إلى تدخل رمسيس الثالث فى شئونهم الداخلية ومساعدته لأحد الليبيين الذين كانوا يعيشون فى مصر ليكون حاكما عليهم . وسواء أكان ذلك هو السبب الرئيسى أو أن غزوهم كان تكرارا للمحاولات السابقة منذ عهد سيتى الأول ، فإن الليبيين وحلفائهم من (شعوب البحر) هزموا شر هزيمة على حدود الدلتا الغربية عندما كانوا فى طريقهم إلى منف . ثم حدثت بعد ذلك (فى السنة الثامنة من حكمه) معركة أخرى هامة كانت دون شك أهم أعماله الحربية وأبعدها أثرا فى حياة مصر . فقد اجتاحت الشعوب الهندو - أوروبية (شعوب البحر) بلاد خيتا وبلاد مترى (بين آسيا الصغرى وشمال سوريا) واحتلت كيلكيا وقبرص واستولت على مدينة قرقميش على الفرات . ولم يهمل رمسيس الثالث فى دفع هذا الخطر فاستعد له وجمع أسطولا كبيرا كما جمع جيشا بريا وسار لملاقاة أعدائه الذين كانوا فى طريقهم إلى مصر من ناحية الشرق وقد حفظت لنا جدران معبد مدينة هابو[٥] صورا مفصلة لهذه المعارك من برية وبحرية وهى تمثل لنا صور أول صدام بين مصر والشعوب الأوروبية ، نرى فيها الصراع المميت بين المتحاربين ، ونرى كيف نجح المصريون فى

---

(٤) مصر الفرعونية - تأليف أحمد فخرى - الطبعة الثانية (المرجع السابق) .

(٥) تقع مدينة هابو بمعبدها الرائع الشهير فى البر الغربى لنهر النيل المواجه لمدينة الأقصر . وهو يبعد عن النهر بحوالى كيلومترين ، ويبعد عن وادى الملوك بحوالى كيلومترين أيضا تقريبا .

القضاء على أسطول هذه الشعوب ، كما نجحوا أيضا فى تمزيق الجيش البرى الكبير . وكانت أول نتائج هذا الانتصار دحر هذه الشعوب ، وإنقاذ مصر من خطر مؤكد لم يكن يقل عن الخطر الذى تعرضت له عند غزو الهكسوس إن لم يزد عنه . وإذا كان رمسيس الثالث قد تمكن فى حملة العام الثامن من القضاء نهائيا على قوة شعوب البحر فى آسيا فإن قوة هذه الشعوب وحلفائهم الليبيين ظلت بعد حملة السنة الثامنة على تماسكها وهاهم مرة أخرى يعيدون تنظيم أنفسهم ويهاجمون مصر تحت إمرة ابن زعيم ليبيا المسمى (مشتر) فى العام الحادى عشر من حكمه . فوقفت جيوش مصر تصد هذا الغزو وأوقعت بالقادمين هزيمة كبرى على حدود الدلتا وارتدوا إلى الصحراء فتبعتهم الجيوش المصرية نحو عشرين كيلومترا وأفنت منهم عددا كبيرا ، وأسرت كثيرين كان من بينهم (مشتر) نفسه وبهذا تخلص رمسيس الثالث من أعدائه فى الغرب كما تخلص من أعدائه فى الشرق ، واستطاع أن يقضى بعد ذلك وقتا هانئا يعيد فيه تنظيم أمور البلاد .[٦]

ولاشك أن هذه الحروب المتتالية كانت عبئا على خزينة مصر ، ولكن البلاد استطاعت أن تصمد للتجربة وأمكنها بعد ذلك أن تعوض جزءا مما فقدته وتملأ خزانتها من ممتلكاتها الآسيوية ومما وقع فى أيديها من مغانم أثناء الحروب ، ومما أخذ يتدفق على هذه الخزائن من مناجم الذهب والمعادن الأخرى التى أعيد العمل فيها ، ولكن هذا كله لم يسد ما فتحه إسراف الملك ولهوه من ثغرات ، فأخذت الحالة الاقتصادية تتدهور فى النصف الثانى من حكمه . وقد أخذ الملك يسرف فى هباته للكهنة بالمعابد من رق وأرض ومال ونحن إذ نقرأ تفاصيل هذه الهبات فى بردية هاريس ، ونعرف مدى ثراء كهنة المعابد وسلطانهم وما كان لديهم من أرقاء يعملون فى الأراضى الخاصة بالمعابد ، فإننا لا نملك منع أنفسنا من التفكير فى مدى أثر هذا الثراء على نظام الدولة من ناحية وعلى الدخل القومى من ناحية أخرى . فقد كان للإله (آمون رع) وحده ثروة طائلة ، إذ كان مجموع أراضيه نحو ١٠٪ من أراضى البلاد المزروعة (جميع الآلهة الأخرى كانوا يملكون ٥٪ فقط) وكان لمعابد آمون ٨٦,٥٠٠ من الارقاء الذين يعملون فى أراضيها ، وكان لها خمسة قطعان من الماشية لا يقل مجموعها عن ٤٢١,٠٠٠ رأس كما كانت لها

(٦) مصر الفرعونية ـ تأليف أحمد فخرى ـ الطبعة الثانية (مرجع سابق) .

حدائق فى طول البلاد وعرضها ، وكثير منها فى الواحات كما كانت لها مناجم الذهب فى النوبة . وكانت لها أيضا تسع مدن فى سوريا تأتيها محاصيل أراضيها وضرائبها بانتظام ، وغير ذلك من الموارد ، وأهمها ما يقدمه أفراد الشعب وما يقدمه الملوك ، فلا عجب إذا أصبح كهنة آمون هم القوة المسيطرة على شئون البلاد . ولم تكن هذه المسألة هى الحالة الوحيدة الشاذة فى البلاد . بل كانت هناك حالات أخرى لا تقلِ أثرا ، ومنها ابتداء تولى الأجانب وظائف الدولة العامة ، وبخاصة فى البلاط . ونعرف على سبيل المثال أنه كان حول رمسيس الثالث فى قصره أمناء أجانب عديدون لهم السلطان الأكبر عليه كما ملأوا قصره فى آخر أيامه بالفتيات الجميلات سواء من أسرى شعوب البحر أو من الآسيويات أو المصريات . وكان يقضى أوقاته بينهن كما نرى ذلك فى الصرح الأمامى المشيد أمام معبد مدينة هابو . وهكذا انصرف رمسيس الثالث عن تقوية ملكه ، واستمع إلى نصيحة من أحاطوا به من الأجانب والمتملقين حتى صار من بين الأحد عشر أمينا فى القصر الملكى خمسة غير مصريين . وقد ساءت الحالة الاقتصادية حتى اضطر عمال الجبانة فى طيبة إلى الإضراب عن العمل لأن مقرراتهم لم تصرف لهم لمدة شهرين فى العام التاسع والعشرين من حكم الملك . توقف العمال عن عملهم وحاولوا أن يلفتوا نظر رؤسائهم إلى حالتهم دون جدوى . وفى اليوم التالى تجمعوا وهاجموا مخازن الرمسيوم وهم يصيحون بأنهم جائعون ، وعند ذلك اضطر كبار الموظفين إلى محاولة تهدئتهم . وتكرر الإضراب بعد ذلك مرات حتى اضطر الوزير أن يتدخل لإعطائهم ما يستحقونه وتعطينا هذه الوثيقة فكرة عما آلت إليه حالة البلاد من فوضى كما تعطينا أيضا فكرة عن مدى رحمة كهنة المعابد بالفقراء من الناس الذين كانوا على وشك الموت جوعا بينما تكدست الحبوب وأكوام الذهب فى مخازن آمون ! كان الكهنة أول من يسمع صياحهم دون أن تتحرك فيهم ذرة من عطف ، بل إننا نعرف من هذه الوثيقة نفسها أن رجال الدين كانوا سوط عذاب على الفقراء . ففى إحدى أيام الإضراب تجمع المتظاهرون خلف معبد مرنبتاح وأخذوا يصيحون (نحن جائعون) ، وتصادف أن مر عمدة المدينة فوعدهم بالمساعدة وأرسل إليهم خمسين غرارة من الحبوب من مخازن الرامسيوم ليسعفوا بها أنفسهم حتى يأمر الملك بصرف استحقاقاتهم ، ولكن بعد أيام قليلة وصلت شكوى ضد هذا العمدة من كبير كهنة آمون بأنه قد أخذ دون وجه حق من ممتلكات

معبد رمسيس الثالث ليطعم المضربين ووصف كبير الكهنة عمله (إن ما فعله جريمة كبرى) وهكذا كانت تسير الأمور فالكهنة يكدسون الأموال ويظلمون الشعب ، والموظفون يستغلون كل موارد الدولة لمصلحتهم ، والملك سادر فى ملذاته ، والأجانب يتحكمون فى شأن الدولة ، ولهذا لا ندهش إذا قام أحد وزراء رمسيس الثالث بثورة ضده فى الدلتا كان مركزها فى أتريب (بنها) ولكن الثورة لم تنجح ـ وبالرغم من أنها كانت إنذارا له فإنه لم يتعظ وبدأ أهله أنفسهم يحسون أن حياته أصبحت خطرا على البلاد أو أنه أصبح لا قيمة له فدبروا مقتله . وقد عرفنا تفاصيل هذه المؤامرة من بردية هاريس . لقد دبرتها إحدى زوجاته لأنها أحست أن الملك لايريد أن يجعل من ابنها (بنتاؤور) وليا للعهد ، ولهذا صممت على قتل الملك العجوز وإعلان ابنها ملكا ، وكان يعاونها فى تدبيرها اثنان من كبار موظفى القصر كانت مهمتهما جمع الأنصار فى البلاط وخارج القصر . ولسنا نعرف مدى نجاح المؤامرة فى الخارج ، ولكنا نعرف انه بعد قتل الملك قبض على المتآمرين وكان مع الملكة (تثى ؟) وبنتاؤور والموظفين الكبيرين فى البلاط عشرة آخرون من الموظفين ، وكذلك ست نساء كن واسطة بين الملكة وشركائها فى الخارج . ومن أوراق التحقيق فى هذه القضية نعرف أنه كان من بين الأربعة عشر موظفا الذين تكونت منهم المحكمة أربعة من الأجانب . وظهر أثناء القضية أن ثلاثة من القضاة قضوا سهرة تناولوا فيها الخمر ومعهم ضابطان من الشرطة فى منزل أحد المتهمين حيث اجتمع هناك نساء بعض المتآمرين ، وكانت نتيجة هذه السهرة أن انتقل القضاة الثلاثة من كراسى القضاء إلى قفص الاتهام . أما الأحكام التى صدرت ضدهم فإن الأمير بنتاؤور وثلاثة من المتآمرين حكم عليهم بالإعدام ، وكانوا يتركون وحدهم فى غرفة المحاكمة لينهوا حياتهم بأيديهم . وبُرىء أحد القضاة ، أما القاضيان الآخران وضابطا الشرطة فحكم عليهم بجدع الأنف وصلم الاذنين ، فانتحر أحد القضاة عندما سمع الحكم عليه ، اما المتآمرون الآخرون ومنهم الملكة (تثى ؟) فلا نعرف العقاب الذى وقع عليهم .(٧)

تعليق على اغتيال رمسيس الثالث :

١ ـ هذه هى أكثر حالات الاغتيال السياسى فى تاريخ مصر القديم التى تعرض

(٧) مصر الفرعونية ـ تأليف أحمد فخرى ـ الطبعة الثانية (مرجع سابق) .

بتفصيل فى الأحداث والوقائع . . ولعل ذلك يعود إلى كثرة المعلومات الموثقة عنها .

٢ ـ ربما تكون زوجة رمسيس الثالث قد خشيت على البلاد فدبرت مقتله . . وربما يكون ذلك خوفاً على مصالحها الخاصة من قيام ثورة شعبية تطيح بالملكيين جميعاً ، ففضلت الوقوف مع الشعب ضد الملك اللاهى . . أو ربما يكون الخوف من ضعف حالة البلاد سبباً للمحتل الأجنبى مما يجلب الخسارة للأغنياء المالكين والفقراء المعدمين على حد سواء .

٣ ـ وقد يشاركنى القارىء التعجب من وجود محكمة بهذه الكفاءة البالغة فى ذلك العصر القديم من تاريخ مصر . ولكن الذى يقرأ عن العدالة عند قدماء المصريين يكتشف انها موجودة فى عصور مبكرة عن العصر الذى جرت فيه تلك المحاكمة .

٤ ـ يتضح من هذه الحالة أن الطمع فى الاستيلاء على الحكم كان السبب فى الاغتيال الذى تم بالرغم من أنه اتخذ من سخط الشعب دافعاً قوياً له .

تعليق على الاغتيالات السياسية فى مصر الفرعونية :

ربما سيلاحظ القارىء بسهولة أن عدد الاغتيالات السياسية التى عرضت لا تمثل شيئا يذكر بالاغتيالات السياسية التى حدثت فى مصر فى القرون الوسطى أو حتى القرن العشرين وحده . والمؤلف قد يتفق مع هذا الاستنتاج ولكن هناك عدة تحفظات :

١ ـ أن تاريخ قدماء المصريين تاريخ بالغ القدم والمعلومات المتوافرة عنه مازالت تفحص من حين لآخر حتى هذه اللحظة .

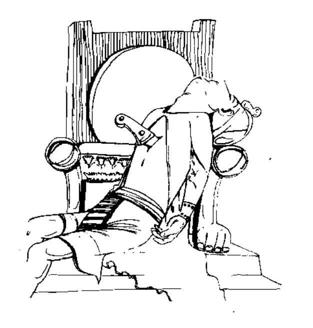
٢ ـ أن مجموعة المستندات التاريخية نفسها عن حياة الأجداد القدماء قليلة واللغة الهيروغليفية ذاتها ليست حروفا هجائية فحسب بل هى مملوءة بالرموز . . .
كما يجب أن نتذكر أن التمويه ظاهرة يجب ألاّ نستبعد وجودها فى الآثار المنقوشة ذاتها ، فالذى يذهب بالفعل الى الدير البحرى غرب الاقصر ليرى بنفسه المعبد الفاخر الذى بنته الملكة حتشبسوت سوف يرى أن الملك

تحوتمس الثالث قد رسم رأسه مكان رأسها على كافة الجدران والأعمدة الموجودة بهذا المعبد الشاسع الأرجاء وهو لهذا ينسب لنفسه أعمالها ولكن العلم الحديث استطاع فهم هذا التمويه ، بل فهم قصة الخلاف بين الشخصيتين .

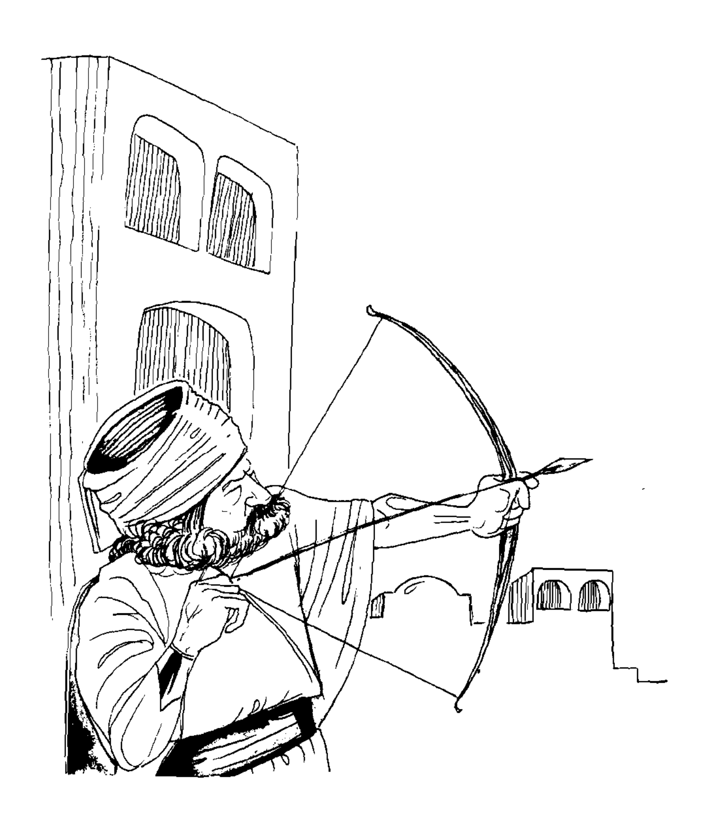
٣ ـ أن أغلب الاغتيالات السياسية التى تمت وعرضت فى هذا الباب إنما نتجت عن الرغبة فى السيطرة على حكم مصر بشمالها وجنوبها . وأن الذى نفذ الاغتيال هو أحد أفراد الأسرة المالكة ذاتها وليس مواطنا من عامة الشعب وذلك لأن المصرى القديم كان يعتقد أن الملك هو إلَه ، والآلهة لا تموت حتى إذا قتلوا .

٤ ـ أن الأخلاق الرفيعة التى اعتنقها قدماء المصريين كانت تحترم الحياة الإنسانية ، وكانت تحث على عدم القتل أو التشجيع عليه . كما أنهم كانوا يدركون جيدا أن الشخص الطيب سيدخل الجنة ويلقى أحسن الثواب والشخص الشرير سيلقى حتفه وسينتهى نهاية أبدية كما لو أنه لم يولد قط .

***



الفصل الثالث



الاغتيالات السياسية فى مصر
فى العصور الوسطى



عندما قتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب بطعنات الخنجر من أبى لؤلؤة الأنصارى اكتشف المسلمون الهوة السحيقة التى نزلوا فيها من جراء فقدهم لرجل مثل عمر ، عاش معهم وبهم أمجاداً إسلامية وعربية ليس لها مثيل . فقد اتسعت دولتهم ، وتوحدت كلمتهم وارتفع شأنهم وتعززت كرامتهم . . أما وقد اغتيل غدراً وظلماً فقد ضاعت وحدة الكلمة ، وتفرقت الصفوف وكثر الاختلاف ، وجرى الرجال والولاة وذوو الشأن وراء متع الحياة ، ففتنتهم الدنيا وغلبهم التعصب وضرب فيما بينهم التباين حتى حدثت الفتنة الكبرى فقتل الخليفة العجوز عثمان ابن عفان ظلماً وغدراً . . فأصبح القتل مشاعاً وسفك الدماء مباحاً . . ولم تمض عدة سنوات إلا وقتل الخليفة على بن أبى طالب . . ثم مرت سنوات أخرى فقتل ولداه الحسن والحسين .

ومن هذه الفتن المتتالية نسى المسلمون وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بضرورة اتحاد الكلمة والأخذ بالشورى وطاعة أولى الأمر والرحمة بالمحكومين . ولهذا نراهم فى العصور التى تلت ذلك يقتلون بعضهم بعضاً ويسفكون الدماء . . . ونسوا أنهم جميعاً مسلمون ينتمون لدولة واحدة ودين واحد ومصير واحد .

وعندما ينقسم المجتمع الى ملل ونحل وشيع ، ويسعى كل قسم إلى تحقيق مصالحه الخاصة متجاهلاً مصالح الأقسام الأخرى فى المجتمع فإن الدسائس تنتشر ويصبح المجتمع غير مستقر ، فتكثر القلاقل ويعم الفساد والإجرام ويصبح الاغتيال أمراً عادياً يعتاده الناس .

وسنحاول فى الصفحات القادمة أن نقدم عرضاً وافياً لأهم حالات الاغتيال السياسى التى وقعت فى مصر منذ أصبحت مصر دولة إسلامية .

١ ـ عندما كان على بن أبى طالب على رأس الخلافة للدولة الإسلامية عين الأمير مالك بن الحارث النخعى بن الأشتر حاكما لمصر . . وكان مالك من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وقد عينه الإمام على رضى الله عنه لمحبته له وثقته فيه . ولما كانت الفتنة الكبرى التى أعقبت مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه لم تخمد آثارها بعد ، فقد فسر موت الأمير مالك بن الحارث على أنه اغتيال دبره له الأعداء فدسوا له سماً فى طعامه فمات ودفن بمصر . فلما وصل أمر موته الإمام على رضى الله عنه حزن حزناً عظيماً عليه وقال : لقد كان لى كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - عندما مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه لم يكن يعلم أن ابنه محمد سوف يشترك فى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه . وعندما اشترك محمد بن أبى بكر فى قتل عثمان لم يكن يعلم أنه سيقتل هو الآخر .
وتبدأ القصة هذه عندما كان معاوية بن أبى سفيان خليفة للدولة الإسلامية فاختار محمد بن أبى بكر ليكون والياً على مصر . وكان بعض الشيعة يعيشون فى مصر فثاروا على محمد بن أبى بكر بمساعدة شيعة الشام الذين أرسلوا حملة على رأسها معاوية بن خديج ، ومسلمة بن مخلد ، وبشر بن أرطأة وغيرهم . . فعلم محمد بن أبى بكر بمقدمهم فخرج لقتالهم ولكن الشيعة دحروا أعوان محمد الذى فر واختفى فى أحد الخرائب . . . فسعى الشيعة فى إثره إلى أن وجدوه وهو فى حالة يرثى لها من الجوع والعطش . . فطلب منهم ماء يشربه فأبوا وذكروه بأنه منع الماء عن عثمان بن عفان أثناء حصاره وأهل بيته وهو الخليفة الكريم الذى بلغ من العمر عتياً . واستل معاوية بن خديج سيفه وضرب عنق محمد وطاف به أمام الناس فى المدينة . ثم وضع جثمانه فى بطن حمار ميت وقام بحرقه حتى صار رماداً . ثم أرسل معاوية بن خديج قميص محمد بن أبى بكر وهو ملطخ بدمه بعد قتله الى المدينة المنورة حيث أهدى الى نساء عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ففرحن بذلك .

٣ ـ أحمد بن طولون هو مؤسس الدولة الطولونية بمصر التى امتدت من عام ٨٦٨

إلى عام ٩٠٥ ميلادية . . أى لمدة سبعة وثلاثين عاما . وكان للشيعة نفوذ كبير فى مصر خاصة فى صعيد مصر . . فقامت ثورة من الشيعة يترأسها ابراهيم بن محمد وأصله يمتد من الإمام على بن أبى طالب . ولكن ابن طولون كان قوياً فأخمد الثورة وعاد الاستقرار فى صعيد مصر إلى أن قامت ثورة شيعية أخرى فى نطاق مدينة أسوان الحالية وكان قائدها هذه المرة رجلاً شيعياً . . يسمى العمرى . . . فاستخدم أحمد بن طولون للقضاء عليه الحيلة فأغرى أحد الرجال من خدمه باغتياله ، ونفذت الجريمة بالفعل وقطعت رأس العمرى وأرسلت ـ كدليل على اغتياله ـ إلى أحمد بن طولون .

وعندما استتب الأمر لمؤسس الدولة الطولونية بمصر قام بتوسيع دولته ، فسافر إلى الشام وترك ابنه الأكبر ويسمى العباس خليفة له على مصر . ولكن الغيرة والطمع بالإضافة إلى الدسائس جعلت العباس يثور على أبيه ، دون أى تفكير بعواقب الأمور ، فاستولى على خزانة مصر واعتقل أحمد الواسطى المقرب من أبيه وصاحب الشورى له وسار إلى شمال أفريقيا . واكتشف الإبن لقلة بصيرته أن السكان البربر الذين يقطنون الشمال الأفريقى كانوا ذوى بأس وقوة فوقفوا ضده ومنعوه من التقدم إلى أن ضاق الأمر بجنوده ففر قادتهم وضاقت الأرض عليه بما وسعت ، حتى وصلت جيوش أبيه إليه واعتقلته وقذفوا به فى غياهب الجب إلى أن مات أبوه وتولى شقيقه خمارويه حكم مصر فامتنع العباس وهو مسجون أن يبايع شقيقه فقام حراس السجن بقتله وطويت صفحته .

٤ ـ إذا كان الطمع والغدر من العباس تجاه أبيه أحمد بن طولون هو السبب المباشر الذى أدى إلى مصرعه . . فإن شقيقه خمارويه اغتيل نتيجة ترفه وانحلال خلقه . فقد أهمل الحكم وأغفل حق الرعية وافتتن بالدنيا إلى أبعد حدود الافتتان فإذا ركب حصاناً مرة واحدة فهو يبدله بآخر المرة الثانية وبثالث المرة الثالثة . . . وأنفق أموال الدولة وبددها على المتسامرين معه فى قصوره من مغنين وراقصين وشعراء . وعندما تزوجت ابنته المسماه (قطرالندى) تدهورت أحوال البلاد بسبب الإسراف الشديد فى اتمام هذا الزواج والاحتفال به . وعندما ساءت أحوال البلاد ، وترك خمارويه الحبل لغرائزه ونزواته وانحلاله ، حلت نهايته فاغتاله خدم قصره منهين بذلك عهده .

٥ ـ ترك خمارويه بعد مصرعه ابنه (أبو العساكر جيش) خلفاً له ليحكم البلاد وهو

فى الرابعة عشرة من عمره ، ولم يمض على توليه حكم مصر غير عام واحد إلا وقد قتل مثل أبيه .

فهو كصبى صغير سعى أول ما سعى وراء الترف والإسراف والسهر فى القصور مع اللهو والسمر . . . ولم تكن لديه البصيرة ليرعى شئون البلاد وسمح للمنتفعين حوله بالايقاع بينه وبين العارفين بأحوال البلاد . . . فأساء إليهم وقتل بعضهم فثار الناس ضده واقتحموا قصره واغتالوه .

٦ ـ ضعفت الدولة الطولونية بفساد حكامها ولهوهم وانتشار الفتن والحقد والدسائس . . . مما جعل الخليفة العباسى وقتئذ وهو (المكتفى) يرسل جيشاً كبيراً يخضع مصر الطولونية له . وبعد مقتل (أبو العساكر جيش) كانت مصر فى حاجة إلى خليفة يحكمها فولى الثائرون الذين قتلوا أبو العساكر والياً جديداً صغير السن ايضاً يسمى (أبو موسى هارون) وكان فى سن أبى العساكر . ولكن عندما وصل الجيش العباسى ويترأسه محمد بن سليمان إلى مصر قام المقربون لأبى موسى هارون بقتله وتعيين شيبان بن أحمد بن طولون حاكماً على مصر ولكنه لم يستطع الوقوف أمام جيش العباسيين فسلم لهم أمور البلاد . وانتهت الدولة الطولونية .

٧ ـ فى تاريخ الدولة الاخشيدية بمصر شخصية هامة ظهرت مع الدلائل على أنها السبب فى مصرع شقيقين حكما مصر ما يقرب من العقدين . هذه الشخصية هى (كافور) الذى اختاره (الاخشيد) الخليفة الاخشيدى فى مصر ليكون وصياً على ابنيه إذا ما واتته المنية .

وبالفعل مات (الاخشيد) تاركاً ابنه (أبو القاسم أنوجور) حاكماً لمصر ، وسرعان ما قام (كافور) بفرض وصايته عليه بحجة أنه أى انوجور مازال صبياً فى الرابعة عشرة من عمره . وهيأ للصبى أمور الترف واللهو والسهر ليفرغ هو للحكم والسيطرة على مجريات الأمور فى البلاد . ومرت أربع عشرة سنة عندما حاول (أنوجور) حكم البلاد بنفسه والقضاء على نفوذ (كافور) وذهب (أنوجور) إلى الشام لطلب المساعدة العسكرية للقضاء على كافور . . . ولكن الأخير أدرك خطة أنوجور فدس له سماً فى طعامه فقتله . وهذا هو السبب فى موت أنوجور المفاجىء بعد عودته من الشام . وعندما مات أنوجور حل محله فى الخلافة شقيقه أبو الحسن على الذى كان قد بلغ الحادية والعشرين . .

فقام كافور بالهيمنة عليه مثلما فعل مع أنوجور . . . ولكن أبا الحسن حاول الخروج عن وصاية كافور فما كان من الأخير الى أن سجنه فى قصر الخلافة . وسرت الأقاويل بين المصريين بأن كافوراً قد قتله بعد مضى ما يقرب من ستة أعوام من توليه حكم مصر بعد مصرع أنوجور .

٨ ـ إن اغتيال أشهر شخصية حكمت مصر فى الدولة الفاطمية لا يعود فقط إلى كونها اغرب شخصية حكمت البلاد . بل يعود كذلك إلى الاضطراب العقلى والفكرى الذى اتصفت به هذه الشخصية . إذن فقد اغتيل الحاكم بأمر الله بعد أربعة وعشرين عاماً من حكمه لمصر عاشت فيها مصر أسوأ فترات عهودها . بدأ الحاكم حكمه لمصر وهو فى العاشرة من عمره تقريباً ووجد بجواره الوصى (برجوان) التركى . . وبمرور سنوات صباه ودخوله سن الشباب أظهر الحاكم ـ بحكمة برجوان ومشورته الصائبة ـ عناية فائقة بالبلاد ، فازدهرت وسعدت بتفانيه فى خدمتها والعمل على راحة شعبها . ولكن برجوان ما لبث أن قتل فجأة فوجد الحاكم نفسه وجهاً لوجه مع مسئوليات حكم البلاد الفسيحة التى يحكمها فلم يستطع السيطرة على الأمور . . فلجأ إلى التجبر والطغيان وسفك الدماء . . فقتل وزراءه الذين كانوا يعاونونه ويرشدونه ، وقتل قائد جيشه وقائد شرطته وقتل أشهر قضاة مصر . وحدثت مذابح عديدة طوال سنين حكمه . . . واتسم عهد الحاكم بتضارب آرائه وقراراته وأحكامه . . فقد منع سكان مصر من تناول بعض الأطعمة مثل الزبيب . ولكى ينفذ قراره هذا اقتلع من الأرض عشرات الآلاف من أشجار الكروم . . ثم سمح بعد ذلك بتناوله .

وقام بإصدار قرار بمنع الناس من تناول الملوخية ، ومنع الناس من أكل السمك الذى بلا قشور وزرع الترمس وأكل القرع . ونهى الناس عن فتح الأسواق للبيع أثناء النهار وأن يفتحوها أثناء الليل . . وأمر بأن تكون أنشطة كافة الناس فى البلاد أثناء الليل وأن يناموا بالنهار ـ مثلما تعود وأحب هو ـ وكان يأمر ببناء المساجد والمدارس فى بعض المناطق ثم بعد أن تبنى يقوم بهدمها وقتل خطبائها ومدرسيها .

وقد اعتاد الحاكم خاصة فى أواخر سنين حكمه أن يقف على المنبر فى المسجد ويأمر الناس بأن يؤمنوا بأنه من نسل فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . . ولهذا فهو أفضل من سلالة العباسيين .

وحدث ذات مرة وبينما هو يشرح للناس فى المسجد نسبه غير المؤكد تاريخياً أن رفع له أحد الحاضرين لوحة كتب عليها خمسة أبيات من الشعر منها :

إنـا سمعنـا نسبـاً منكـراً يتلى على المنبر فى الجامع
إن كنت فيما قلته صادقاً فانسب لنا نفسك كالطائع

وقرأ الحاكم أبيات الشعر فأعلن غضبه على أهل مصر وأصدر قراراً لعبيده وجنده بإحراق القاهرة . . فأشعلت النار التى دمرت ثلث المدينة فنهبها اللصوص والعبيد وخرج كبار العلماء إليه يستغيثون فأصدر أمره بالعفو عنهم والكف عن عقاب المصريين نساء ورجالاً وأطفالاً ولكن بعد أن قتل منهم عددا لا يحصى . . واعتبرت هذه الحادثة من أبشع المصائب التى حلت بالبلاد .

ويقال إن ما فعله الحاكم فى أخريات سنين حكمه كان السبب المباشر الذى أدى لمصرعه . . . فقد وقفت ضده أخته (ست الملك) لما آل إليه حال البلاد من فوضى وخراب ومذابح ، وكذلك لما أشاعه عنها بما يشينها من صفات ، فدبرت قتله . . فقد اعتاد الحاكم أن يخرج للتنزه ليلاً ممتطياً حماراً بمنطقة حلوان وفى ذات مرة لم يعد الحاكم لقصره بعد تجواله . . فخرج الناس يبحثون عنه حتى وجدوا حماره مقتولاً مقطع الأرجل وبجواره ملابس الحاكم مضرجة بدمائه فعرفوا أنه اغتيل .

ويمكن القول إن الحاكم كان يعانى من مرض عقلى يسمى الفصام البارانى . . وهو مرض يتوهم فيه المريض أنه يعلم ما لا يعلمه الآخرون ، وأنه مثل الرسل منزه عن الخطأ ، وأن رأيه هو أفضل الآراء ، وأنه جاء لينقذ البشر من مصائب شتى . ولعل مما يعطى هذا الحكم بعض المصداقية ، هو أن بعض الناس فى مصر كانوا يعتقدون ان الحاكم سوف يعود على صورة المسيخ الدجال وأنه كان قد استنصر قبل مصرعه تمهيداً لتنفيذ المهمة الأكبر له . ولا شك لدينا أن هذا كله كان هراءً نتج عن سطوة الحاكم وبطشه وتأثيره الكبير على عقول السذج من عامة الناس .

٩ ـ بدأ الشطر الثانى من حكم دولة الفاطميين بما يسمى عصر نفوذ الوزراء ، والمقصود بذلك أن يحكم مصر وزير تكون له السلطات الكافية فى تنفيذ ما يراه مناسباً لتسيير الأمور . . وهذا المنصب بطبيعة الحال لا يلغى منصب الخليفة الفاطمى .

ولهذا فكثيراً ما كان يقوم الصراع بين السلطتين سلطة الوزير وأعوانه وسلطة الخليفة الفاطمى وأبنائه ومعاونيهم .
ولقد بدأ عصر نفوذ الوزراء هذا بظهور الوزير (بدر الجمالى) الذى قام ببعض الأعمال البنائية فى القاهرة مثل السور الحجرى الذى كان يحيط بها ، وقام بالإنفاق على ترميم وتجديد أبواب القاهرة مثل باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة . . واستمرت أعماله تلك إلى أن مات عام ١٠٩٦ ميلادية فخلفهُ ابنه الأفضل وزيراً على مصر ، فهيأ الأمر لنفسه حتى مات الخليفة الفاطمى (المستعلى) سنة ١١٠٤ فجاء بعده كخليفة للدولة الفاطمية ابنه (الآمر) الذى كان طفلا فى الخامسة من عمره .
ولما بلغ (الآمر) من العمر مبلغ الشباب وجد أن (الأفضل) قد استحوذ على كل السلطات فسعى للإطاحة به . ولكن (الأفضل) كان من القوة بحيث فوت الفرصة على الخليفة . . بل انه ذهب إلى أبعد من ذلك بتخليه عن اعتناق المذهب الشيعى بكل صوره وأركانه . . مما دفع (الآمر) إلى تدبير خطة جديدة لقتل (الأفضل) بعد عشرين عاماً من توليه وزارة مصر . . ولكى يبعد الخليفة الفاطمى عن نفسه تهمة التآمر فقد قام فيما بعد بالقصاص من بعض رجال الباطنية .

١٠ ـ ولكن ذلك القصاص ترك واحداً مهماً من الذين قتلوا الأفضل وهو (المأمون بن البطائحى) فعينه الخليفة (الآمر) وزيراً على مصر على أن يكون تحت سيطرة (الآمر) ولقد اكتشف (البطائحى) عداوة (احمد) ابن الوزير (الأفضل) . . تلك العداوة التى أظهرها الابن علناً للوزير الجديد حتى استطاع قتله والقصاص من قتلة أبيه . . . ولكنه فعل ذلك ليس فقط بسبب الثأر ولكن لكى يعطى للخليفة كل السلطات التى كانت للبطائحى . . .
وبالفعل فبعد اغتيال البطائحى انتقلت سلطات الحكم كلها تقريباً إلى يد (الآمر) الذى منح أحمد بن الأفضل بعضاً منها على سبيل التكريم . ولكن (الآمر) اغتيل هو الآخر . . يقول ابن إياس : «فلما قتل (الآمر) الوزير البطائحى لم يقم بعده إلا مدة يسيرة وقتل هو الآخر ، وكان سبب قتله أنه توجه إلى بر الروضة على سبيل التنزه ، فأقام هناك يوما وليلة ، فلما رجع إلى القاهرة مر على جسر الروضة الذى كان بالقرب من الجزيرة الوسطى

فلما عبر الجسر وثب عليه جماعة من العبيد السود فضربوه بالسكاكين ليلا
ـ وكان سكران ـ فوقع عن فرسه فحملوه إلى القاهرة وطلعوا به إلى
قصره فمات لوقته ، فكانت وفاته فى ليلة الثلاثاء العشرين من ذى القعدة
سنة أربع وعشرين وخمسمائة من الهجرة ، وكانت مدة خلافته بمصر نحو
تسع وعشرين سنة وشهرين ، ومات من غير ولد فتولى من بعده ابن عمه
المستنصر بالله (الحافظ)» . بعد ذلك سارع أحمد بن الأفضل بفرض نفوذه
وسيطرته على مصر وقطع أكثر صلاته مع الدولة الفاطمية والخليفة الفاطمى
الجديد (الحافظ) ، وكان يأمل من ذلك أن يبعد خطر الخليفة عنه ولكن
دارت الدائرة عليه عندما تخلص (الحافظ) منه باغتياله .

١١ ـ وعندما اختفى أحمد بن الأفضل من الحياة من مصر اعتقد الخليفة الفاطمى
أن مصر ستكون له . . ولكن لم يحدث ذلك كما تصور الخليفة حيث وقف
الأرمن خلف (بهرام)الأرمنى ليكون وزيراً على مصر . . وهذا ما حدث فكثر
عدد الأرمن فى البلاد فعاثوا فيها فساداً واستبدوا بالمسلمين غاية استبداد .
وهرع لنجدة المسلمين (رضوان بن الولخشى) وكان والياً على الغربية فهزم
الأرمن بقيادة (بهرام) الذى فر إلى جنوب مصر (أسوان) . وحل محله فى
الوزارة (رضوان) الذى اختار لنفسه لقب الملك فكان ذلك غريباً على سمع
الخليفة الفاطمى إذ أنها أول مرة يطلق فيها ذلك اللقب إبان حكم الخلفاء
الفاطميين . ويبدو أن رضوان استخدم ذلك لإغضاب الخليفة . وأضاف
عليه تجريد الخليفة من نفوذه فغضب الخليفة عليه وساعد (بهرام) مرة أخرى
ليقف فى وجهه فانتصر عليه وقتله .

١٢ ـ مات الحافظ بعد ذلك وخلفه (الظافر) ابنه فى خلافة الدولة الفاطمية . ولم
يكن هناك وزير فى مصر ، بل حدث نزاع مرير شرس بين (ابن السلار)
و (ابن مصال) . . واختار الظافر أن يساعد ابن مصال ليجعله وزيراً وأسفرت
هذه المساعدة عن قتل (ابن السلار) وعين الآخر وزيراً على مصر . ومضى
بعض الوقت قبل أن يقتل (ابن مصال) . وتدهورت الأمور وكثر الخلاف وزاد
تدخل الصليبيين الذين كان لهم بعض الأتباع فى الشام فقتل الخليفة
(الظافر) ، على يد شخص يدعى (نصر بن عباس) الذى لم يكتف بقتله
الخليفة بل قتل كذلك ابنيه وبعض أقربائه ومعاونيه . ولما أدرك المصريون

بشاعة المذابح ثاروا ضد عباس وطاردوه إلى أن قتلوه . . وبحثوا عن ابنه إلى أن وجدوه فصلبوه ومثلوا به تمثيلاً .

١٣ ـ عاشت مصر فى فوضى سياسية بعد مقتل الخليفة (الظاهر) وابنيه ، إلى أن تسلم الوزارة فى مصر (طلائع بن رزيك) . ومع انه ليس مصرياً فى الأصل بل إنه من الشيعة الذين عاشوا فى العراق إلا أنه أوضح وده للفاطميين فسمى بالملك الصالح .

وجاء (الفائز) كخليفة للفاطميين وعمره خمس سنين فأعاد النظام ـ بمساعدة معاونيه ـ إلى أن مات ، فخلفه (العاضد) فى الخلافة سنة ١١٦٤م وكان طلائع لايزال وزيرا على مصر . . وحدث أن تزوج الخليفة العاضد ابنة الوزير (طلائع) ليجعل من هذا الزواج وسيلة يضغط بها على الوزير ليخفف من سلطته ونفوذه وبعد ذلك قتله . . ولما قتل الوزير (طلائع) كان ابنه (العادل) جاهزاً ليحل محل أبيه فى الوزارة وليعد العدة لأخذ ثأر أبيه . . وهنا جاء أحد أمراء الصعيد الأقوياء ويسمى (شاور) فقتل (العادل) قبل أن يثأر لأبيه وحل محله فى وزارة مصر .

١٤ ـ كانت الدولة الفاطمية على وشك الأفول . . . فقد تهيأت كل سبل الفناء لها ولم يبق غير فصل أخير دموى لتطوى صفحاتها فى التاريخ .

لقد كان فى وزارة مصر (شاور) القاتل الذى اغتال (العادل) ولم يكن هذا القاتل مجرماً فحسب مع الوزير (العادل) بل إنه حاول البطش بأهل مصر هو وأولاده .

وظهر أمير من المغاربة الفاطميين يسمى (ضرغام) ساءه أن يرى تفشى الظلم فهجم على (شاور) وخلعه من وزارة مصر ، فهرب الأخير إلى الشام طالباً تدخل حاكمها (نور الدين) ويهيىء له فتح مصر واحتلالها . ولما شعر (ضرغام) المغربى بالخطر لم يجد أمامه غير الصليبيين لكى يساعدوه . وسرعان ما وجد (شاور) ومعه (نور الدين) نفسيهما أمام (ضرغام) ومعه الصليبيين . وشهدت مصر ويلات عصيبة من جراء هذا التدخل الأجنبى بالرغم من مقتل (ضرغام) ومن بعده (شاور) . . إلى أن تولى (صلاح الدين) ابن (شيركوه) وزارة مصر فأعاد للبلاد بعض الاستقرار والأمن .

الاغتيالات السياسية فى عصر المماليك :

تم جلب المماليك إلى مصر بصورة منتظمة خلال عهد الدولة الأيوبية . . ولكنهم ـ أى المماليك ـ أخذوا يحكمون مصر حكماً فعلياً فى عام ١٢٥٠م (أى فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى) . . وكان أول سلطان لهم هو عز الدين أيبك التركمانى الذى حكم البلاد ما يقرب من سبع سنوات .

ويمكن تقسيم حكم المماليك لمصر إلى ثلاثة عهود أساسية هى عهد دولة المماليك التركية (وتسمى أيضا المماليك البحرية) وقد استمر حكم هذه الدولة للبلاد منذ عام ١٢٥٠ إلى عام ١٣٨١ ميلادية . أما العهد الثانى لحكم المماليك لمصر فكان يسمى عهد دولة المماليك الشراكسة (وتسمى أيضا بالمماليك البرجية) واستمر حكمهم منذ عام ١٣٨٢ وحتى عام ١٥١٦ ميلادية . . عندما بدأ الحكم العثمانى لمصر . أما العهد الثالث للمماليك فى مصر فيسمى عهد المماليك العثمانيين ، وقد استمر (تحت نفوذ الدولة العثمانية) منذ عام ١٥١٧ وحتى عام ١٨٠٥ ، وهو العام الذى تولى فيه محمد على حكم مصر .

ويعتبر عهد المماليك كله تقريباً عهداً مظلماً ـ مثله فى ذلك مثل العهد العثمانى ـ بكل معانى هذه الكلمة . . فلم يكن المماليك يهمهم الارتقاء بمصر وشعبها . . بل كانوا مهتمين فقط وعلى مدار السنين بمنافعهم وأهوائهم الخاصة فحسب . وفي كل عام كان حكم المماليك لمصر يمتد ، كان المصريون يزدادون تخلفاً وتراجعاً فى ذات الوقت الذى كان فيه الأوربيون يزدادون رقياً وعلماً وتطوراً .

ولقد حدثت عمليات اغتيال سياسى لا تحصى فى فترات حكم المماليك لمصر ، وهذا لأن الاغتيال السياسى كان يستخدم ضمن عمليات أكبر وأخطر أثراً ، مثل المعارك المستمرة والحروب التى نتجت عن عدم الاستقرار السياسى ، والنهم والطمع وانتشار الدسائس والفتن والحكم الفوضوى للبلاد .

ولقد اغتيل الكثيرون من حكام المماليك لمصر . . ليس بعمل فردى فحسب يدبره مجموعة من المجرمين الخطرين . . ولكن لأن المماليك كانوا يعادون بعضهم بعضاً . . فيشنون الحملات وينظمون الخطط ويجمعون السلاح لكى يبيد بعضهم البعض الآخر .

ولا يمكن للباحث فى تاريخ مصر والذى يرصد عمليات الاغتيال السياسي أن يجد كماً هائلاً من حالات الاغتيال كما يجدها فى عصر المماليك المظلم هذا . . فإذا كان أغلب حكامهم لمصر قد اغتيلوا ـ نتيجة المؤامرات التى تحاك ضدهم ـ فلنا أن نعتقد أن كبار أمرائهم فى عهود هؤلاء الحكام كان اغتيالهم يعد أمراً أكثر يسراً وأكثر حدوثاً .

وفى الصفحات القادمة سنعرض لأهم حالات الاغتيال السياسى التى تعرض لها حكام المماليك لمصر :

● تعرضت مصر لحملة صليبية مدمرة كان يقودها الملك لويس التاسع واستطاعت القوات الغازية احتلال مدينة دمياط ، فخرج إليهم الملك الصالح على رأس جيش كبير قوى مدعم بالمماليك (الذين كان الملك الصالح يجلبهم للبلاد) ، واستمر قتال الأعداء أكثر من عام إلى أن مات الملك الصالح ، فأحست شجرة الدر (زوجته) أنها إذا أعلنت خبر وفاة الملك فإن هذا سوف يؤثر على مشاعر الجيش المصرى مما يضعفه أمام الأعداء الغازين . فقام بقيادة الجيش ابن الملك الصالح توران شاه . . فانهزم الأعداء وأسر ملكهم ـ وكان فرنسياً ـ وبعد انتهاء المعارك واستقرار الأمور تولى توران شاه حكم مصر . . ولكنه شعر تجاه المماليك وشجرة الدر بالريبة . . وشعروا هم كذلك تجاهه بنفس الشعور . . فقام المماليك بالاتفاق مع شجرة الدر باغتياله . . وكان ذلك بعد أقل من ثلاثة أشهر من تنصيبه ملكاً خلفاً لأبيه .

وقام المماليك بتعيين شجرة الدر ملكة على مصر فثارت ثائرة الخليفة العباسى لرفضه أن تتولى الحكم امرأة . . فقامت شجرة الدر بإعلان زواجها من عز الدين أيبك (وهو مملوكى) حتى تحكم هى من ورائه لما أحست فيه من الضعف وعدم الحنكة السياسية . ولكن أيبك شعر بالغرض الذى من أجله تزوجته شجرة الدر ، فحاول أن يبتعد عن وصايتها وتدخلها فى الحكم إلا أنها لم تكن مستعدة لكى تتركه ينفرد بالحكم فدبرت قتله ، وكان بالتالى أول سلطان مملوكى لمصر يتم اغتياله . وقد تولى من بعده ابنه المظفر على ، ولكن لما جاءت هجمات التتار عين بدلاً منه المظفر قطز (سيف الدين قطز) فهزم التتار بعد أن هدموا بغداد ودمشق وبيت المقدس ، وكان ذلك النصر فى موقعة عين جالوت . وفى أثناء

حروب التتار ظهرت شخصية الظاهر بيبرس الذى طارد التتار فيما وراء بلاد الشام والعراق ، وكان الخليفة قد أوقع فيما بين قطز وبيبرس بعد انتصارهما ، فقام بيبرس بتدبير مؤامرة لقتل قطز ، وتم له هذا فعلاً عام ١٢٥٩ ، وأصبح بيبرس سلطاناً على مصر ولقب بالظاهر . وقد استمر فى حكم البلاد إلى أن مات عام ١٢٦٠ ، فتولى بعده ابنه السعيد ناصر الدين ، ثم تولى شقيقه الملك العادل سلامش الذى كان صغيراً فى السن وكان الوصى عليه المنصور قلاوون فاستطاع قلاوون أن يستبد بأمور الحكم ، وهيأ الأمر لنفسه ولرجاله المقربين إلى أن أطاح بحكم العادل وتولى حكم مصر .

ويتعبر السلطان قلاوون هو مؤسس دولة المماليك التركية التى استمر حكمها من عام ١٢٧٩ إلى عام ١٣٨١ بدون انقطاع تقريباً ، فأخذ يستجلب المماليك الترك ويدربهم ويعدهم لحمايته وحماية دولته وأسلافه من بعده .

تولى السلطان خليل حكم مصر بعد وفاة أبيه السلطان قلاوون . . وأخذ يكثر من جلب المماليك الشركس . . ولكنه خالف أباه فى أمر الإبقاء عليهم فى القلعة . . فسمح لهم ببعض الحريات خارج حصون القلعة مما زاد من حبهم له وتعلقهم به . وحدثت مؤامرة ضد السلطان خليل دبرها ضده الأمير بيدرا والأمير لاجين فقاما بقتله رغبة فى تولى حكم البلاد . وقد استمر حكم السلطان خليل من عام ١٢٩٠ وحتى عام ١٢٩٣ ميلادية .

● فى عام ١٢٩٦ تولى السلطنة الأمير لاجين . . وكان النزاع لا يزال مستمراً بين المماليك الذين ينتمون لدولة السلطان قلاوون ، والمماليك الشراكسة وهم الفئة الجديدة من المماليك الذين يبغون الإطاحة بالفئة الأولى . وقد أثرت هذه المنازعات على سلطة الأمير لاجين ، فبدا ضعفه أمام المماليك الشراكسة أعدائه (المماليك البرجية) واتفقوا مع خادم بقصره على أن يسهل لهم الدخول ليلاً لاغتيال الأمير . . وقد نجحوا فى ذلك وقتلوه قبل أن يقوم للصلاة ، وكان ذلك عام ١٢٩٩ .

أخذ نفوذ المماليك البرجية يقوى بعد مقتل الأمير لاجين . . وحين تولى حكم مصر السلطان الناصر محمد عام ١٢٩٩ دفع بهم فى جيش المماليك الترك وصد عدوان على سوريا مما أهلهم إلى تولى مراكز قيادية فى مصر وسوريا معاً . .

وهذا جعل المماليك الترك فى موقف سيىء ، فنازعوا المماليك البرجية على المناصب والأراضى والأموال . . ولما شعر السلطان الناصر محمد بالخطر ، قام بالتنازل عن العرش ، فتولاه بعد السلطان بيبرس الجاشنكير (المظفر ركن الدين الجاشنكير) مما رفع أسهم المماليك البرجية بالرغم من رفض الشعب المصر ى له ، وتظاهرهم ضده . ولهذا قام جاشنكير بقمع المظاهرات بالقوة . . فما كان من المصريين والمماليك الترك إلا أن ازدادوا فى التظاهر والرفض مطالبين بعودة السلطان الناصر محمد لكونه من أسرة السلطان قلاوون السلطان الشرعى للبلاد . . وأخذت المظاهرات تنتشر حتى وصلت عدواها إلى سوريا ، التى كان نفوذ المماليك الترك فيها قويا ، فشعر المماليك البرجية بالخطر فأقنعوا سلطانهم بيبرس الجاشنكير بالخروج من البلاد . وعاد الناصر محمد سلطاناً على مصر ، ولكنه عاد ليغير من طبيعة معاملته للمماليك البرجية ، فشتتهم ، وقتل منهم الكثيرين وقبض على زعمائهم وقتلهم غرقاً فى نهر النيل .

● وبالرغم من المذابح الدموية التى تعرض لها المماليك البرجية فى مصر لرغبتهم فى الإطاحة بحكم دولة قلاوون (المماليك الترك) . . فإن بعضهم لجأ إلى المؤامرات والدسائس . . ونحن نعلم أن المؤامرات والدسائس تنجح فى إيقاع الأذى بأنظمة الحكم الضعيفة التى يكثر فيها الانتهازيون . . وقد نجحت الدسائس والمؤامرات التى قام بها المماليك البرجيه للإطاحة بنظام حكم السلطان الكامل شعبان (شعبان بن الناصر محمد ١٣٤٥ ـ ١٣٤٦) . . فقد كان شعبان مفتوناً بالثراء وتكنيز الأموال . . فأوقع المماليك البرجية بينه وبين أعوانه من المماليك الترك ، فأعلنوا عصيانهم عليه بحجة حجبه لرواتبهم ، فقبضوا عليه وتخلصوا منه .

وعندما عين المظفر حاجى عام ١٣٤٦ سلطاناً على مصر كان نفوذ المماليك البرجية قد عاد إلى قوته وبطشه . . لدرجة أن السلطان كان قد اختار أميراً من أفراد البرجية نائباً له . . فغضب المماليك الترك على تصرف سلطانهم ، وأقنعوه بالتخلص منه وقتله وتم لهم ذلك . . ومع هذا فيبدو أن المماليك الترك لم يقنعوا بهذا ، فانقلبوا على سلطانهم ، فقام بالانتقام منهم بالنفى والقبض عليهم . . فما كان منهم إلا أن أعلنوا الحرب عليه ، فأسروه وقتلوه . . وكان ذلك عام ١٣٤٧ .

ولقد أدى ذلك إلى ازدياد نفوذ المماليك الترك حتى إنهم عينوا سلطاناً جديداً يسمى السلطان حسن ، وكان فتى فى الثانية عشرة من العمر وذلك ليكون

ألعوبة فى أيديهم ليتمكنوا من تشتيت المماليك البرجية . . ويستحوذوا على الأموال والأراضى التى كانت لهم . . ثم قاموا بخلع السلطان حسن وعينوا شقيقه الصالح صلاح الدين سنة ١٣٥١ سلطاناً على البلاد ، ثم خلعوه ، وأعادوا السلطان حسن مرة أخرى سنة ١٣٥٤ ، واستمروا أثناء سنوات حكمه التى امتدت سبع سنوات يمارسون كل أنواع الفساد وصور الجشع إلى أن اختلفوا معه وقتلوه سنة ١٣٦١ .

● وحكم بعده السلطان شعبان (الأشرف شعبان) سنة ١٣٦٣ وكان عمره حينئذ عشر سنين . . فقام الأمير يلبغا (وهو من كبار أمراء المماليك الترك) بالوصاية على السلطان ، فجمع حوله المماليك وشعر بقوته وثرائه ونفوذه فسيطر على أحوال البلاد ، وقلد مماليكه (اليلبغاوية) أكبر المناصب بالدولة . . ولكن استقرار الأحوال للأمير يلبغا لم يدم طويلا ، فقد حدث تمرد من مماليكه بسبب قسوته عليهم . . وعلم السلطان شعبان بازدياد كراهية مماليك يلبغا له . . وقامت معركة بين الطرفين ، انتهت بأسر يلبغا فأمر السلطان بقتله سنة ١٣٦٧ ، وعندما تخلص السلطان شعبان من عدوه الأول ، وجد أن من عاونوه على ذلك من مماليك الأمير يلبغا (وهم جميعاً من المماليك الترك) يريدون التخلص منه كذلك ، ووقف الشعب مع السلطان ضد المماليك اليلبغاوية ، فانتصر السلطان وقبض على العديد من أمراء اليلبغاوية فقتلهم ونفاهم ، ولكنه استبقى قلة منهم لما أحس فيهم الإخلاص له . . وبمرور الوقت استتبت الأوضاع ، واستطاعت الفئة من المماليك التى كان السلطان شعبان قد استبقاها بجواره أن تقنعه بعودة المماليك المنفيين خارج مصر . . فعادوا ، وعاد معهم ـ من جديد ـ الكثير من المماليك البرجية . . وبدأت الدسائس والمؤامرات من جديد إلى أن نجح مماليك يلبغا والمماليك البرجية من إحداث ثورة فى القاهرة ، ساعد عليها مساعدة مباشرة مملوك يسمى برقوق ، وأشيع بين الناس أن السلطان شعبان قد مات وهو فى طريقه للحج ، وعينوا ابنه (أمير على) سلطاناً على مصر . . ولم يكن السلطان شعبان قد مات أو قتل ، ولكنه كان خارج القاهرة فلما سمع بالثورة فى القاهرة سار إليها ، واكتشف أن الأمر قد خرج عن نطاق قدراته فهرب واختبأ . . ولكن مماليك يلبغا وجدوه وهو متنكر فى ملابس النساء ، فاعتقلوه بالقلعة وعذبوه ، ثم قتلوه ، وكان ذلك عام ١٣٦٣

● وانتهت دولة المماليك البحرية (التركية) بانقضاء عصر كل من السلطان علاء الدين (١٣٧٧ - ١٣٨١) ، والسلطان زين الدين حجى (١٣٨١ - ١٣٨٢) ، وقد حكم كل منهما بدون أن يكون له سلطات تقريباً فى الحكم أو الإدارة .. حيث كانت المعارك المتقطعة والمستمرة تدور بين المماليك الاتراك من ناحية ، والمماليك البرجية واليلبغاوية (نسبة إلى الأمير يلبغا الذى سبقت الإشارة إليه فى عصر السلطان شعبان) من ناحية أخرى ..

وقد ظهر فى سياق هذه المعارك شخصية مملوكية (برجية) قوية ألا وهى شخصية الظاهر برقوق .. فاستطاع فى نهاية حكم زين الدين حاجى (وهو آخر سلاطين المماليك الترك) أن يسيطر على الأحوال السياسية والعسكرية فى مصر وعزل زين الدين حاجى ، وأصبح سلطاناً على مصر. وبهذا تأسست فى مصر دولة مملوكية جديدة تسمى دولة المماليك البرجية (الشراكسة) .. ومع ذلك فهى - كما سنرى - لم تختلف كثيراً عن الدولة التى سبقتها ..

● كان السلطان برقوق تواقاً للإكثار من المماليك لكى يثبت مملكته الجديدة بعد أن استطاع إنهاء حكم دولة المماليك الأولى عام ١٣٨٢ ، وهو بالتالى مؤسس لدولة المماليك الثانية (الشركسية) التى امتد حكمها لمصر حتى دخول الأتراك العثمانيين للبلاد عام ١٥١٧ .

ولقد استمر حكم السلطان برقوق لمصر سبع عشرة سنة أظهر فيها قوة وبأساً وحنكة ودهاء .. وهى صفات تليق بمؤسسى الدولة القوية التى تظهر لأول مرة .

وعندما مات السلطان برقوق عام ١٣٩٩م خلفه فى حكم مصر ابنه الناصر فرج وكان عمره عشرة أعوام .. ولهذا فلم تكن المؤامرات المعروفة عن المماليك بعيدة عنه .. فكثرت ثورات الأمراء الشراكسة فى أقاليم مصر والشام إلى أن ضاق الناصر فرج بهم فترك عرشه لأخيه عبدالعزيز الذى وافق عليه الأمراء الشراكسة ليكون حاكماً لمصر .. وكان هو الآخر صغيراً فى السن فوقف الأمير بيبرس الأتابك وصياً على عرشه . ومع ذلك فلم يكن الأمر مهيئا للحاكم الجديد .. حيث أن أعوان الناصر فرج كانوا يريدون عودته للحكم مرة أخرى حتى يفوزوا بمغانم السلطة وقوة النفوذ .. وحدث قتال بينهم وبين أعوان المنصور عبدالعزيز انتهى بعودة فرج للحكم ، فقام بسجن شقيقه فى أحد سجون الاسكندرية ثم

قتلهما بعد ذلك . ومع ذلك فلم يكن الناصر فرج حاكماً قوياً كأبيه ، فقد حدثت فتنة فى الشام قتل على إثرها حاكمها الشركسى الأمير العادل ، وزحفت جيوش الثائرين على مصر فأرسل فرج جيشه لمقاتلتهم . . ولكن يبدو أن أعداء فرج استطاعوا إقناع الخليفة العباسى المستعين بالله بسوء تصرفات فرج وقسوته وإمعانه فى الملذات فعزل من منصبه ثم قتل . . وكان أول سلاطين دولة المماليك الثانية الذين يتم قتلهم . وتولى الخليفة العباسى بنفسه حكم مصر سنة ١٤١٢م وهو يعلم انه لن يحكم البلاد حكماً فعلياً . . ولهذا فقد تنازل عن الحكم إلى الشيخ المحمودى (المؤيد) فى نفس العام .

● كان الخليفة العباسى (المستعين بالله) قد قبل الإشراف الصورى على حكم مصر على أساس أن يقوم والى الشام نوروز بحمايته فى مصر . . ولكن عندما تم إجبار الخليفة على التنازل عن عرش مصر إلى المؤيد (وهو من أمراء المماليك الشركس) غضب نوروز من هذا وأظهر عداوته للمؤيد . . فقام المؤيد بتدبير خطة لقتل نوروز فى الشام وتم له ذلك بالفعل واستطاع بالتالى أن يسيطر على الأمور فى مصر والشام سيطرة كاملة طوال سنوات حكمه حتى وافاه الأجل عام ١٤٢١ .

● حكم البلاد بعد المؤيد الأمير المظفر أحمد بن المحمودى ، وكان صغير السن ، وبجواره كان الأمير ططر أتابك وصياً على العرش فاستبد فى الحكم حتى أنه قام بالزواج من أم المظفر أحمد وعندما بدأت المؤامرات تحاك ضده ، قام بعزل أحمد عن عرشه فقتلته زوجته (أم أحمد) .

● استتب الأمر للأشرف إينال فى حكم مصر سنة ١٤٥٣ ، وأظهر قسوته على الجنود ، وأنقص رواتبهم وأهمل شئونهم ، مما انعكس على حالة الأمن فى البلاد ، فكثرت السرقات وساد الظلم والتمرد والعصيان ، إلى أن حدثت مؤامرة من مماليكه فأطاحوا به ، وخلعوه عن عرشه . . وجاءوا بابنه المؤيد أحمد فى الحكم سنة ١٤٦١ ولكنهم عزلوه كأبيه ليظهروا سيطرتهم على البلاد .

● وتولى الظاهر خوشقدم حكم مصر بعد ذلك بموافقة المماليك سنة ١٤٦١ فاستمر يحكم البلاد فى هدوء نسبى إلى أن مات عام ١٤٦٧ فأعلن المماليك موافقتهم على أن يحكم مصر الظاهر يلباوى ، وكان أميراً ضعيفاً حاصرته الآراء

المتصارعة فانتهى به المطاف إلى السجن ، وأتى المماليك بأمير ضعيف آخر يسمى تيمور بغا الظاهرى سنة ١٤٦٧ .

● وإزاء هذا الضعف الظاهر فى دولة المماليك كان لابد أن يظهر مملوك قوى ذو شكيمة وبأس ، يتمكن من أن يرسخ قواعد الدولة ويحميها من الاندثار . . وكان هذا هو الدور الذى لعبه الأشرف قايتباى . . فهو أمير مملوكى شركسى قوى استطاع أن يعزل تيمور بغا ، وإنهاء الفتن وكان ذلك فى عام ١٤٦٨ .

● ويندر أن نجد سلطاناً مملوكياً استمر حكمه لحوالى تسعة وعشرين عاماً متواصلة بدون أن يتعرض هو أو نظام حكمه لمخاطر جسيمة . . ولأن الحكم فى مصر قد استقر لقايتباى ، فان دولته كانت قوية فتية منتصرة . . فقد خاضت جيوشه حروباً منتصرة ضد القبائل التركمانية ، وضد العثمانيين . . وإذا كان هذا قد رسخ اسمه فى سجل القواد العظام الذين حكموا مصر . . فإن الحروب أضرت باقتصاد البلاد مما جعل المماليك فى حالة من الغضب والتمرد لقلة ما كانوا يحصلون عليه من رواتب ومنح . . ولكن رضخ المماليك مع ذلك لأمر مجلس القضاة والأمراء . . ورضوا بالصبر حتى تتحسن الأحوال .

● وفى عام ١٤٩٦ مرض قايتباى مرض الموت . . فبدأت المؤامرات تحاك من جديد بين المتنافسين على السلطنة وأعوانهم . . إلى أن مات قايتباى ، ونجحت فكرة أن يتولى ابنه الناصر محمد بن قايتباى حكم مصر . . ولكن لم يكن هناك أحد فى الواقع يستطيع أن يملأ الفراغ الذى ظهر بعد موت السلطان قايتباى . . فابنه محمد كان بدون قدرة على حكم البلاد . . فظهرت العيوب فى مسالكه ، والمساوىء فى توجهاته . . فأحاطت به فتنة دبرها له الوصى على العرش قانصوه الذى أخذ مكانه فى حكم مصر . . ولكن أنصار محمد بن قايتباى استطاعوا إعادته لحكم البلاد واغتيال قانصوه . . ولما كان محمد بن قايتباى صغير السن مشتت الفكر فإنه لجأ إلى العبث والملذات والقسوة على الجنود والرعية . . فساءت الأوضاع ، فصمم أمراء المماليك على التخلص من السلطان واغتياله ، وقام بتلك العملية أمير قوى يسمى طومان باى الذى رشح لحكم مصر الظاهر قانصوه الأشرفى خال الناصر محمد بن قايتباى وذلك فى عام ١٤٩٨ ، والذى كان ترشيحه لهذا المنصب مسألة اسمية حيث كان أمر الحكم الفعلى يعود إلى الأمراء المماليك

الذين جاءوا حيث كان أمر الحكم الفعلى يعود إلى الأمراء المماليك الذين جاءوا به للحكم . . واستمر حكمه إلى عام ١٥٠٠ عندما قام الأمراء بعزله ، وترشيح الأشرف جنبلاط حاكماً على مصر .

● ولما كان جنبلاط حاكماً ضعيفا . . فقد اجتمع المماليك وطلبوا أن يتولى طومان باى حكم مصر ، فوافق ، وسمى وقتئذ باسم العادل . وكان نائبه أمير مملوكى شركسى آخر يسمى قانصوه الغورى . . وكان أول شىء فعله طومان باى هو محاصرة الأشرف جنبلاط فى القلعة ثم سجنه وقتله فيما بعد ، ثم قام بالقبض على قائد الجنود وهو الأمير قصروه وقتله هو أيضاً . . فانتشرت فى البلاد صورة الغدر الذى أظهره طومان باى على قائد جنده . . فخشى أمراء المماليك على أنفسهم منه ، واجتمعوا عليه وحاصروه وقتلوه قبل أن يقتلهم وكان ذلك فى عام ١٥٠١ .

● ولما كان الغورى نائباً لطومان باى فقد أصبح ـ بعد مقتله ـ سلطاناً على مصر . . وأظهر من الحنكة والحكمة السياسية ما جعله يعتقد أن الخطر المحدق على دولة المماليك هو الخطر العثمانى ، فقام يحاربهم إلى أن سقط قتيلاً فى إحدى المعارك مع العثمانيين بسبب خيانة أقرب المقربين له فى الجيش مثل الأمير خايربك ، وچان بردى الغزالى .

● خلف الغورى فى حكم مصر طومان باى الثانى ، وكان ذلك فى عام ١٥١٦ وهو كما نرى آخر سلاطين المماليك فى دولتهم الثانية التى حطمها جيش عثمانى قوى بقيادة سليم الأول . . وبالرغم من الشجاعة والبسالة التى أظهرها طومان باى الثانى فى التصدى للعثمانيين والدفاع المخلص عن دولة المماليك الشركس إلا أن خلفاءه من أمراء المماليك خذلوه بوعودهم الكاذبة ودسائسهم وفتنهم وخيانتهم . . فكان مصيره الاعتقال والشنق على باب زويلة بالقاهرة . وكان ذلك فى سنة ١٥١٧ وهى السنة التى احتلت فيها مصر من قبل الأتراك العثمانيين . . لتبدأ فترة مظلمة فى تاريخ الشعب المصرى .

***

الاغتيال السياسى فى عهد الأتراك العثمانيين :

استمر حكم دولة المماليك الثانية (الشراكسة) مائة وتسعا وثلاثين سنة . . وانتهت بمقتل الغورى سنة ١٥١٧ ، وظهور حكم الأتراك العثمانيين لأول مرة فى مصر .

وإذا كان حكم المماليك مظلماً على المصريين ، إلا أنه لا يجب إنكار دورهم فى حماية البلاد الاسلامية كافة من هجمات مدمرة قام بها التتار والمغول والصليبيون حيث تصدى لهم المماليك بقوة وبأس فحفظوا البلاد والإسلام من غزوات الأعداء .

أما حكم الأتراك العثمانيين ففيه حدثت كل الكوارث والمصائب التى عاشتها البلاد العربية . . فبالإضافة إلى استعباد المصريين (وغيرهم من الشعوب العربية الأخرى) من قبل العثمانيين ، فإن البلاد تخلفت فى عصرهم المظلم الطويل . . وابتعدت عن ركب الحضارات الحديثة مما كبل الشعوب العربية ـ ربما حتى وقتنا هذا ـ بقيود الجهل والخرافات والفرقة .

ولو كان العثمانيون فى قوة المماليك الحربية لكانوا قد استطاعوا تحدى الاستعمار الأوروبى الذى احتل البلاد العربية ومزق وحدتها التاريخية وقسم البلد الواحد إلى دويلات بينها من صور التباين أكثر مما بينها من صور الاتفاق . . مما نرى بعض آثاره حتى يومنا هذا .

ولكى يحافظ الخليفة العثمانى على بقاء مصر تحت سيطرته قام بإضعاف البلاد ، فافرغها من كل المهن والحرف والصناعات التى كانت قد ازدهرت ابان حكم المماليك الطويل . . ونقل كل أصحاب تلك المهن إلى بلاده فقضى بذلك على الأسس الصناعية والفنية فى مصر .

ثم إنه ـ أى الخليفة العثمانى ـ قام بوضع نظام لولاته على مصر بحيث أنه كان يغيرهم بعد فترة وجيزة من توليهم الحكم وذلك لكى يضمن عدم قيامهم بتقوية البلاد اقتصادياً وعسكرياً مما يمكنهم من الاستقلال عنه والانفراد بمصر بعيداً عن حكمه . ويؤكد ذلك أن الكثيرين من الولاة العثمانيين لم تطل مدة حكمهم لمصر

أكثر من عام واحد . . وفى بعض الأحيان كان العام الواحد يمر وقد تغير فيه واليان اثنان .

وكان عدم ثقة الخليفة العثمانى فى ولاته وتقصير فترة حكمهم على البلاد دافعاً لهم لكى ينهبوا ثروة المصريين وكدهم وعرقهم فباتوا فقراء مقهورين يشتت أفكارهم الجهل ، ويحطم أجسادهم المرض .

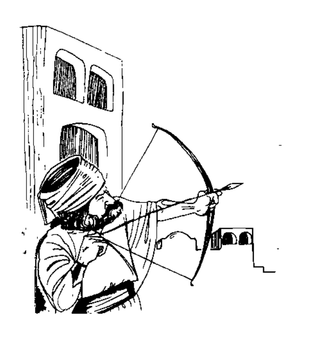
كذلك كان لقصر فترة حكم الولاة العثمانيين على مصر سمة أخرى ألا وهى قلة عدد حوادث الاغتيال السياسى لهم . . ففترة حكمهم البسيطة لم تكن تجعلهم فى موقف العداوة السياسية مع أحد تقريباً ، فمن حوالى مائة وعشرين والياً (من عام ١٥١٧ وحتى حكم مصر محمد على عام ١٨٠٥) لم يقتل من الولاة العثمانيين سوى ثلاثة فقط . نقدم فيمايلى عرضاً لهذه الحالات الثلاث من الاغتيال فى عصر الأتراك العثمانيين :

● محمود باشا . . الوالى السادس عشر من الولاة العثمانيين على مصر . . عين والياً بعد الوالى مصطفى باشا وذلك فى مايو ١٥٦٥ وبقى والياً على مصر إلى أن قتل فى يناير ١٥٦٧ ، ويبدو أن سبب اغتياله غير معروف على الإطلاق . . فقد أطلقت النار عليه بينما يسير هو وكبار مساعديه فى أحد الحقول فسقط صريعاً . . ولكن حراسه لم يجدوا للقاتل أثراً .

● ابراهيم باشا . . وهو الوالى الحادى والثلاثون من الولاة العثمانيين . . عين والياً بعد الوالى على باشا السلحدار وذلك فى مايو ١٦٠٤ . وبقى والياً على مصر إلى أن قتل فى سبتمبر ١٦٠٤ ، ويعود سبب قتله إلى العادة التى كانت متبعة فى مصر فى ذلك الوقت عند بدء استلام الوالى الجديد لعمله . . حيث كان يقوم بتوزيع مكافآت مالية على الجنود والعساكر الذين يستقبلونه عند توليه الحكم . . فعندما قدم إبراهيم باشا إلى مصر للمرة الأولى طالبه الجند بمكافآتهم ولكنه أبى أن يعطيها لهم فهجموا عليه وانتزعوها منه بالقوة . . ولما استتب الأمر له فى الحكم أخذ يضطهد الجنود ويقتل فيهم ويشنق منهم من أراد . . وفى ذات يوم بينما كان يسير مع قاضى الجنود بالقرب من منطقة بولاق هجمت عليه طائفة من الجند بسيوفهم فقتلوا الوالى وقاضى الجنود ، وقطعوا رأسيهما وساروا بهما فى شوارع القاهرة .

● غازى باشا بن شاه سوار العجمى ، وهو الوالى الستون من الولاة العثمانيين . . وقد عين والياً بعد الوالى مصطفى باشا الوزير فى سبتمبر ١٦٥٧ ، وبقى والياً على مصر إلى أن قتل فى يونيه ١٦٦٠ ويعود سبب قتله إلى نزاع شديد جرى بينه وبين حاكم مدينة جرجا (محافظة سوهاج اليوم) محمد بيك الذى سمع الوالى بثرائه وغناه وامتلاكه من الأموال والمجوهرات مالم يمتلكه غيره من حكام البلاد بما فيهم الوالى نفسه ، فخرج الوالى هو وجنده إلى جرجا فقتلوا حاكمها ونائبه فى ابريل ١٦٥٩ . . وعلم السلطان العثمانى بالأمر فأمر من مقر خلافته بقتل غازى باشا ، فاجتمع القوم حوله وسجنوه وصادروا أمواله ومجوهراته ثم قتلوه .

***



الفصل الرابع



الاغتيالات السياسية فى مصر منذ الحملة الفرنسية
وحتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢



توقفنا فى الفصل السابق عند حكم المماليك لمصر إبان عهد الدولة العثمانية . . وقد عرف القارىء قدراً كافياً من المعلومات عن مدى الصراع المستمر بين الأمراء المماليك وبعضهم البعض .

والآن نصل إلى فترة هامة للغاية من تاريخ مصر الطويل لها أثرها الواضح على كل مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الموجودة الآن فى مصر الحديثة . هذه الفترة التاريخية تبدأ من دخول الحملة الفرنسية مصر ، وهذا يعنى دخول محتل أجنبى مختلف فى العادات والتقاليد وأسلوب الحياة والدين عما كان موجوداً فى مصر منذ ما قبل القرن الثامن عشر . ثم ننتقل بعد ذلك لحكم محمد على لمصر ثم إلى خلفائه ، ثم الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ، والنضال الثورى المستمر لإنهاء الاحتلال والقضاء على الفساد . وسيتم التعرض لأهم الاغتيالات السياسية التى حدثت فى هذه الفترة لمعرفة ظروف الحياة وأسلوب الاغتيال .

الاغتيالات السياسية فى مصر أثناء الحملة الفرنسية :

كانت الاسكندرية مدينة صغيرة عندما اقترب من حدودها جيش نابليون المكون من ستة وعشرين ألف مقاتل . . وهو رقم كان أكثر من ضعف عدد سكان الاسكندرية فى ذلك الوقت .

دخل نابليون المدينة ممتطياً حصانه وهو على ثقة من أنه سيفتح الشرق بنفس النجاح الذى حققه على أعدائه فى أوروبا فى الغرب . . ولكن جاءه الرد

الذى عكر عليه أحلامه برصاصة قتلت أحد حراسه . واقتيد رجل مصرى وزوجته بتهمة ارتكاب هذا العمل البطولى ، وعذبا وقتلا ليكون عبرة للمصريين حتى لا يكرروا أعمال العنف ضد الفرنسيين .

وزع نابليون فى اليوم التالى منشوراً على المصريين يذم فيه حكم المماليك الظالم ويعدهم بحسن المعاملة ويخبرهم بأنه هو وكل الفرنسيين مسلمون ، وبأنه يؤمن بالله وبالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن .

وكان يحكم مصر يومئذ المماليك . . وكانوا فى حالة من الضعف بحيث لم يتمكنوا من صد جيوش نابليون المسلحة تسليحاً حديثاً لا قبل لهم به . . ففروا إلى صعيد مصر . . وإلى سوريا وتركوا شعب مصر وجهاً لوجه أمام قوات وأطماع القوات الغازية .

وظهر زعماء مصر من علماء ورجال الدين بالأزهر الشريف وكانوا زعماء أتقياء ومخلصين للشعب الذى التف حولهم ، فتبرع الأغنياء بالمال والذخيرة والسلاح . وخرج الشباب والرجال من كل البقاع للدفاع عن البلاد . وظهر الزعيم محمد كريم ليواجه الفرنسيين فى الاسكندرية وقاومهم مقاومة عنيفة ، ولكن لم تصمد المقاومة طويلاً أمام زحف الجيش وقصف المدافع وكثرة المهاجمين واعتقل محمد كريم وخير بين الغرامة والقتل فاختار القتل . ونفذ فيه حكم الإعدام رمياً برصاص البنادق فى السادس من سبتمبر سنة ١٧٩٨ . ـ أى بعد حوالى شهرين من وصول نابليون إلى مصر ـ ويروى الجبرتى مشهد الإعدام كمايلى : «فلما كان قرب الظهر ، وقد انقضى الأجل أركبوه حماراً ، وأحاط به عدة من العسكر وبأيديهم السيوف المسلولة ، ويتقدمهم طبل يضربون عليه ، وشقوا به الصلبية (حى الصلبية) إلى أن ذهبوا إلى الرميلة (وهو حى كذلك) وكتفوه وربطوه مشبوحاً ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ، ثم قطعوا رأسه ورفعوها على نبوت ، وطافوا بها فى جهة الرميلة ، والمنادى يقول : «هذا جزاء من يخالف الفرنسيين» . وهكذا حاول نابليون إرهاب المصريين بقتل زعيمهم وحرق مدنهم وقراهم ولكن لم تمض أسابيع قليلة إلا وقام الأسطول البريطانى بتدمير وإغراق الأسطول الفرنسى . وبهذا انقطعت سبل الاتصال بين الفرنسيين فى مصر وبين بلدهم فرنسا . فما كان من نابليون وجنوده إلا أن أخذوا فى استمالة المصريين .

ولكن لم يكن للمصريين أمل إلا إخراج جنود الاحتلال وتطهير مصر من دنسهم ، فقامت ثورة القاهرة الأولى فى ٢٢ أكتوبر ١٧٩٨ وربما يعود سبب قيام الثورة من القاهرة وليس من أى مكان آخر إلى كبر عدد سكان القاهرة الذى بلغ وقتئذ حوالى (٣٠٠ ألف نسمة) فقتل من جراء تلك الثورة عدد كبير من الفرنسيين منهم الحاكم العسكرى الفرنسى للمدينة ، الجنرال (ديبوى) ، وقتل ياور نابليون ورئيس حرسه الشخصى . فاستشاط نابليون غضباً وأمر بقصف القاهرة بالمدافع التى نصبت بالقلعة وغيرها من المناطق المرتفعة . . وتطايرت القذائف لتهدم أحياء القاهرة وتقتل الألوف من السكان تحت الانقاض . ويعلق الجبرتى على ما حدث بعد ذلك بقوله : «فلما عظم الخطب ، وزاد الحال والكرب ، ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمى المتراسل . فلما ذهبوا إليه عاتبهم على التأخير ، واتهمهم بالتقصير ، فاعتذروا إليه ، فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم ، فقاموا من عنده وهم ينادون بالامان فى المسالك (أى الطرق)» .

وتم إعدام جميع زعماء الثورة الأولى ضد الفرنسيين بالإضافة إلى عدد القتلى من المصريين الذين بلغ عددهم أربعة آلاف شهيد . ولكى يكيد نابليون وجنده من المصريين كيدا دخلوا الأزهر الشريف بخيولهم وعاثوا فيه فساداً .

سكنت الأمور بعض الشىء فى مصر . . ولكنها لم تسكن خارجها فقد تضافرت انجلترا . . بعد تدميرها للأسطول الفرنسى ـ مع الدولة العثمانية وأعلنتا الحرب على فرنسا . . فسافر نابليون إلى بلده تاركاً الحملة الفرنسية لقيادة الجنرال (كليبر) بعد أن هزم من الجيش العثمانى قرب عكا ، وكان كليبر يشجع فكرة سحب جيش الشرق الفرنسى من مصر فخاطب حكومة بلاده بشأن التفاوض مع العثمانيين والإنجليز للسماح له بالخروج من مصر . ولكن العثمانيين ساروا بجيش تجاه مصر فلقيهم كليبر وألحق بهم هزيمة قاسية . ولكن هزيمة العثمانيين أثارت المصريين فى القاهرة فقاموا بثورة القاهرة الثانية فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ التى بدأت فى حى بولاق وكان عدد الذين اشتركوا فيها ما يقرب من خمسين ألفاً من المصريين . ولكن المدافع أخمدت الثورة التى نتج عنها تدمير حى بولاق وإشعال النار فيه . وفرضت ضرائب باهظة على السكان وقبض على الشيخ السادات الذى

قاد الثورة وأهين إهانة بالغة بضربه بالعصا أمام زوجته حتى يخمدوا روح الحماس لدى المصريين .

ولكن روح الحماس لم تخمد . . ففى يوم ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ قام شاب يدعى سليمان الحلبى بطعن كليبر بخنجر وهو يسير مع الجنرال داماس رئيس الأركان العامة لجيش الحملة .

وجن جنون الفرنسيين وهم يرون قائدهم يصرع أمامهم وقبض على الحلبى وقدم لمحاكمة فرنسية ، عرف منها أن سليماناً قد اشترك مع ثلاثة شبان من شباب الأزهر فى تلك العملية . . وأنه تحت التعذيب والضرب اعترف أنه حضر لمصر من مدينة غزة ليقتل كليبر وتخليص المسلمين من الاحتلال الغاشم . وقد حكمت المحكمة عليه بحرق كف يده اليمنى (التى استخدم بها الخنجر) ثم يتم خوزقته (أى إجلاسه على الخازوق) حتى يموت وأن يترك بعد ذلك حتى تأكل الطير منه . وحكموا على رفاقه بقطع رؤوسهم وحرق جثثهم على أن يتم ذلك أمام سليمان الحلبى قبل أن يتم فيه تنفيذ العقوبة . ولقد فسر الفرنسيون الأخذ بهذه الطريقة الشاذة فى الإعدام على كونها معمول بها فى مصر قبل أن تأتى الحملة الفرنسية للبلاد !

الاغتيالات السياسية بعد الحملة الفرنسية :

خسرت مصر عشرات الآلاف من رجالها وشبابها فى الفترة التى احتل فيها الفرنسيون البلاد . . وشعر الناس بحاجتهم للسلام والأمن والحرية .

ولكن خروج الفرنسيين من مصر لم يترك البلاد حرة لتنعم بالاستقرار ولكن وجد المصريين أنفسهم أمام قوات إنجليزية تحتل مدينة الاسكندرية ولقد تم ذلك بمعاونة العثمانيين وبعض زعماء المماليك الذين استقر حكمهم وضمنوا بقاءهم فى البلاد .

ولكن بقى الصراع الأبدى قائماً بين العثمانيين والمماليك . . فبالرغم من أن المجابهة مع قوات الحملة قضت على جانب من المماليك . . إلا أن سيطرتهم على شئون البلاد بقيت بقيادة اثنين من أكبر زعمائهم وهم عثمان بك البرديسى ، ومحمد بك الألفى . . فحاول العثمانيون مرة أخرى تدبير مؤامرة للقضاء على

المماليك قام بتنفيذها ضابط بحرى عثمانى هو القبطان حسين باشا الذى دعا الكثيرين من زعماء المماليك ليعقد معهم اجتماعاً هاماً على متن زورق بحرى . . وما أن اجتمعوا فوق الزورق إلا وانهالت قذائف البحرية على زورقهم فقتل الكثيرين منهم . . وحاول العثمانيون مرة أخرى القضاء على المماليك ولكن الإنجليز أنقذوهم ، لأنهم - أى الإنجليز - أرادوا أن يكون للمماليك سلطة فى البلاد يستطيعون الاعتماد عليها إذا ما هم فكروا فى احتلال مصر والسيطرة عليها . ولما كان الشعب المصرى يكره العثمانيين فقد لعب الإنجليز على ورقة الإبقاء على المماليك . . وفى ظل ذلك الاضطراب السياسى الذى ساد الحياة فى مصر قتل اثنان من أربعة ولاة عثمانيين لحكم البلاد وذلك خلال عامين اثنين . . فقد قتل القائد العام للجنود الألبان ويدعى طاهر باشا (وقد كان محمد على من جنوده) ثم قتل الوالى الذى أتى بعده وهو على باشا الجزائرلى . ثم عينت الاستانة الوالى الخامس وهو خورشيد باشا واليا على مصر وممثلها فى البلاد وكان يحكم من القلعة .

وعندما استتب أمر الحكم لخورشيد أحس بخطورة بقاء الجنود الألبان وعلى رأسهم قائدهم محمد على . . فأمره الوالى بالرحيل لمطاردة المماليك الذين يعيثون فى الأرض فساداً فى صعيد مصر فرحل محمد على ، وأراد خورشيد أثناء غياب محمد على ان يوطد مركزه فطلب العون من الأستانة ، فأرسلت له ثلاثة آلاف من الجنود الأكراد الذى قسوا على المصريين أشد قسوة ، فطلب علماء الشعب من خورشيد ترحيلهم عن البلاد وتخليص المصريين من شرورهم ولكن خورشيد خادعهم فأعلن العلماء وخلفهم الشعب المصرى قراراً بخلع الوالى خورشيد عن ولاية مصر وتعيين قائد الجنود الألبان محمد على والياً بديلاً عنه .

محمد على ومذبحة القلعة :

عندما ازداد السخط الشعبى ضد خورشيد وبدأت أعمال العنف تتصاعد صدر فى ٩ يوليو ١٨٠٥ فرماناً من الأستانة بالموافقة على خلع خورشيد من ولاية مصر وتعيين محمد على بدلاً منه .

وقد بدأ محمد على ولايته فى حكم مصر بالتقرب من المصريين واحترام علمائهم . وربما يعود ذلك إلى أن محمد على كان من الجنود الألبان الذين

أوفدتهم الأستانة لمحاربة الفرنسيين وقد اطلع محمد علي على المآسى التى عاشها المصريون فى تلك الفترة ، والثمن الباهظ الذى دفعوه حتى رحل الفرنسيون عن بلادهم . وربما يعود ذلك أيضاً إلى أن محمد على أراد أن يكسب المصريين فى صفه حتى يتمكن من القضاء النهائى على نفوذ المماليك . . فمن المؤكد أنه عرف بحيلهم وطريقتهم فى نشر الفتن والدسائس ليحققوا أطماعهم . كذلك أراد محمد على من التقرب للمصريين إثبات مقدرته للأستانة على الحكم . . فهو يعلم أن الأستانة لم تختاره إلا بعد أن اختاره المصريون . وبمرور الوقت استطاع محمد على أن يرضى الأستانة بدفع جزية كل عام تقدر بعشرين ألفاً من الجنيهات المصرية . . واستطاع السيطرة على جانب من المماليك بالرشوة . ولكنهم ظلوا يؤرقون حياته فصمم على اللجوء إلى الحيلة للقضاء عليهم .

ولما كانت الجزيرة العربية تتعرض لخطر الوهابيين فقد قررت الأستانة الاستعانة بجيش مصرى للذهاب إلى هناك لدحر الوهابيين . . وخرج المصريون يودعون جيشهم . ودعا محمد على الشخصيات الكبيرة من المماليك للاحتفال بهم فى القلعة . .

ويروى الجبرتى ما حدث فيقول : «وكان الباشا ـ أى محمد على قد بيت مع حسن باشا ، وصالح قوج ، والكتخذا فقط غدر المصرية ـ أى المماليك الذين عاشوا فى مصر ـ وقتلهم ، وأسر بذلك فى صبحها إبراهيم أغا آغات الباب . فلما انجر الموكب ، وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقية والالداشات المصرية ، وانفصلوا من باب العزب . . فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب ، وعرَّف طائفته بالمراد ، فالتفتوا ضاربين بالمصرية وقد انحصروا بأجمعهم . . وأسرف العسكر فى قتل المصريين ـ المماليك بمصر ـ وسلب ما عليهم من الثياب ، ولم يرحموا أحدا ، وأظهورا كامن حقدهم ، وتتبعوا المتشتتين والهاربين من نواحى القلعة وزواياها ، والذين فروا ودخلوا فى البيوت والأماكن ، وقبضوا على من أمسك حياً ولم يمت من الرصاص أو متخلفاً عن المواكب وجالسا مع الكتخذا كأحمد بك الكيلارجى ، ويحيى بيك الألفى ، وعلى كاشف الكبير . . فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن تحت مجلس كتخذا بك ، ثم أحضروا أيضاً المشاعلى لرمى أعناقهم فى حوش الديوان واحداً بعد واحد إلى أن مضى حصة من الليل فى المشاعل حتى امتلأ الحوش من القتلى ! فقتل فى هذه الحادثة أكثر من ألف إنسان

أمراء وأجناد وكشاف ومماليك . . ثم صاروا يحملون رممهم على الأخشاب ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ـ حى الرميلة بالقلعة ـ ثم يرفعونهم ويلقونهم فى حفر من الأرض فوق بعضهم البعض لا يتميز الأمير عن غيره . وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظماء وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفر» .

وكانت تلك ـ كما يوضح لنا التاريخ ـ هى أكبر عملية اغتيال سياسى فى تاريخ مصر الحديث حتى إنها قضت على كل أثر لدولة المماليك فى مصر ، فاختفى صغارهم بين جموع الشعب ، ونسوا ما كان لهم ذات يوم على أرض مصر من سلطان .

اغتيال الخديوى عباس حلمى الأول عام ١٨٥٤

كان حكم محمد على من القوة بحيث أنه فى الفترة التى بدأ فيها حكمه للبلاد عام ١٨٠٥ ، وحتى موته عام ١٨٤٩ عاشت مصر بدون أى تدخلات أجنبية ، فازدهرت اقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً ولكنه كان ازدهاراً مصطنعاً . وكان لهذا الاستقرار أثره فى استتباب حكم أسرة محمد على لمصر دون أن تستطيع الدولة العثمانية القضاء عليها . ولكن أحفاد محمد على لم يكونوا أبداً مثل جدهم . . فها هو ذا عباس يعين خديوياً على مصر عام ١٨٤٨ فماذا فعل للدولة القوية التى تركها له محمد على . لقد اعتقد أن ما فعله الجد كان تغريباً للثقافة المصرية فأغلق المدارس والجامعات ، وأنقص عدد جنود الجيش وميزانيته وكذلك فعل بالأسطول المصرى الكبير ونفى الكثير من المثقفين خارج مصر وطرد الكثير من العلماء الأجانب ووضع قيوداً وشروطاً على بقائهم بمصر ، فتخلفت البلاد كثيرا فى فترة وجيزة من الزمن ، وعادت لترزح من جديد تحت سلطة وسيطرة العثمانيين . ولكن مشكلة ثارت بينه وبين تركيا حول نظام الخلافة فى مصر ، حيث طالب عباس حلمى بأن تكون الخلافة لأولاد الحاكم (كبيرهم ثم صغيرهم) بدلاً من كونها لأكبر أبناء الأسرة كلها . . ويبدو أن تركيا رفضت ذلك فاغتيل عباس فجأة وهو بداخل قصره فى ١٤ يوليو ١٨٥٤ بيد أفراد من أسرته تآمروا عليه .

الاغتيال السياسى فى عصر اسماعيل

تولى خلافة مصر بعد مقتل عباس حلمى الأول محمد سعيد باشا وهو ابن من أبناء محمد على ، فكان على النقيض من عباس محباً للأجانب مفتتنا بهم وبثقافتهم . ولهذا فقد اقتنع فى التو بخطة المهندس الفرنسى (دى لسبس) لحفر قناة توصل بين البحرين الأبيض والأحمر ، فأعدت الحكومة المصرية عشرات الآلاف من الفلاحين الذين انتزعوا نزعاً من قراهم وأسرهم ليجبروا على حفر الرمال فى أسوء ظروف يمكن أن يعمل بها البشر وبدون أجر . ولما مات سعيد وعمره أربعين عاماً فى ١٨ يناير ١٨٦٣ جاء بعده فى خلافة مصر ابن شقيقه إسماعيل .

وفى سنوات حكمه الأولى حقق إسماعيل نجاحاً ملحوظاً فى الارتقاء بمشروعات المرافق فى مصر ، وعمل على تحسين الزراعة وإصلاح الأراضى وصيانة وسائل الرى والصرف ، فحفرت فى عهده مثلاً ترعة الإسماعيلية . ولكن كل هذا أرهق خزانة الدولة لأنه لجأ إلى الاستدانة ، فبلغت ديونه ١٢٦ مليون جنيه مصرى أنفقت على المشروعات والرشاوى وحصص الجباية للباب العالى فى تركيا التى جعلت السلطان العثمانى يقرر أن الخلافة فى مصر ستكون لأبناء إسماعيل (لأكبر أبنائه) .

ولاشك أن هذه الديون مكنت الأجانب من السيطرة على خزانة البلاد . . ويبدو أن إسماعيل أراد أن يخفى سراً كان يعرفه إسماعيل صديق باشا وكان وزيراً للمالية (ناظراً) ، فاستدعاه فى مقر إقامته بقصر عابدين وبعد استضافته خرج به إلى سراى الجزيرة حيث أمر حراسه باغتياله . وقد فسرت الجريدة الرسمية وقتئذ موت الوزير على أنه نتيجة لإسرافه فى تناول الخمر .

واستولى الأجانب (الدائنون) على مالية مصر فزادت الضرائب على كافة فئات الشعب ، فزاد السخط ، وعمت الفوضى الجيش (وخاصة بعد تسريح الآلاف من ضباطه) إلى أن صدر فرمان من السلطان التركى بإقالة الخديوى إسماعيل وتعيين توفيق خلفه (وهو ابنه الأكبر) .

مؤامرة مذبحة الاسكندرية :

عين توفيق بدلاً من إسماعيل فى خلافة مصر . . وفى عصره تم احتلال مصر من قبل الإنجليز ، وبهذا يكون عصره أسوأ عصور حكم مصر فى العصر الحديث .

فقد بدأه برفع الضرائب وتسريح ضباط الجيش مما جعل محمود سامى البارودى وكان ناظرا للجهادية فى موقف العداء مع الخديوى .
ولعل ما زاد العداوة بين الطرفين وقوع مذبحة الاسكندرية التى وقعت فى ١١ يونيو ١٨٨٢ ، فقد تعرض جندى مصرى بالجيش لحادثة عربة كان يقودها أحد الأجانب فى الاسكندرية وقتل فى ذلك الحادث ، فما كان من رفاقه عندما علموا بالأمر إلا أن حملوا زميل سلاحهم إلى قصر رأس التين حيث كان الخديوى توفيق يمضى وقت الصيف هناك . . ولكن لما عرف الخديوى بالقصة وقف مدافعا عن الأجانب ضد جنده المصريين، وأصدر أوامره بمعاقبة الجند . ولكن لم يكن الخديوى موفقاً فى اختياره هذا ، فثار الجند بالاسكندرية وحاولوا الانتقام من الأجانب ، وحدث تبادل لإطلاق الرصاص بين الجانبين فتدخل القنصل البريطانى طالباً نجدة الأسطول البريطانى الذى سارع باحتلال المدينة بعد قصفها من البحر وذلك بحجة الدفاع عن الرعايا الإنجليز وحمايتهم من بطش المصريين .

ولقد كان لهذه الحادثة عواقب وخيمة على البلاد . . فالحادث نفسه كان يمكن أن يمر بدون النتائج القاسية التى أعقبته لو لم تكن هناك خطة مسبقة لاحتلال مصر . . ولكن الظروف كلها كانت تشير إلى رغبة انجلترا الجامحة لاحتلال مصر . . فالدولة العثمانية كانت من الضعف بحيث أنها لاتستطيع مجابهة انجلترا ، وفرنسا العدو التقليدى لانجلترا شغلت بأحوالها الداخلية وبمستعمراتها فى افريقيا . . ولهذا فقد سنحت الفرصة لانجلترا بالاتفاق مع توفيق فى ضرب الوطنيين المصريين ، حتى أن اللورد كرومر نفسه نصح الخديو توفيق ذات مرة باغتيال أحمد عرابى للتخلص منه والقضاء على حركته الوطنية التى كان يقودها من داخل الجيش المصرى .

إن مذبحة الاسكندرية إذن كانت مؤامرة نظمت لاحتلال البلاد . وقد نفذت بمساعدة الخديو توفيق وتركيا لانجلترا . . ولذلك فقد كتب على الشعب المصرى

أن يقاوم من جديد احتلالاً أكثر قسوة وشراسة من احتلال الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر .

الأحداث بعد الاحتلال البريطانى :

عندما استتب الأمر للاحتلال البريطانى فى مصر كانت الحركة الوطنية التى يقودها الجيش بزعامة عرابى قد انتهت . . فقد منى الجيش بهزائم شديدة بسبب خيانة كبار مساعدى عرابى الذين فضلوا الاستسلام لإغراءات الخديوى لهم بالمال والمناصب على أن يقفوا فى وجه محتل أجنبى .

ولكن مصر لم تفقد الرجال المخلصين فظهر عبدالله النديم الذى هاجم الاحتلال والخديوى توفيق ، ثم الخديو عباس الثانى (الذى حكم البلاد فى عام ١٨٩٢) ثم ظهر مصطفى كامل الذى ركز جهوده وخطبه سواء فى مصر أو خارجها على فضح مخططات ومساوىء الاحتلال البريطانى فى مصر .

ولما كان ذلك ليس كافياً فقد شكل مصطفى كامل وبعض المناضلين المصريين الحزب الوطنى الذى انضم له أيضاً الخديوى عباس الثانى وكان ذلك الحزب فى البداية جمعية سرية هدفها تحرير مصر من الإنجليز . ولعل انضمام الخديو عباس ليكون رئيساً لحزب مصرى يهدف لتحرير مصر كان أمراً يعكس رغبة المصريين فى الشعور بأن حاكمهم يمثل لهم أباً روحياً يقودهم نحو تحرير البلاد . ويعود من ناحية أخرى إلى قلة معرفة الخديوى الجديد (وكان لايزال شاباً) بمدى ألاعيب وحيل الإنجليز . . فربما خيل له أن الحياة الديمقراطية التى يعيشها الناس فى الدول الأوروبية كان من الممكن إحداث مثلها فى مصر حتى بين الطبقة المثقفة من أهلها لكى يطالبوا بإخراج الإنجليز من البلاد .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد استمر مصطفى كامل فى إلقاء خطبه المطالبة بخروج الإنجليز حتى تصاعد تكاثف بخار الحركة الوطنية . . وحتى وقعت حادثة دنشواى . . فتحول مجرى الخطب والمقالات إلى رصاص وانفجارات .

حادثة دانشوى :

إن بضع كلمات تستطيع أن تسقط الحاكم الظالم بأكثر مما تسقطه طلقات تغتاله . . لقد ظلم الحاكم العسكرى الإنجليزى لمصر اللورد كرومر المصريين

جميعاً وأهانهم أقسى إهانة بارتكابه الفظائع فى قرية دنشواى . . فما كان من مصطفى كامل إلا أن هزمه فى صحف بلاده فعزل من منصبه الذى مكث فيه قرابة ربع قرن من الزمان عمل فيه على استتباب الأمر للاحتلال البريطانى وهو أمر كان بالغ الأهمية للامبراطورية البريطانية فى ذلك الوقت .

كان مصطفى كامل فى باريس عندما قرأ فى الصحف الفرنسية أن بضع جنود من جنود الاحتلال البريطانى كانوا يصطادون الحمام فى قرية دنشواى بمحافظة المنوفية . . فما كان من أحد الشيوخ المصريين إلا ونهاهم عن ذلك لأن الرصاص سوف يشعل النار فى أعواد القمح الجافة مما يشكل خطورة بالغة على سكان وممتلكات القرية . ولكن الجنود لم يعطوا الشيخ آذانهم واستمروا فى إطلاق النار حتى أصيبت فلاحة مصرية وماتت ، فثار الأهالى خلف الجنود الذين فروا بعد أن أطلقوا النار على المصريين فأصابوا بعضهم وأشعلوا النار فى بعض مناطق القرية . وتكاثر الفلاحون حول الجنود وأخذوا أسلحتهم إلا أن بعض الجنود كان قد فر خوفاً من انتقام الفلاحين . ولما كانت هذه الحادثة قد وقعت فى الصيف (١٠ يونيو ١٩٠٦) فقد أصيب أحد الضباط الفارين بضربة شمس ومات ، ولكن رفاقه الفارين وصلوا إلى نقطة البوليس فانتقلت وحدة من الشرطة إلى القرية فخيم السكون والشعور بالترقب والخوف مما ستأتى به الأيام .

وبعد أسبوعين عقدت محكمة عسكرية حققت مع ما يقرب من خمسين فلاحاً مصرياً . . وكان يرأس تلك المحكمة وزير الحقانية (العدل) وقتئذ بطرس غالى باشا .

وبعد أسبوعين آخرين من المداولات صدر حكم المحكمة (فى ٢٧ يونيو ١٩٠٦) بتنفيذ حكم الإعدام شنقاً على أربعة من الفلاحين ، وبعقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة على اثنين ، وعلى ١٥ فلاحاً آخرين بعقوبات الحبس والجلد .

وفى اليوم التالى نصبت المشانق والمجالد أمام أعين سكان القرية البسطاء ليروا ظلم كرومر ، وضعف الذين أصدروا الحكم . وإذا كان المصريون فى ذلك اليوم قد زرفوا الكثير من الدمع فإن قلوبهم وعقولهم كانت تقسم على الانتقام .

وبالفعل فقد جاء الانتقام . . انتقم مصطفى كامل من اللورد كرومر بأن سافر إلى انجلترا (بعد أن كان أثناء الحادث فى باريس) ليملأ الصحف الانجليزية

بكلماته النارية ضد ظلم المحتل . . فسقط حكم اللورد فى ابريل ١٩٠٧ ، وهو اللورد الذى كان يأمل أن يستمر حكمه وحكم قوات احتلاله لمصر إلى الأبد .

اغتيال بطرس غالى باشا فى ١٩١٠/٢/٢٠

لاشك أن كرومر قبل عزله من منصبه فى مصر حاول العدول عن سياسة القمع التى كان يمارسها فى مصر . . ولكن عدوله عن سياسته هذه جاءت بعد أن كانت مصر مصممة ليس فقط على عزله ولكن على طرد قوات الاحتلال ونفوذها السياسى بالكامل من مصر .

فقد حاول كرومر استرضاء الشعب فى مصر بأن سمح بتعيين سعد زغلول فى نظارة (وزارة) المعارف . . فهو يعلم أن سعداً رجل وطنى يحبه المصريون لما له من صفات المصرى الأصيل الذى يود أن يرى المصريين وقد أصبحوا أولى علم وفهم . . ومع أن هذه الخطوة قوبلت من الشعب بالفرحة والبشر والارتياح إلا أنها لم تؤجل خلع اللورد كرومر من منصبه . . فحادثة دانشواى ومهازلها كانت قد قضت عليه وخشيت الامبراطورية البريطانية من أن يقوم جيش تركى بالذهاب لمصر ويساعد على اندلاع ثورة شعبية هائلة تزيح الجيش البريطانى فى مصر . ولهذا فقد عزل اللورد وعين بدلاً منه السير الدون جورست .

وقد ارتاح المصريون لذلك بطبيعة الحال . . فسعد زغلول كان يسير بسرعة نحو الزعامة الشعبية الأصيلة للمصريين ، واللورد الظالم قد رحل عن البلاد . . ولكن لم تدم الفرحة طويلاً . . فقد عين جورست بطرس غالى رئيسا للنظارة (الوزراء) فى ١٩٠٨/١١/١٣ وكان أول رئيس وزراء مسيحى يحكم البلاد فى تاريخها الحديث . . ومن هنا اتضح للمصريين أن هناك سياسة جديدة تتبعها انجلترا ، وهى سياسة الإيقاع بين المسلمين والمسيحيين فى مصر .

ولما كانت الأحوال السياسية والاجتماعية فى مصر غير مستقرة وكثر الحديث فى الصحف عن الفساد الذى كان يحدث فى البلاد . . فقد أصدر رئيس الوزراء الجديد مرسوماً يقضى بمعاقبة الوطنيين الذين يكتبون فى الصحف منددين بالاحتلال وبسياساته وبمن يتبعها من المصريين ولقد سمى هذا المرسوم بقانون المطبوعات . . فقضى بظهوره على حرية الصحف والمجلات . . وهى الوسيلة

القوية التى استخدمها المصريون للتعبير عن آرائهم والتنديد بالاحتلال .

وجاءت قضية مد امتياز قناة السويس التى عارضها بشدة زعماء الحزب الوطنى (مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم) . . لتثير من جديد موقف الحكومة المصرية إزاء قوات الاحتلال البريطانى لمصر . . ولما أعلنت بنود الاتفاقية بين الحكومة المصرية وشركة القناة والتى وضح منها رغبة المحتل فى إطالة بقائه فى البلاد (إذ نصت الاتفاقية على مد الامتياز للشركة فى استغلال القناة حتى ٢٠٠٨) . . لما أعلن ذلك ثارت الصحافة المصرية وساد التوتر البلاد . . وفجأة وفى يوم ٢٠ من فبراير ١٩١٠ قام شاب ينتمى لجمعية التضامن الأخوى(١) ويسمى إبراهيم الوردانى باطلاق الرصاص على بطرس غالى فأرداه قتيلاً .

خطورة الوضع بعد مقتل بطرس غالى :

رفضت الجمعية العمومية الموافقة على اتفاقية مد امتياز شركة قناة السويس إلى عام ٢٠٠٨ قبل أن يقتل بطرس غالى . . وعندما جاء محمد سعيد فى الوزارة الجديدة ، أعلن عن أن الوزارة ستلتزم بقرار الجمعية العمومية . . فسكنت الأحوال وشعر المصريون أن بلادهم بها أصوات وطنية يمكنها الدفاع عن مصلحة البلاد وكرامة الشعب . . وبات من الممكن أن يرى المصريون النور فى نهاية النفق المظلم الذى يسيرون فيه . . فالاحتلال على وشك الأفول . . والوطنية تزداد قوة ورسوخاً .

---

(١) يقول الاستاذ عبدالعزيز على مؤلف كتاب الثائر الصامت : اعتدى ابراهيم ناصف الوردانى فى ١٩١٠/٢/٢١ الفدائى الأول ، والذى لم يتجاوز من العمر ٢١ عاما على بطرس غالى باشا ناظر النظار الذى ولى الرئاسة من ١٩٠٨/١١/١٢ فأصابه اصابة قاتلة نقل بعدها فوراً الى مستشفى (ملتون) بشارع عبدالدايم قريبا من شارع الدواوين لاسعافه بالعلاج . وبادر الخديوى عباس حلمى الثانى بزيارته للاطمئنان عليه الا انه مات متأثرا بجراحه ، وخلفه فى رئاسة النظارة محمد سعيد باشا من ١٩١٠/٢/٢٣ إلى ١٩١٤/٤/٥ ، وقد قام الوردانى بذلك بعد أن أتم دراسة الصيدلة فى سويسرا وعاد إلى وطنه ، وأنشأ صيدلية له بشارع عبدالعزيز بجوار قسم عابدين . وقد اعترف الوردانى بأنه هو القاتل وحده دون شريك معه . ولما سأله رئيس النيابة عن سبب القتل أجاب على الفور : لأنه خائن للوطن ، وجزاء الخائن البتر . وأحيل الوردانى فى يوم السبت ٢ ابريل ١٩١٠ إلى محكمة الجنايات التى قضت بإعدام الوردانى ، ونفذ حكم المحكمة فى ١٩١٠/٦/٢٨» .

ويلاحظ هنا أن الاستاذ عبدالعزيز على قد قال عن الوردانى : إنه الفدائى الأول ، أى الفدائى الأول فى جمعية التضامن الأخوى ، ولم يشر مطلقاً إلى أنه عضو فى أى جمعية أخرى سواء أكانت إسلامية أو غير ذلك . . بعكس ما يقول الدكتور لويس عوض عن الوردانى بأنه كان عضواً فى جمعية إسلامية متطرفة (انظر تاريخ الفكر المصرى الحديث ـ الدكتور لويس عوض) .

ولكن ما كان يشكل الخطر الحقيقى لدى بعض المصريين فى ذلك الوقت ان مقتل رئيس الوزراء بطرس غالى قد بدا كما لو أنه اعتداء على القبط فى مصر . . وربما يمكن الرد على ذلك بأن المصريين كانوا جميعاً على علم بسياسة السير جورست التى هدف من ورائها الوقيعة بين المسلمين والمسيحيين . . لإضعاف الجبهة الوطنية وإخماد الحركة المطالبة بالحرية وطرد المحتل . ولهذا فقد مرت الغيوم بوعى المصريين وفهمهم بأنهم جميعاً أبناء وطن واحد وأن عليهم جميعاً المشاركة فى طرد الاحتلال .

محاولات اغتيال السلطان حسين :

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وأعلنت انجلترا الحرب على ألمانيا ، وجدت انجلترا أنه من المناسب لمصالحها الاستراتيجية تعيين الأمير حسين كامل سلطاناً على مصر لكى تستطيع تفادى تدخل تركيا لإعادة مصر لو أنها فرضت الحماية عليها . فمصر كانت حتى ذلك الوقت ولاية عثمانية . . ولهذا فعندما أعلنت الحرب وجدت انجلترا نفسها تقف ضد تركيا (التى حالفت ألمانيا) . ولقد أشاع الإنجليز أنه لو رفض حسين كامل العرض الإنجليزى بتعيينه سلطاناً فإن أميراً من الهند سيأتى ليشغل المنصب الجديد . وإزاء ذلك خشى حسين كامل ضياع أسرة محمد على وأحقيتها فى حكم مصر فقبل المنصب ، ثم قبل إعلان بريطانيا الحماية على مصر الذى كان يعنى انتهاء السيطرة العثمانية على مصر .

وإزاء ذلك رأى الكثيرون فى مصر الخطأ الذى ارتكبه السلطان حسين فقد أهان نفسه ، وأهان مصر . . وكان ذلك دافعاً قوياً لدى بعض المصريين للقيام بمحاولتين لاغتياله نسبت لأعضاء من الجمعية السرية للحزب الوطنى .

ففى ٨ إبريل ١٩١٥ قام الشاب محمد خليل من مدينة المنصورة بإطلاق الرصاص على سيارة السلطان حسين وهى تسير به فى موكب رسمى بميدان عابدين ، إلا أن الرصاص لم يصب هدفه ، وتم القبض على الجانى ، وحكمت عليه محكمة عسكرية بريطانية بالإعدام ونفذ الحكم فى ٢٤ إبريل ١٩١٥ .

أما المحاولة الثانية فقد تمت بالاسكندرية فى ٩ يوليو ١٩١٥ عندما ألقيت قنبلة يدوية على موكب السلطان فلم تنفجر . . وقد قام بهذه المحاولة كل من محمد نجيب الهلباوى ، ومحمد شمس الدين ، وقد تم القبض عليهما وأدينا أمام مجلس عسكرى بريطانى ، وحكم عليهما بالإعدام شنقاً ، ولكن الحكم خفض إلى الاشغال الشاقة بتدخل السلطان حسين .

محاولة قتل إبراهيم فتحى وزير الأوقاف :

بعد حوالى شهرين من المحاولة الثانية لاغتيال السلطان حسين ، وفى ٤ سبتمبر ١٩١٥ تعرض وزير الأوقاف إبراهيم فتحى باشا لمحاولة اغتيال قام بها الشاب صالح عبداللطيف وكان موظفاً بوزارة المالية . . ففى اثناء انتظار ابراهيم فتحى على رصيف القطار بمحطة القاهرة ليتوجه إلى الوجه القبلى فاجأه صالح عبداللطيف بثلاث طعنات من خنجر كان بحوزته . . فأصيب الوزير اصابات بالغة ولكن تم إنقاذه ، وقبض على الجانى ، وحول للمحاكمة أمام مجلس عسكرى بريطانى ، وصدر عليه الحكم بالإعدام شنقاً ، وتم إعدامه بالفعل فى ٣ أكتوبر ١٩١٥ .

محاولة قتل محمد سعيد باشا رئيس الوزراء :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وخروج انجلترا منتصرة فيها . . أخذ المصريون ينظرون فى مشكلة بلدهم . . وكيف يحصلون على استقلالهم وحريتهم . . وخرج كل الوطنيين يطالبون بالجلاء . . وكان على رأس هؤلاء جميعا سعد زغلول الذى كان قد أسس الوفد المصرى الخاص بالتفاوض مع الإنجليز من أجل إعلان الجلاء والاستقلال .

ولقد فات على الإنجليز معرفة الخطأ الذى ارتكبوه عندما ألقوا القبض على سعد زغلول ونفيه إلى جزيرة مالطة . . فقد كان سعد رمزاً للوطنية المصرية ، ولهذا فلم يكن عزله ونفيه بقادرين على إخماد روح الحركة الوطنية .

لقد تم نفى سعد زغلول فى ٨ مارس ١٩١٩ ، ومر يومان قبل أن تعم البلاد حالة من الإضراب الواسع الذى لم يحدث مثيل له من قبل . وحاول الإنجليز

محاصرة المتظاهرين وأطلقوا الرصاص فسقط الشهداء فى كل مكان . . وكان ذلك هزيمة سياسية لانجلترا حيث عرف العالم أجمع أن الامبراطورية التى تدافع عن حقوق الإنسان فى المحافل الدولية تخلت عن سياستها ولجأت إلى قمع الثورة الشعبية فى مدن مصر .

وكان من جراء ذلك أن أعاد الإنجليز سعد زغلول من منفاه ، وشكلت وزارة جديدة بدا على رئيسها ووزرائه أنهم من الموالين للسياسة البريطانية . ففى ٢١ مايو ١٩١٩ تم تعيين محمد سعيد باشا رئيساً للوزراء . . ومضت شهور قلائل قبل أن يقوم الطالب سيد محمد علي (وهو من الاسكندرية) بإلقاء قنبلة يدوية على محمد سعيد رئيس الوزراء محاولاً قتله ولكن القنبلة لم تصبه . . وتم إلقاء القبض على الطالب وقدم لمحكمة الجنايات حيث صدر عليه الحكم بالاشغال الشاقة لمدة عشرة أعوام .

محاولة اغتيال يوسف باشا وهبى رئيس الوزراء :

وتصاعدت حدة التوتر بين الشعب وقوات الاحتلال وبعض المسئولين المصريين ، ففى ١٥ ديسمبر ١٩١٩ وهو نفس العام الذى وقعت فيه ثورة الشعب المصرى ضد الاحتلال . . قام طالب بكلية الطب يدعى يوسف سعد بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء يوسف باشا وهبى وذلك بأن ألقى على سيارته قنبلتين وهى تسير فى شارع سليمان باشا بوسط القاهرة . . ولم تصب سيارة وهبى بأى ضرر . . واعتقل الجانى وحول للمحاكمة العسكرية الإنجليزية وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشرة أعوام وهى نفس العقوبة التى صدرت على سيد محمد الذى حاول اغتيال محمد سعيد باشا .

محاولة اغتيال إسماعيل سرى وزير الاشغال :

استخدمت القنابل أيضاً فى هذه المحاولة مثلها مثل سابقتيها . . ويبدو أن قوات الاحتلال كانت تجمع الأسلحة النارية من المواطنين مما شجع الشباب الثائر على تصنيع القنابل . . فقد ألقى الشاب أحمد توفيق قنبلة على إسماعيل سرى وهو فى سيارته يوم ٨ يناير ١٩٢٠ . . ولكن القنبلة لم تصب السيارة . . ويبدو أن

أحمد توفيق قد تمكن من الفرار لأن الشرطة لم تستطع القبض عليه ، وقد قيدت محاولة الاغتيال هذه ضد شخص مجهول وأعلنت السلطات المختصة عن نيتها فى صرف مكافأة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يساعد فى القبض على مرتكب الحادث .

محاولة اغتيال وزير الزراعة محمد شفيق :

تعرض وزير الزراعة محمد شفيق باشا لمحاولة اغتيال فى يوم ١٩٢٠/٣/٢٢ ، حيث ألقيت قنبلة على سيارته ولكنها لم تنفجر ، وقبض على الجانى واسمه عبدالقادر شحاته وكان طالباً بالمدرسة الإلهامية القانونية ، وقد أوضح أن محاولة الاغتيال التى قام بها لوزير الزراعة كانت قد تمت بمساعدة زميل له يدعى عباس حلمى . . وقد قدم كلاهما للمحاكمة أمام محكمة عسكرية إنجليزية ، وصدر حكم بإعدامهما . . ولكن الحكم خفف إلى الاشغال الشاقة المؤبدة .

محاولة اغتيال حسين درويش وزير الأوقاف :

محاولة الاغتيال الثالثة التى تمت بعد ذلك كان قد تعرض لها وزير الأوقاف حسين درويش . . حيث ألقى الشاب أحمد توفيق قنبلة انفجرت بجوار السيارة ولكن الوزير لم يصب . . وقد تمكن الجانى من الهرب والاختفاء فلم يهتد إليه أحد . . وقيدت الحادثة ضد شخص مجهول . . وقد وقعت محاولة الاغتيال تلك فى مساء يوم ٨ مايو ١٩٢٠ .

محاولة اغتيال محمد توفيق نسيم رئيس الوزراء :

ألقيت قنبلتان على سيارة رئيس الوزراء محمد نسيم باشا وهو فى سيارته بوسط القاهرة وكانت تحرسها قوات البوليس . . وانفجرت القنبلتان وتساقط الحراس الذين كانوا يركبون الدراجات البخارية ولكن لم يصب رئيس الوزراء . . وقد حدث ذلك فى صباح ١٩٢٠/٦/١٢ وهو الحادث الرابع فى عام واحد . . وقد تعقبت قوات الشرطة الشاب حسن مسعود إلى أن تم إلقاء القبض عليه ، وقدم للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية البريطانية حيث صدر الحكم بإعدامه شنقاً .

قتل مستر براون مراقب عام وزارة المعارف :

إن اغتيال المستر براون المراقب العام الإنجليزى لوزارة المعارف المصرية يشكل بداية لتحول تيار الاغتيالات السياسية للمصريين تجاه كبار المسئولين الإنجليز فى مصر . فقد قتل وهو يغادر مقر الوزارة فى ١٨ فبراير ١٩٢٢ ولم يتم القبض على مرتكبى ذلك الحادث فقيد ضد شخص مجهول .

قتل المستر كييف وكيل حكمدار القاهرة :

وبعد ثلاثة أشهر تقريباً من مقتل المستر براون ، تم اغتيال المستر كييف وكيل حكمدار العاصمة فى ٢٤ مايو ١٩٢٢ ، وتم ذلك عندما خرج كييف من مقر المحافظة بمنطقة باب الخلق فى طريقه لمنزله . ولم يتم القبض على مرتكب الحادث ، وقيد الاعتداء ضد شخص مجهول .

محاولة قتل براون رئيس مصلحة البساتين :

هذا هو الحادث الثالث الذى يتعرض له مسئول إنجليزى خلال ستة أشهر . . ففى ١٢ أغسطس ١٩٢٢ قام بعض الشباب بإطلاق الرصاص على المستر براون رئيس مصلحة البساتين بينما كان راكباً هو وعائلته إحدى الكارتات . . ولكن براون نجا من الاغتيال وإن كان قد أصيب هو وأحد أبنائه . . وهرب منفذو الحادث ولم يتم القبض على أى منهم . . وقيد الحادث ضد شخص مجهول .

ويمكننا هنا القول إن الثلاث حوادث التى اغتيل فيها شخصيتان بريطانيتان ونجت الثالثة من الموت إنما كانت مفاجأة للسلطات البريطانية التى كانت تعتقد أن اغلب حوادث الاغتيال كانت توجه إلى المسئولين المصريين . . وهذا يفسر لنا لماذا لم يتم القبض على أى من مرتكبى هذه الحوادث الثلاث .

لقد ظهر الإنجليز كما لو أنهم أخذوا على غرة . . فهاهم يعجزون ثلاث مرات متتالية عن معرفة شخصيات الجناة . . ولاشك أن ذلك قد أظهر ضعفهم وشتت فكرهم وبدد آمالهم فى تجاهل مطالب المصريين بالاستقلال . . ولذلك

فلم تمض أشهر قلائل حتى صدر الدستور المصرى فى ١٩٢٣/٤/١٩ .

محاولة اغتيال سعد زغلول :

هذا هو سعد زغلول الزعيم الوطنى الذى قاد الحركة الوطنية فى سبيل نيل الاستقلال يتعرض للاغتيال . . وكأن كل ما فعله وما كان يفعله من أجل بلاده كان شيئاً منسياً .

لقد عرف عن سعد زغلول الشخصية القوية والالتزام بصفات الاجتهاد والجد والعدل والأمانة ، فنجح في حياته العملية كمحام حتى بلغت شهرته عالم السياسة ، فاختير عام ١٩٠٦ وزيراً للمعارف فى وزارة مصطفى فهمى باشا ، وظل يشغل هذا المنصب كذلك فى وزارة بطرس غالى باشا . وعندما اغتيل بطرس غالى عام ١٩١٠ عين محمد سعيد باشا رئيساً للوزراء واختار سعد زغلول وزيراً للعدل ، واستمر فيها عامين ، إلى أن عين وكيلاً للجمعية التشريعية المصرية فشهدت البلاد قيماً وتقاليد برلمانية رائعة . وباندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ توقفت الجمعية التشريعية عن العمل ، ولكن ذلك لم يمنع سعداً من تأليف جماعة من أعضاء تلك الجمعية لتدارس مستقبل مصر السياسى . . وترأس سعد زغلول الوفد المصرى لمناقشة السير ريجنالد ونجت وكان وقتها المندوب السامى البريطانى ، الذى وعد الوفد المصرى بدراسة مقترحاته . . وتبين فيما بعد أن انجلترا كانت تريد معرفة وزن ذلك الوفد السياسى والشعبى فقامت الجماهير بتوقيع توكيلها وإنابة سعد زغلول ورفاقه ليتولوا مفاوضة الإنجليز . ولكن الإنجليز قاموا برفض تلك التوقيعات فاستقالت وزارة رشدى باشا . . وتدهورت الأمور فنفى الانجليز سعداً إلى جزيرة مالطة فاشتعلت البلاد بثورة ١٩١٩ ، فأفرج عن سعد وجاءت الموافقة البريطانية على قيام الوفد المصرى فى الحادى عشر من إبريل ١٩١٩ ، وعندما كان الوفد المصرى فى فرنسا جاءت الأخبار باعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالحماية الإنجليزية على مصر ، حين أعلن ذلك الرئيس الأمريكى (ويلسن) فصدم الوفد المصرى ، وصدم المصريون من ذلك الاعتراف الذى يكرس العدوان والاحتلال . . وظهر فى ذات الوقت أن مصالح الرأسمالية تفوق قوة دساتيرها التى تنص على حق تقرير المصير للشعوب كافة وحق الحرية والاستقلال للشعوب التى ترزح تحت الاحتلال .

ودارت المناقشات بين المصريين ، وبين اللورد (ملنر) ، بشأن الاستقلال . . وعندما استوثقت انجلترا من صعوبة الموقف فى مصر أظهرت ـ كذباً ـ نيتها فى توقيع معاهدة مع الحكومة المصرية تلغى فيها الحماية البريطانية وتعطى مصر حريتها واستقلالها . . وانقسمت الآراء فى مصر فاستقالت الوزارة المصرية تلو الأخرى فغضب الإنجليز ورجعوا إلى اضطهاد الوطنيين ، فنفوا سعد زغلول مرة ثانية إلى جزيرة فى المحيط الهندى تابعة للتاج البريطانى وتسمى جزيرة (سيشل) وذلك فى ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ ، ثم رحلوه إلى منطقة جبل طارق فى ١٨ أغسطس ١٩٢٢ نظراً لتدهور حدث فى حالته الصحية . وكان للإنجليز رغبة فى امتصاص الغضب فى مصر قد أصدروا تصريحا فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ يعلنون فيه استقلال مصر ، وسمحو بالتالى لأن يكون لمصر دستور ، ثم إنهم أفرجوا عن سعد زغلول فى ٢٧ مارس ١٩٢٣ . . ولما أجريت الانتخابات التشريعية كان الجميع قد اختاروا (تقريبا) قيادة حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول . . إذ أن النتائج أظهرت ان تسعين بالمائة من المقاعد البرلمانية قد ذهبت لأعضاء فى حزب الوفد ، وعين بذلك سعد زغلول رئيساً لوزراء مصر فى يناير ١٩٢٤ .

وفى ١٢ يوليو ١٩٢٤ قام سعد زغلول بالسفر إلى انجلترا لمفاوضة ماكدونالد رئيس الوزراء البريطانى لاعتقاد سعد بانه رئيس وزراء حزب العمال البريطانى الأقل تشدداً من حزب المحافظين ، والذى كان قد وعد سعداً خيراً بخصوص القضية المصرية . . ولكن لم يكن النجاح حليف سعد زغلول فرجع إلى مصر . ولكن فى ذات يوم سفر سعد زغلول إلى بريطانيا كانت هناك محاولة لاغتياله . . يحدثنا عنها الأستاذ عبدالعزيز على فى كتابه الثائر الصامت فيقول : فى ١٢ يوليو ١٩٢٤ سافر سعد إلى لندن للمفاوضة مع رامزى ماكدونالد رئيس حزب العمال البريطانى ورئيس الوزراء ، وهو صاحب التصريح المشهور الذى أدلى به لسعد خلال زيارته لمصر عام ١٩٢١ : اننا سنحل معاً القضية المصرية بالمفاوضة قبل ان ننتهى من شرب فنجان القهوة هذا ، ولكن تعثرت المفاوضات وعاد سعد من لندن دون نتيجة فى أكتوبر ١٩٢٤ . وكان الشاب عبداللطيف عبدالخالق الدلبشانى ، من شباب الحزب الوطنى قد حاول اغتيال سعد بأن أطلق عليه الرصاص من مسدسه وهو يهم بركوب القطار بمحطة القاهرة للسفر إلى لندن

لإجراء تلك المفاوضة ، فأخطأه ، ولم يصب سعد إلا فى يده ليتم مهمته[٢] .

قتل سيرلى ستاك سردار الجيش المصرى :

كان لتصاعد أعمال العنف المستمر ضد الاحتلال البريطانى قبل ثورة ١٩١٩ وما بعدها ، وازدياد أعمال الأغتيال السياسى التى شملت كبار الشخصيات المصرية والبريطانية ، كان لذلك أثره البالغ فى إحساس الشعب المصرى بقرب استقلاله ونيله للحرية الغالية . . فكانت محاولة انجلترا التدخل لتعديل بعض بنود الدستور المصرى سبباً كبيرا من أسباب السخط العام بين الشعب . ولما كان الشعب ساخطاً لأن سعد زغلول وهو رمز الشعب المصرى كان ساخطاً كذلك . . فإن الانجليز فيما يبدو أرادوا هزيمة الشعب بأن يهزموا زعيمه وقائده .

إن الكراهية دائماً ما تقف من ورائها صفات العدوان . . والعدوان قد يأتى صريحاً وقد يأتى مقنعاً . . والعدو اللئيم دائماً ما يعتدى بصورة غير مباشرة . . ولهذا فهو يستخدم الوقيعة واستغلال الاخطاء التى قد تظهر من ردود الأفعال .

بعد ان أصبح سعد زغلول رئيساً للوزراء كان موضوع السودان يشغله . . فمصر والسودان كانتا دائماً معاً لتوحد الشعب وانشغاله بمصيره الواحد . ولما كانت مصر قد نالت بعض الحرية وأصبح لها دستورها الخاص بها . . فإن السودانيين تطلعوا إلى سعد زغلول لكى يساعدهم على تحقيق أملهم هذا . فراسل سعد زغلول الحاكم العسكرى الإنجليزى للسودان (وهو فى ذات الوقت قائد الجيش المصرى) السير لى ستاك بشأن الوضع فى السودان ، وأخبره أن مصر والسودان بلد واحد . ولقد قام البرلمان المصرى فى ٢٣ يونيو ١٩٢٤ بدراسة مسألة السودان ودعمه له ، وأعلن الأعضاء إيمانهم وتمسكهم بوحدة بلدى وشعبى وادى النيل . وفى التاسع من أغسطس ١٩٢٤ قام طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم بتظاهرات منادين باسم مصر والسودان بلد واحد ، فتدخل الإنجليز فى الحال واعتقلوا زعماء الطلبة المتظاهرين ، وألغوا الدراسة وأغلقوا المدرسة . . وبعد ذلك الحادث بيومين أعلن مجلس الوزراء المصرى تأييده لتظاهر طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم ، وطالب قوات الاحتلال البريطانية بالإفراج عن الطلبة المعتقلين .

(٢) الثائر الصامت ـ عبدالعزيز على ـ دار المعارف ١٩٧٦ ـ القاهرة .

وفى السابع عشر من نوفمبر ١٩٢٤ كان السير لى ستاك على موعد للسفر إلى بلاده فطالبه عدد من الضباط المصريين بتأجيل سفره بضعة أيام لرغبتهم فى إقامة حفل توديع له فوافق على طلبهم وأجل سفره ليوم السادس والعشرين من نوفمبر ١٩٢٤ . وقبل سفره بأسبوع ، وفى ظهيرة يوم ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ . وبينما السردار يغادر مقر عمله بوزارة الحربية المصرية ومعه الكولونيل باتريك كامبل (وهو ياوره الخاص) وبعد أن تحركت بهما السيارة قليلاً قام خمسة أشخاص بإمطار السيارة بالرصاص من كافة الأرجاء وقد تم نقل لى ستاك إلى مستشفى الأنجلو أمريكان بالجزيرة حيث مات هناك متأثراً من إصابته بست رصاصات .

ولقد قامت قوات الاحتلال البريطانى فى مصر بأعنف وأوسع عمليات القمع لضبط مرتكبى حادث الاغتيال . .وقدم الكثيرون للمحاكمة حيث حكم على سبعة مصريين بالإعدام شنقاً ، ونفذ الحكم بالفعل فى صباح يوم ١٩٢٥/٧/٢٣ .

وكان من نتائج ذلك الاغتيال مايلى :

١ ـ سقوط وزارة سعد زغلول .
٢ ـ قمع الحركة الوطنية .
٣ ـ اهانة الملك والحكومة والشعب المصرى .
٤ ـ القضاء على شعبة الاغتيالات التابعة للحزب الوطنى .
٥ ـ انفراد انجلترا بحكم السودان .
٦ ـ تعطيل دستور ١٩٢٣ .

وكما هو واضح من قراءة هذه النتائج فإن انجلترا أمدت بقاءها فى مصر وغيرت الوزارات تلو الوزارات وتحكمت فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمصر فترة أخرى من الزمن كانت فى حاجة لها . . وبذلك يتضح أن انجلترا استفادت من مقتل سردار الجيش المصرى بأكثر مما كانت تستفيد أثناء وجوده . إن مصالح الامبراطورية البريطانية كانت أهم من حياة رجل واحدر من رجالها . . بل أهم من مصلحة شعب بأكمله عانى طويلا ، وضحى كثيراً فى سبيل نيل استقلاله . . ولكن المصالح الرأسمالية للامبراطورية لم تعر ذلك كله اهتماماً ولكن كلما مرت السنون كلما قرب الضوء فى الطرف الآخر فى النفق المظلم .

محاولة اغتيال إسماعيل صدقى رئيس الوزراء :

«فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٠ بينما كان إسماعيل صدقى باشا راكباً القطار من الإسكندرية إلى العاصمة ، ضبط شاب سودانى بزى خدم مركبات البولمان فى العربة التى بها رئيس الوزراء وتبين أنه تزيى بهذا والزى واندس ضمن الخدم لكى يقتله ببلطة مرهفة الحد ضبطت معه ، وكان يخفيها تحت قفطانه الأبيض ، وقبض عليه قبل أن يرتكب جريمته ، واتضح أنه يدعى حسين محمد طه من خريجى كلية جوردون بالخرطوم ، وأنه موظف بهندسة السكك الحديدية ، ونجل محمد بك طه عضو مجلس النواب السابق عن مركز الدر ، وقد حوكم أمام محكمة الجنايات على شروعه فى قتل صدقى باشا ، وحكم عليه بالسجن سبع سنين وتوفى فى السجن سنة ١٩٣٢»[٣] .

محاولة اغتيال النحاس باشا رئيس الوزراء :

فى يوليو ١٩٣٨ بلغ الملك فاروق سن الرشد وأصبح ملكاً رسمياً على مصر . وكان النحاس باشا وقتها رئيساً لحزب الوفد ، ورئيساً للوزراء حيث أن حزبه كان قد فاز فى الانتخابات التى أجريت فى مايو ١٩٣٦ وفى ١٦ أغسطس ١٩٣٦ قام النحاس باشا بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ مع انجلترا التى كانت سبباً رئيسياً لانقسام حزب الوفد فى عام ١٩٣٧ . . حيث قام أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وآخرين بالانفصال عن النحاس باشا وكونوا الحزب السعدى (حزب الهيئة السعدية) الذى رفض المعاهدة . . وأصبح واضحاً فى ذلك الوقت أن المصريين قد انقسموا على أنفسهم . . ففئة منهم تؤيد المعاهدة (التى نصت على الاستقلال وأنهت الاحتلال) . . وفئة أخرى ترفض المعاهدة (لأن الجنود البريطانيين مازالوا باقين فى منطقة القناة) ولما كان للرافضين شباب ساخط . . فقد قام عز الدين فهمى (وهو عضو فى جماعة مصر الفتاة) بإطلاق النار على النحاس باشا ولكنه نجا ، وألقى القبض على الجانى وصدر حكم المحكمة عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

---

(٣) فى اعقاب الثورة ـ عبدالرحمن الرافعى ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الأولى ١٩٤٩ ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة .

أزمة الحكم عام ١٩٤٢

قام الملك فاروق عندما جلس على العرش رسمياً كملك لمصر بتعين على ماهر رئيساً للديوان الملكى . . فأوضح النحاس باشا رئيس الوزراء اعتراضه على ذلك الاختيار فعزله الملك من الوزارة . . وأتى برئيس حزب الأحرار الدستوريين محمد محمودباشا رئيساً للوزراء . . ولقد كان حزب الأحرار هذا حزباً صغيراً إذا ما قورن بحزب الوفد . . ولقلة شعبية ذلك الحزب فقد استقال محمد محمود باشا من رئاسة الوزراء بعد أقل من عام واحد من تعيينه وخلفه فى الوزارة مباشرة (عام ١٩٣٩) على ماهر باشا الذى كان فاروق قد عينه رئيساً للديوان الملكى . . ثم استقال هو أيضاً من رئاسة الحكومة عام ١٩٤٠ فخلفه سرى باشا .

وإزاء عدم الاستقرار السياسى هذا وفى الثالث من فبراير ١٩٤٢ تلقى الملك فاروق مكالمة هاتفية من السير مايلز لامبسون وكان سفيراً لانجلترا فى القاهرة وأخبره السفير بإصرار الحكومة البريطانية على تعيين النحاس باشا رئيس حزب الوفد رئيساً للوزراء . وقام الملك بدراسة الطلب البريطانى فاجتمع مع الساسة والمستشارين ومضى اليوم دون أن يرد الملك على طلب السفير .

وفى صباح اليوم التالى الرابع من فبراير ١٩٤٢ تلقى الملك فاروق إنذاراً من بريطانيا ـ عبر السفير البريطانى ـ على ضرورة إعلان تعيين النحاس باشا رئيساً للوزراء مساء ذات اليوم وإلا فإن الملك فاروق سوف يكون مسئولاً عن العواقب التى ستحدث من عدم الإعلان هذا .

لقد أهين الملك وأهينت مصر واهين كل مصرى فى البلاد . . فانجلترا تعلن عبر هذا الإنذار أن مصر ليست دولة مستقلة ذات سيادة وأنها مازالت تحت هيمنة حكومة الامبراطورية . . ولهذا قام الملك بعقد سلسلة من الاجتماعات مع كبار الساسة والمستشارين فقرروا جميعاً رفض الإنذار . وعندما جاء المساء تحركت الدبابات البريطانية صوب قصر عابدين مقر الملك فاروق ، وقام الجنود الإنجليز بتجريد حرس القصر من سلاحه وفرضوا حظر دخول أو خروج أى شخص من أو إلى القصر الملكى . ودخل السفير البريطانى فى حراسة جنوده على الملك فاروق وساسته ومستشاريه . . وأخبره بأن عليه أن يختار إما التنازل عن عرش مصر وإما تعيين النحاس باشا رئيساً للوزراء . . وقد فسر السفير البريطانى للملك الأمر

على أنه لا يقبل التأجيل فالنازيون الألمان على أبواب مصر . ولم يكن للملك إلا ان يختار النحاس باشا رئيساً للوزراء . . فمكث فى رئاسة الحكومة المصرية حتى أوشكت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء ولاح فى الأفق أن النازية قد هزمت فقام فاروق بإقالة النحاس باشا فى أكتوبر ١٩٤٤ وتعيين أحمد ماهر باشا رئيساً للوزراء ، وكان يرأس حزب الهيئة السعدية . . وقد طعم الملك وزارة أحمد ماهر ببعض وزراء أحزاب الأقلية مثل حزب الأحرار الدستوريين والحزب الوطنى .

اغتيال أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء :

لعل القارىء يتذكر ان أحمد ماهر باشا كان قد انفصل هو والنقراشى باشا عن حزب الوفد عقب قيام النحاس باشا بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ مع انجلترا وقاما (ومعهما الكثير من الوفديين) بتأسيس حزب الهيئة السعدية (نسبة إلى سعد زغلول مؤسس الوفد) . وفى عام ١٩٤٤ قام الملك بإقالة النحاس باشا (ولم تتدخل انجلترا فى هذا القرار لانتصارها فى الحرب واستغنائها عن النحاس) وعين أحمد ماهر باشا رئيساً للوزراء .

لقد كان أحمد ماهر من الرجال المخلصين الذين تعرضوا بسبب وطنيتهم لقسوة قوات الاحتلال . . ففى عام ١٩٢٦ زج به الإنجليز فى السجن لتواطئه فى قضايا الاغتيالات السياسية التى كانت تقع بصفة مستمرة فى مصر . . . وبعد مقتل السردار الإنجليزى للجيش المصرى اعتقل أحمد ماهر وأدانه الادعاء الإنجليزى ممثلاً فى (المستر كرشو) وحكم عليه بالإعدام هو والنقراشى باشا . . ولكن المحكمة أصدرت حكمها النهائى (وكان حكماً جماعياً) ببراءة كلا البطلين .

إن هذه البطولة التى أظهرها أحمد ماهر قد تعارضت مع موقفه من دخول مصر الحرب ضد جيوش المحور فى نظر واعتبار من قاموا باغتياله فيما بعد .

ففى المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية كانت انتصارات هتلر فى أوروبا دافعاً للملك فاروق (المحاط بالمستشارين الإيطاليين لكى يعلن تشجيعه لقوات المحور . . وربما يكون هذا أحد أهم الأسباب التى جعلت الإنجليز ينزلون به الإهانة إبان أزمة الحكم فى فبراير ١٩٤٢ .

أما أحمد ماهر باشا فقد كان له وجهة نظر يبدو فيها العمق الاستراتيجى بعيد المدى . . فقد بادر وأعلن انحيازه وانحياز مصر لصالح بريطانيا . . وكان هذا فى رأيه لتقوية الجيش المصرى وتدريب رجاله واكتسابه الخبرة والمرونة . . فإذا انتصرت انجلترا كان الجيش المصرى عنصراً خطيراً ضدها وللضغط عليها لكى تعطى مصر الاستقلال . . وإذا انتصرت قوات المحور وقف الجيش المصرى ليجعل من الصعوبة عليهم احتلال البلاد ، حيث يكبدهم خسائر فى الصحراء الحارة لا يمكنهم تحملها .

والجدير بالذكر أن مصر ـ إبان حكم النحاس باشا ـ وقفت على الحياد فى الحرب منذ بدايتها . . وأعلنت ذلك رسمياً . . ولكن كان أحمد ماهر باشا يعلن رأيه علنا ـ كمعارض ـ بضرورة انحياز مصر لصالح انجلترا حتى يصبح لمصر جيشاً قوياً تعتمد عليه البلاد لنيل الاستقلال بعد أن تنتهى الحرب . ولكن لم يتسن لأحمد ماهر أن يصبح رئيساً للوزراء إلا فى اكتوبر ١٩٤٤ وكانت الحرب على وشك الانتهاء وبات من المؤكد أن انجلترا قد خرجت منتصرة . . .

ووقف أحمد ماهر فى موقف حرج بعد إعلانه دخول مصر الحرب ضد المحور . . حيث ووجه بانتفاضات شديدة وعنيفة من قبل الملك وحزب الوفد والكثير من الذين إتبعوهم . . وأشيع عنه أنه موال لليهود ، وتابع للإنجليز . وربما ما زاد موقفه ضعفاً أمام خصومه عدم لجوئه للشعب لمصارحته بموقفه هذا والهدف الذى كان يرمى إليه . . ولكن كيف يصارح الشعب والإنجليز هم المعنيون بهدفه فى جعل الجيش المصرى قوياً لمواجهتهم . . كيف سيسمحون له بتنفيذ خطته تلك وهى تحمل بذور الخطر بداخلها ضدهم ؟

وفى هذا الجو الملبد بكل صنوف الغيوم والفوضى والانقسام قام شاب يحمل مسدساً بإطلاق النار على أحمد ماهر باشا وهو بداخل البهو الفرعونى بمبنى البرلمان . . وقتل أحمد ماهر متأثراً بجراحه الشديدة . . وقبض على الجانى وحوكم وأعدم . وقد حدثت هذه الجريمة مساء يوم ٢٥ فبراير ١٩٤٥ . . عندما كان البرلمان يعقد جلسة سرية فى نظر طلب حكومة أحمد ماهر إعلان الحرب على اليابان .

اغتيال أمين عثمان

بعد أن تم دفن أحمد ماهر باشا فى اليوم التالى لاغتياله كان قد صدر قرار ملكى بتعيين النقراشى باشا رئيساً للوزراء وبعد الجنازة عقد البرلمان المصرى جلستين (جلسة لمجلس الشيوخ وأخرى لمجلس النواب) لسماع الخطبة التى كان سيلقيها أحمد ماهر بشأن إعلان الحرب على اليابان . . ولقد تمت الموافقة من كلا المجلسين على ذلك الإعلان ، الذى كان شرطاً أساسياً لكى تحضر مصر إلى مؤتمر سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة لسماع رأيها فى مسألة إنهاء الاحتلال البريطانى لمصر .

وفى نهاية عام ١٩٤٥ أخذت الأنباء تتواتر على أن هناك اتجاها بأن تقوم الحكومة البريطانية بتشكيل وزارة جديدة يكون رئيسها أمين عثمان ، وهو وجه جديد لم يكن معروفاً لدى المصريين عامة وبأنه يمكن أن يشغل بكفاءة هذا المنصب الكبير .

إن أمين عثمان كان من مواليد الإسكندرية وتعلم فيها وتخرج من كلية فيكتوريا ثم سافر إلى بريطانيا ليتعلم ويدرس القانون بجامعة أكسفورد وعندما عاد لمصر كان قد تزوج من سيدة بريطانية تدعى كاتلين جريجورى . . وقد ساعده هذا الزواج ليكون قريباً من الإنجليز فعين وزيراً للمالية فى عام ١٩٤٢ (وكانت الحرب العالمية على أشدها) . . وبعد انتهاء الحرب ذهب لزيارة انجلترا ومعه مائة ألف جنيه قدمها للحكومة البريطانية على أنها هدية من جماهير الشعب المصرى لإصلاح الدمار الذى سببته الغارات على القرى فى انجلترا .

ويبدو أن منصبه كوزير للمالية إبان الحرب قد أضر بفئة كبيرة من المصريين الذين شعروا بشدة الإجراءات التقشفية أثناء الحرب وبعدها ، وعندما جاءت الأنباء بعزم بريطانيا تعيينه رئيساً للوزراء شعر الكثيرون من الساسة الكبار ومن الشباب الثائر بالغضب . . وفى ليلة الخامس من يناير ١٩٤٦ قام ثلاثة من الشباب بإطلاق النار على أمين عثمان الذى تم نقله إلى المستشفى حيث مات هناك متأثرا بجراحه .

وقد قبض على القاتل (وكان يدعى حسين توفيق) واعترف وهو تحت الاعتقال على بعض رفاقه . . وصدر حكم المحكمة عليه بالسجن ولكنه ـ فيما

بعد - وضع خطة ناجحة للهروب ولم يعثر له على أثر فيما بعد .

محاولة أخرى لقتل النحاس باشا :

النحاس باشا هو الذى خلف سعد زغلول فى زعامة حزب الوفد ولكن بعد توقيعه لمعاهدة ١٩٣٦ قام النقراشى وأحمد ماهر وغيرهم من أعضاء الحزب بالاستقلال والانفصال عن الحزب وانشأوا حزب الهيئة السعدية .

وبعد مقتل أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء بسبب موقفه من دخول مصر الحرب خلفه النقراشى باشا فى الحكومة .

ومع هذه الخلافات ، ومع إعلان النحاس باشا وحزب الوفد معارضته لدخول مصر الحرب إلا أن النحاس باشا لم يقطع فيما يبدو أواصر الصداقة مع رفاقه القدامى . . ففى يوم السادس من ديسمبر ١٩٤٥ قام النحاس باشا بزيارة للنادى السعدى وفى أثناء توجهه إلى هناك ألقيت قنبلة على مؤخرة سيارته ولكنها لم تصب النحاس ولم يتم العثور على الجانى .

وهنا يثور سؤال : إذا كان الرافضون لسياسة أحمد ماهر قد قاموا بقتله بسبب موقفه من دخول الحرب . . وإذا كان النحاس باشا قد أعلن رفضه دخول مصر الحرب (أى أنه يؤمن بنفس وجهة نظر الذين قتلوا أحمد ماهر الرافضين لمبدأ دخول الحرب) . . فلماذا حاول البعض اغتيال النحاس ؟

ليس هناك من إجابة على هذا السؤال لأن الشرطة لم تعتقل الشخص الذى حاول اغتيال النحاس . . وهذا ما يدعونا إلى الافتراض إلى أن هناك من غضب لقتل أحمد ماهر فحاول الانتقام بقتل النحاس . . ومع ذلك فإن هذا الافتراض قد يضعفه تذكر أن البرلمان المصرى وافق على رأى أحمد ماهر بدخول الحرب مع الحلفاء ويضعفه كذلك أن النقراشى باشا كان قد خلف أحمد ماهر فى الوزارة (وكلاهما من حزب الهيئة السعدية) .

ولهذا يبقى السؤال مطروحاً : لماذا محاولة الاغتيال الثانية للنحاس باشا ؟ وهل كان ورائها الإنجليز أم الملك أم جهات أخرى ؟

اغتيال النقراشى باشا رئيس الوزراء :

أخذ رئيس الوزراء المصرى الجديد اسماعيل صدقى الذى تولى منصبه فى إبريل ١٩٤٦ يفاوض الإنجليز فى مسألة استقلال مصر إلى أن تم له بالفعل التوصل مع (مستر بيفن) إلى مشروع معاهدة بين مصر وبريطانيا كان من أهم نصوصها أن تقوم انجلترا بالجلاء عن مصر فى خريف عام ١٩٤٩ ، وبقاء معاهدة ١٨٩٩ الخاصة ببقاء السودان تحت الحكم المشترك لبريطانيا ومصر وقد رفض الشعب المصرى مشروع المعاهدة الجديدة فسقطت وزارة إسماعيل صدقى وخلفه محمود فهمى النقراشى ، الذى استمر فى مفاوضة الإنجليز ، ولما تباطأ الإنجليز عرضت مشكلة مصر على مجلس الأمن فى اغسطس ١٩٤٧ (وهو المجلس الذى أنشىء بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ليحل محل عصبة الأمم) ولما كانت الدول الرأسمالية الكبرى المنتصرة فى الحرب هى التى تسيطر على هذا المجلس فلم يتمكن النقراشى من استصدار بيان يعطى لمصر استقلالها .

واندلعت المظاهرات فى أرجاء مصر ضد قوات الاحتلال . . فقامت الحكومة البريطانية بسحب قواتها العسكرية إلى حدود منطقة قناة السويس فى حركة بدا منها أنها لإرضاء المصريين ولكنها فى الواقع لم تكن كذلك .

ففى ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها المعروف بتقسيم دولة فلسطين إلى دولتين : عربية وإسرائيلية . . وكان هذا سبباً جوهرياً فى سلسلة الكوارث التى أصابت الأمة العربية فيما بعد وحتى يومنا هذا .

كان على المصريين إذن أن يحاربوا تنفيذ القرار الظالم هذا . . ولكن النقراشى باشا كان يعتقد أنه لو دفع بالجيش المصرى إلى سيناء ومنها إلى فلسطين فسوف تقوم القوات البريطانية فى منطقة القناة بحصار الجيش المصرى وقطع خطوط إمداده بالكامل من الخلف وفى هذا تدمير للجيش . . ومع ذلك فإن رأى النقراشى هذا أراد له أن يطرح فى جلسة خاصة يعقدها البرلمان المصرى للمناقشة . ولكن الملك فاروق كان يتصرف وكأن البلاد بلا وزارة وبلا برلمان فقد أصدر أوامره للجيش المصرى بالتحرك تجاه فلسطين . . وكان يرأس الجيش وقتئذ محمد حيدر باشا ، فقام بتنفيذ أمر الملك .

ولم يتردد النقراشى باشا فى تقديم طلب إلى البرلمان بالموافقة على إعلان الحرب على إسرائيل . . ودفعه الى ذلك ـ بعد أن كان يرفضه ـ عدم استقرار الوضع الداخلى ، ومسايرته للرأى العام فى مصر والوطن العربى . ولقد كشفت حرب ١٩٤٨ بما حدث فيها المستوى الذى كانت قد وصلته الحياة السياسية فى مصر من تدنٍ وفوضى لم تكن قد وصلته فى أى مرحلة من مراحل تاريخها الحديث .

فقد عادت الجيوش ولم تفعل شيئاً . . بل عادت وفلسطين بلدين ، والقتلى بالآلاف نتيجة فساد قادة الجيش وسعيهم المحموم وراء مصلحتهم الذاتية . . ولكن الضباط والجنود الذين كانوا مع شعورهم بالنكسة والهزيمة قد عرفوا أن الثورة لابد وأن تقوم ، وأن الفساد لا يمكن وان يستمر ، وأن الملك لابد وأن يخلع ، وأن المحتل لابد وأن يطرد .

وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ قام الشاب عبدالمجيد حسن (الذى كان يرتدى الزى العسكرى) بإطلاق الرصاص على النقراشى باشا رئيس الوزراء عند وصوله إلى مبنى وزارة الداخلية . . وألقى القبض على الجانى وحكمت عليه المحكمة بالإعدام ونفذ فيه الحكم .

ويعلق الدكتور محمد حسين هيكل على حادثة مقتل النقراشى بالقول : «يرجح كثيرون أن الشاب الذى قتله ـ أى قتل النقراشى ـ وهو من الإخوان المسلمين ، قد تأثر بما بين النقراشي باشا وجماعة الإخوان المسلمين من خصومة . فقد كان النقراشى باشا مقتنعاً بأن حوادث القنابل والمتفجرات يرتكبها شبان من المنتمين للإخوان . وقد بلغ اقتناعه ذاك حد اليقين فاستصدر قراراً بحل الجماعة ومصادرة أموالها ، فكان ذلك إعلاناً للحرب بينه وبينها ، وهذا هو السبب فى ترجيح بعضهم هذا الدافع لقتله»[٤] .

اغتيال الشيخ حسن البنا :

قام الملك فاروق بعد أن بلغه مصرع رئيس الوزراء النقراشى باشا بتعيين إبراهيم عبدالهادى رئيسا للوزراء ، الذى وجد أن عليه مواجهة العنف المتزايد فى

(٤) مذكرات فى السياسة المصرية ـ د . محمد حسين هيكل ـ الجزء الثانى ـ مطبعة مصر ـ ١٩٥٣ .

المجتمع المصرى فأعلن حالة الطوارىء ، وطبق الأحكام العرفية واعتقل الكثيرين من جماعة الإخوان الذين اتهموا بأن جماعتهم هى المسئولة عن اغتيال النقراشى(٥) .

وكان يقود جماعة الإخوان المسلمين فى ذلك الوقت الشيخ حسن البنا وكان يعمل مدرساً . . فأخذ اتجاهه الدينى يرتقى ويتصاعد حتى جمع الناس حوله . . وبلغ السلطات البريطانية نشاطه وهيمنته على أتباعه فنقل للعمل فى احدى مدارس محافظة قنا . . ولكن نقله أغضب الكثيرين من محبيه ومريديه والمتعاطفين معه ومنهم بعض نواب الشعب فتم اعادته للتدريس فى القاهرة ، فزادت شعبية حسن البنا وزاد وزن جماعة الإخوان المسلمين .

ولما حدث قرار التقسيم لدولة فلسطين وأنشئت الدولة الإسرائيلية وعاد الجيش المصرى (وكان من ضمن عناصره جنود من الإخوان) من حرب ١٩٤٨ بدون إحراز نصر ، عرف الناس كافة الفساد الذى استشرى فى الحياة السياسية فى مصر . . فأخذت أعمال العنف تتصاعد . . فخشى الإنجليز قيام صحوة إسلامية تطيح بهم وباحتلالهم لمصر فأقنعوا الحكومة المصرية (وكان يرأسها فى ذلك الوقت النقراشى باشا) بضرورة حل جماعة الإخوان المسلمين والقضاء على نشاطها . وفى الثامن من ديسمبر عام ١٩٤٨ صدر قرار حل الجماعة . . ولم تمض ثلاثة أسابيع حتى تم اغتيال النقراشى باشا وأدينت جماعة الإخوان إدانة رسمية من قبل الحكومة من أنها هى السبب فى مصرع رئيس الحكومة المصرية . وبات من الواضح أن الانتقام من جماعة الإخوان أصبح وشيكا فتم اعتقال الكثير

(٥) ما اشيع عن تعرض المعتقلين من الإخوان للتعذيب فى عهد وزارة ابراهيم باشا عبدالهادى ، استرعى اهتمام الكثيرين من أقطاب الأحزاب السياسية ورجال البرلمان . . يقول محمد شوكت التونى : «ترامى على السنة الناس ان المتهمين المقبوض عليهم من جماعة الاخوان المسلمين يتعرضون للأذى . . فقصدته (أى ابراهيم باشا عبدالهادى) وهو رئيس مجلس الوزراء وسألته عن ذلك . . فغضب وأغلظ لى فى القول . . وجادلته بعنف حتى إذا بلغ النقاش حداً نارياً ، انصرفت غاضباً وفى نيتى الاستقالة من مجلس النواب . . ولكننى ما كدت أصل إلى دارى حتى وافانى إليها متكرماً ، منهياً إلىّ أنه نبه على رجال الشرطة والنيابة العمومية بالمرور معى غدا على السجون وزيارة المسجونين من المتهمين والكشف عليهم . . وأكد لى أننى لن أجد أثراً على متهم . . فقلت له لماذا لا تصدر بياناً عن ذلك تتحدى به الاشاعات فرد على : ومتى استجدى أنا من الناس الثناء علىّ ؟ قلت : انه ليس ثناء ، ولكنه نفى لإشاعات غليظة . قال : اننى اخاف الله أكثر مما أخاف الشائعات . ولم يصدر بياناً ، وظلت الشائعات تطارده ظلماً ولكنها غالبة للأسف» . أنظر كتاب : احزاب وزعماء ـ محمد شوكت التونى المحامى ـ الجزء الأول .

من أعضائها وزج بهم فى السجون إبان حكومة إبراهيم باشا عبدالهادى (وهو من حزب الهيئة السعدية مثل النقراشى باشا) . .

وفى الثانى عشر من فبراير ١٩٤٩ تم اغتيال الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين وهو خارج من جمعية الشبان المسلمين حيث التقى فيها ببعض رفاقه ورواد مجالسه . . ولم يعثر على القاتل فى ذلك الوقت . . إلا أنه بعد قيام الثورة (ثورة يوليو ١٩٥٢) اتضح أن الملك فاروق كان هو الذى أوصى باغتيال البنا نظراً لغضبه من الجماعة لانتقادها أسلوب حياته وفساده ونظراً لقيامها باغتيال النقراشى . . ولقد كشفت التحقيقات التى أجريت بعد الثورة أن أفراداً تابعون للحرس الحديدى للملك هم الذين قاموا بتنفيذ هذه الجريمة .

محاولة اغتيال الجنرال اكسهام :

«ألقى بعض الفدائيين المصريين ثلاث قنابل يدوية على سيارة البريجادير جنرال إكسهام قائد القوات البريطانية فى منطقة الإسماعيلية يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، بالقرب من كوبرى نفيشة أثناء ذهابه إلى منطقة القصاصين ، وقد أصابت سائق السيارة ، كما أصابت مقدمتها ، ولكنها لم تصب البريجادير إكسهام ، وعقب وقوع هذا الحادث انتشرت قوات بريطانية تؤيدها الدبابات والمصفحات على طول الطريق حتى أبو صوير وأخذت تفتش المارة فى تعسف واستبداد . ثم حاصرت بعض القرى وفتشت منازل الأهلين فيها بحجة الفدائيين بها»[٦] .

محاولات اغتيال إحسان عبدالقدوس :

تعلم إحسان عبدالقادس فى مدرسة روزاليوسف الصحفية التى أسستها أمه السيدة روزاليوسف . . فشب متمسكاً بالمبادىء الوطنية والجرأة والإقدام مما سبب له الكثير من المتاعب ، وخاصة أن الظروف التى كان يكتب فيهاكانت إما ظروف يسيطر فيها المحتل الأجنبى ، والملك وتصارع الأحزاب ، أو ظروف كانت فيها الثورة تحاول أن ترسخ أقدامها وكيانها فى المجتمع المصرى . . ومع ذلك فلم يتوقف أبداً عن النقد، وإبداء وجهات نظره كلما دعت الضرورة إلى ذلك .

(٦) فى اعقاب الثورة ـ عبدالرحمن الرافعى ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الأولى ١٩٤٩ ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة .

عندما قامت حرب ١٩٤٨ ومنيت القوات العربية بخسائر بشرية كبيرة وفشلت فى تحرير فلسطين من العدو الصهيونى تصاعدت الأحداث وعلم الناس أن وراء ذلك كله صفقة أبرمت لإدخال أسلحة فاسدة للبلاد . . فتصدى إحسان عبدالقدوس بقلمه مهاجماً الذين سلحوا الجيش المصرى بأسلحة أهدرت دماء جنوده وأفشلت خطط الجيش بتحرير فلسطين . . ولهذا فلم يتوقف الأعداء عن عدوانيتهم فحاولوا اغتيال هذا الشاب المصرى الجرىء الذى يحاول فضحهم . . وفى ذات يوم قام شخص مجهول بالاعتداء بسكين على إحسان عبدالقدوس فأصابه بعدة طعنات نقل على أثرها إحسان ـ بمساعدة أصدقاء إلى المستشفى حيث تم إنقاذه . . ولقد اتضح بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ التى فتحت ملف القضية أن الجريمة كان يقف وراءها أحد عملاء الملك ويدعى النبيل عباس حليم وهو أحد الذين استفادوا من إدخال الأسلحة الفاسدة للبلاد . أما المحاولة الثانية لاغتيال إحسان عبدالقدوس فكانت بعد قيام ثورة يوليو ولم تدبر لاغتياله فى مصر . . بل إنها دبرت فى فرنسا حيث كان إحسان فى مهمة رسمية بناء على رغبة قيادة الثورة ـ وكان إحسان صديقاً للكثيرين من الضباط الأحرار ـ لإرساله كممثل للصحف والمجلات المصرية . . وقد تقابل إحسان مع سكرتير الملك الفاروق أمين فهيم . . فأخبره أن الاحاديث الصحفية التى يدلى بها الملك للصحف والمجلات الأجنبية تسىء لمصر التى تناست مساوئه تجاهها ولم تقدمه للمحاكمة . . واقترح سكرتير الملك على إحسان أنه يمكنه لقاء الملك وإقناعه بوجهة النظر تلك فوافق إحسان وتحدد الموعد فى اليوم التالى .

وتتدخل عناية الله لتنقذ إحسان من الاغتيال . . فقد حذرته السيدة زوجته من ذهابه وأقنعته أن عملاء الملك لن يتركوه إلا قتيلاً فعزف عن اللقاء .

لقد أفصح عن محاولة اغتيال إحسان عبدالقدوس هذه سكرتير الملك أمين فهيم عندما نشر مذكراته فى مصر بعد تركه خدمة الملك وعاد إلى مصر . . واتضح منها أن الملك فاروق نفسه هو الذى وضع الخطة لاغتيال إحسان .

وإذا كان لإحسان عبدالقدوس أعداء بمثل هذه الصورة قبل الثورة . . فإن البعض يذكرون أنه تعرض لمحاولة لاغتياله من قبل «مراكز القوى» إبان عام ١٩٦٨ ، فقد ذكر أن سيارة مسرعة دهمته بالقرب من مسكنه بحى الزمالك

بالقاهرة . . ولكنها لم تقتله . . وعولج إحسان من بعض الإصابات . وإذا كانت هذه الحادثة صحيحة ـ مع أن إحسان نفسه أنكر أن الحادث له هدف سياسى عدوانى ـ فإن للمرء أن يتذكر أن إحسان عبدالقدوس كان له رأى فى سير الحياة السياسية فى مصر خاصة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ .

***



■ جدول احصائى بعمليات الاغتيال السياسى بمصر من سنة ١٩١٠ حتى سنة ١٩٤٨

م	اغتيال	محاولة	الأســـباب	الشخصية	السنة	القـــاتل
١	اغتيال	ــــ	حادثة دنشواى ـ مد امتياز قناة السويس	بطرس باشا غالى رئيس الوزراء	١٩١٠	ابـراهيم نـاصـف الوردانى
٢	ــــ	محاولة	اعتبر خائنا لقبوله تعيين الإنجليز له سلطانا على مصر .	السلطان حسين	١٩١٥	محمد خليل
٣	ــــ	محاولة	" " "	" " "	١٩١٥	محمد نجيب الهلباوى
٤	ــــ	محاولة	أسباب سياسية	وزير الأوقاف ابراهيم فتحى	١٩١٥	صالح عبداللطيف
٥	ــــ	محاولة	أسباب سياسية	محمد سعيد باشا رئيس الوزراء	١٩١٩	سيد محمد على
٦	ــــ	محاولة	أسباب سياسية	يوسف باشا وهبى رئيس الوزراء	١٩١٩	عريان يوسف سعيد
٧	ــــ	محاولة	أسباب سياسية	اسماعيل سرى باشا وزير الاشغال	١٩٢٠	أحمد توفيق
٨	ــــ	محاولة	أسباب سياسية	محمد شفيق باشا وزير الزراعة	١٩٢٠	عبدالقادر شحاتة
٩	ــــ	محاولة	أسباب سياسية	حسين درويش وزير الاوقاف	١٩٢٠	أحمد توفيق
١٠	ــــ	محاولة	لسوء تصرفاته واستبداده وبطشه	محمد توفيق نسيم رئيس الوزراء	١٩٢٠	عبـدالعـزيـز بـك + ابـراهيم حسن مسعود
١١	اغتيال	ــــ	لأسباب الاحتلال	مستر براون مراقب عام وزارة المعارف	١٩٢٢	ــــ
١٢	اغتيال	ــــ	لأسباب الاحتلال	المستر كيف وكيل حكمدار العاصمة	١٩٢٢	ــــ

١٣	ـــ	محاولة	لأسباب الاحتلال	مستر براون رئيس مصلحة البساتين	١٩٢٢	عبدالحميد عنايت
١٤	ـــ	محاولة	لأسباب سياسية خاصة بمفاوضة الانجليز	سعد باشا زغلول رئيس الوزراء	١٩٢٤	عبداللطيف الدلبشاوى
١٥	اغتيال	ـــ	لأسباب الاحتلال	سيرلى ستاك سردار الجيش	١٩٢٤	سبعة مصريين
١٦	اغتيال	ـــ	لأسباب خاصة بدخول مصر الحرب مع الانجليز ضد الالمان واليابان	أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء	١٩٤٥	ـــ
١٧	اغتيال	ـــ	لما نسب عن ولائه للانجليز	أمين عثمان وزير المالية ورئيس رابطة النهضة لتوثيق العلاقات مع الانجليز	١٩٤٦	ثلاثة شبان
١٨	ـــ	محاولة	أسباب سياسية تعبيرا عن سخط ورفض المعاهدة مع بريطانية	مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء	١٩٣٧	عز الدين فهمى
١٩	ـــ	محاولة	" " "	" " "	١٩٤٥	ـــ
٢٠	ـــ	محاولة	" " "	" " "	١٩٤٧	ـــ
٢١	اغتيال	ـــ	لأسباب سياسية وحل جمعية الاخوان المسلمين	النقراشى باشا رئيس الوزراء	١٩٤٨	عبدالمجيد حسن
٢٢	اغتيال	ـــ	لأسباب سياسية ولانه رئيس جماعة الاخوان المسلمين الذين نسب اليهم قتل رئيس الوزراء النقراشى باشا .	الشيخ حسن البنا	١٩٤٩	مجموعة من العاملين بما سمى فيما بعد بالحرس الحديدى

استنتاجات

قبل استخلاص النتائج من هذا الجدول السابق أود أن أشير إلى أنه لم تدرج كل حوادث الاغتيال أو كل المحاولات لصعوبة وجود مراجع سياسية شاملة فى هذا الصدد . . ولكن يمكن علميا الاستفادة مما سبق لاستخلاص بعض النتائج الإحصائية التى توضح للقارىء معنى وحجم ونوع الظاهرة محل الدراسة .

١ - عدد السنوات التى شملها من عام ١٩١٠ وحتى عام ١٩٤٩=٣٩ سنة .
٢ - عدد حوادث الاغتيال أو محاولاته بلغ ٢٢ حادثة .
٣ - نسبة حدوث الاغتيال أو محاولته بلغت حادثة كل ١٨ شهرا تقريبا .
٤ - نسبة حوادث الاغتيال الى محاولات الاغتيال هى ٨ : ٢٢ أو ٣٦٪ .
٥ - إذن حدث اغتيال سياسى كل (٤ سنوات وثمانية أشهر) .
٦ - كذلك حدثت محاولة اغتيال سياسى كل (سنتين وثمانية أشهر) .
٧ - تعرض السلطان حسين لمحاولتى اغتيال بنسبة ١١٪ من إجمالى الحوادث .
٨ - تعرض رؤساء حكومات مصرية لسبع محاولات اغتيال بنسبة ٣١,٨٪ .
٨ - تم اغتيال ثلاثة رؤساء وزارة بنسبة ١٣,٦٪ من إجمالى الحوادث .

ملاحظة :

كما سبق القول فإن الإحصائيات المذكورة بعاليه ليست نهائيةكلية ولكنها تقريبية إلى حدكبير ، بمعنى انها تعطى القارى صورة عما كان يحدث إبان فترة حكم فيها المصريون بقوات احتلال أجنبية وفى ظروف حكم ملكى وحكومات وجدت نفسها أمام مهمة صعبة لإنهاء آلام الشعب ، ولعل ذلك يعطى للمرء تصورا عن جدوى قيام ثورة عام ١٩٥٢ .

***



الفصل الخامس



الاغتيالات السياسية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢



كانت الأوضاع السياسية قبل اندلاع الثورة مباشرة تتآكل بفعل النيران التى أخذت تندلع منذ سنين طويلة . . وبسبب انحرافات الملك والسراى ، وبفعل الاحتلال الغاشم للبلاد ، وبفعل عدم قدرة الأحزاب على إنهاء آلام الشعب .

ويمكن القول : إن حريق القاهرة الذى وقع فى يناير ١٩٥٢ كان أقل أثراً من الحريق الذى كان يأكل البنيان السياسى للبلاد بأكمله . . وذلك لأن حريق القاهرة - وإن كان فى حد ذاته كارثة - لم يكن إلا مظهراً واحداً من مظاهر الحريق الأكبر .

لقد تراكم الإحساس بالألم . . وتزاحمت الهموم . . وتكاثرت المظالم وانتشر الفساد بصورة لم يكن من الممكن تداركها أو تخفيف أثرها . وعندما يعم اليأس فى النفوس فإن الإحباط يولد قوى جديدة تنبثق من الأعماق لكى تزيل الشعور الكئيب باليأس .

وهذه القوى الجديدة إما أن توجه إلى الذات بالانتحار (هرباً من ألم اليأس) . . وإما أن توجه (كمحاولة أخيرة) تجاه الذين سببوا الإحباط فتخلع جذور بقائهم وأسباب نفوذهم .

إن الضباط الأحرار الذين **قادوا** ثورة يوليو ١٩٥٢ لم يكونوا إلا أفراداً من شعب عانى طويلاً . . وقد أحسوا أن أسباب قيام ثورتهم قد تهيأت ولم يعد أمامهم إلا أن ينفذوا خططهم .

ومع ذلك فقد يشعر المرء بخطورة قيام ثورة فى مثل الظروف التى كانت موجودة قبل ثورة ١٩٥٢ ، فالذين قاموا بها ما هم إلا مجموعة من الشباب غير

المعروفين ، ولا تربطهم بالجماهير الروابط التى نعرفها عن رواد الثورات الكبرى فى العالم . . ولهذا فإن أى فشل لهم كان سيعنى تعليقهم فى أعواد المشانق . لقد كان هؤلاء الضباط يعلمون أن هناك جهات أمنية قوية سواء ما كان منها تابعاً لقوات الاحتلال البريطانى ، أو التابعة للولايات المتحدة ، أو التابعة للملك . . ومع ذلك فيبدو أن هؤلاء الضباط لم تكن تنقصهم البصيرة بمشاعر الشعب وحاجة الشعب لمن ينقذه من اليأس . ولهذا فعندما قامت الثورة خرجت الجماهير فى الشوارع تعبر عن مشاعرها الحقيقية تجاه الذين أنقذوهم . .

ومما لا شك فيه أن الثورة كانت عملاً انتحارياً نجح نجاحاً رائعاً فى الإمساك بكل مصادر التهديد ، وتحييد كل مظاهر الإزعاج . . ويأتى ذلك بدون شك إلى براعة الذين قادوها ونفذوها . . وإلى تدخل الجماهير برعاية الثورة واحتضانها والخوف عليها . . وهذا يوضح أن دور الشعب فى التدخل فى الوقت المناسب لتأمين وحماية حركة التاريخ أمر لا يمكن إغفاله والتقليل من شأنه .

● ● ●

وكأى عمل ثورى ناجح شعر أعداء الثورة فى الخارج والداخل بخطورة تغيير الخريطة السياسية فى مصر . . فمصر دائماً كانت مصدر الإشعاع والنور . . ومنها دائماً خرجت النماذج المجددة لتطوير المجتمعات والأمم والثقافات . . فبدأ الأعداء يكيدون لمصر كيداً . . وأخذت الدسائس والمؤامرات تتوالى . . فحدثت فتن بين الإخوة تارة وبين القوى السياسية تارة أخرى . . وما كان يجب أن يحدث هذا لو كان هناك قدر كافٍ من الحوار والتسامح . . فسقط الضحايا لتنكشف لنا حاجتنا كأبناء وطن واحد إلى التروى والتبصر وعدم الاندفاع وتغليب الصالح العام على المصالح والأهواء الشخصية والفئوية ، وأن نثق كل الثقة أن ما بيننا من اختلاف لا يجب أن يزيد ويتسع . . وأن أعداءنا فى الخارج هم الأعداء الحقيقيون الذين يجب أن توجه كل طاقاتنا لدحرهم وكشف دسائسهم . . فليس الأعداء منا . . ولا يجب أن يكونوا منا .

لقد حدث الاغتيال السياسى إذن فى فترات عديدة منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ . . لدرجة انه فى أوقات عصيبة مرت كانت لغة الرصاص والمتفجرات لغة بديلة عن الحوار . .

وفى الصفحات القادمة سيرى القارى أن ضحايا الاغتيال السياسى الذين سقطوا منذ قيام الثورة ترجع فى الأساس إلى تدخل القوى الأجنبية المعادية فى شئون مصر سواء الخارجية أو الداخلية ، وإيقاعهم فيما بيننا .

ولكى يتم قدر كاف من الوضوح فى عرض حالات الاغتيال السياسى أو محاولاته ـ والتى وقعت منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى يومنا هذا ـ فسوف يتم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة أقسام . . القسم الأول يتعرض للمرحلة الأولى من الثورة (منذ قيامها وحتى تعيين جمال عبدالناصر رئيساً للجمهورية فى ١٩٥٦/٦/٢٣) . . والقسم الثانى يشمل المرحلة التى حكم فيها الرئيس عبدالناصر وحتى وفاته فى ١٩٧٠ ، والقسم الثالث يتعرض لمرحلة حكم الرئيس أنور السادات حتى اغتياله عام ١٩٨١ ، والقسم الرابع يتعرض لفترة حكم الرئيس حسنى مبارك (حفظه الله) وحتى الآن .

وأرجوا أن يتذكر القارىء أن أغلب حالات الاغتيال (أو محاولاته) التى وقعت فى هذه الفترات الأربع كانت تعود لأسباب مباشرة أو غير مباشرة لتدخل قوى أجنبية معادية فى شئون مصر الداخلية أو الخارجية ، أو بقضايا تمس هذا التدخل . . حتى يعطينا ذلك العلم الكافى بأننا لا يجب أن نسمح لفئات ساذجة منا أن تنساق وراء الدسائس الخارجية وتقوم بارتكاب أعمال العنف ضد بقية فئات المجتمع . . إن أعداءنا ليسوا منا بل هم من الخارج . . ويجب أن نثق فى أن إلحاق الهزيمة بالأعداء الخارجيين يبدأ بكشف فتنهم ودسائسهم فى بلدنا .

أولا : المرحلة الأولى من الثورة

بعد أن تم تأمين نجاح الثورة وإعلان بياناتها على الشعب اتضح أن الذين قاموا بها ونفذوها لم يقوموا بثورة دموية مثلما حدث فى أغلب الدول التى قامت فيها ثورات تاريخية هامة . فلم يحدث اغتيال لأى شخص فى أى مرحلة من مراحل تنفيذ هذه الثورة أو أى عملية من عملياتها لتأمين نجاحها .

قام الضباط الأحرار بتعيين على ماهر رئيساً للوزراء بعد أن استقالت وزارة أحمد نجيب الهلالى ، وتم حظر المظاهرات وخلع الملك الذى طرد من البلاد بعد ثلاثة أيام من إعلان الثورة .

ولكن ما إن خرج الملك فاروق من مصر حتى شعر رجال الأحزاب بالخطر حولهم ، وخاصة بعد رفضهم طلب قيادة الثورة بتطهير الأحزاب من الفئات التى لا تحظى بحب الشعب . . وربما أحس بعضهم أن الثورة تلك كان يمكن أن يقضى عليها . . ويرتبط ذلك بالمظاهرات التى قام بها عمال مصانع الغزل والنسيج بكفر الدوار . . واندلاع أعمال العنف والتخريب والتصادم مع الجنود . . فكان من نتيجة ذلك مصرع جنديين من الجيش وجندى من قوات الشرطة . . وحكمت محكمة عسكرية ـ بعد إجراء التحقيق ـ على اثنين من قادة أعمال الشغب بالإعدام وتم تنفيذ الحكم .

ولقد كان لأحداث العنف التى اندلعت فى مدينة كفرا الدوار أثر بالغ الشدة فيما يبدو على قيادة الثورة ، وعلى الحياة السياسية فى مصر عامة فقد استقالت وزارة على ماهر . . وتم اعتقال العشرات من رجال السراى وقيادات الأحزاب ، وقد اتخذت هذه الخطوة كعملية تأمين لمسار الثورة . . ومع ذلك فقد تم الإفراج عن أغلب هؤلاء المعتقلين فى نهاية عام ١٩٥٢ .

وبعد استقالة وزارة على ماهر ، قام محمد نجيب (وكان برتبة لواء أثناء الثورة) بتشكيل أول وزارة مدنية برياسته ، وقام نجيب بإصدار قانون للإصلاح الزراعى ينص على ألا تزيد ملكية الفرد الزراعية بأكثر من مائتى فدان . . ويعتبر هذا القانون ـ كما هو واضح ـ تحولاً جذرياً من قيادة الثورة ضد كبار مالكى الأرض الزراعية فى مصر تجاه صغار الفلاحين ، وهذا ما أعطى للثورة وزناً اجتماعياً لاشك فيه . . ولكن أعداء هذا القانون أبدوا عداوتهم ، فرفضوا تنفيذ القانون . . واستخدم بعضهم العنف للحيلولة دون التنفيذ .

ولما كانت مصالح الإقطاع ترتبط بمصالح الشركات الرأسمالية العالمية ، فى ذلك الوقت فقد رفضت انجلترا شراء القطن المصرى (وكان مصدر الدخل الرئيسى للبلاد من العملات الأجنبية) . . وهذا يظهر لنا كيف تبدأ الدسائس من الخارج بتحريك الضعفاء فى الداخل ضد استقرار بلدهم . . ومع ذلك قامت الوزارة المصرية بإبداء حسن النية ، وتم الافراج عن كافة الذين اعتقلوا منذ عام ١٩٣٦ وحتى تاريخ قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وفى ١٣ يناير ١٩٥٣ اتخذت قيادة الثورة خطوة أخرى تجاه تجميع القوى السياسية فى مصر فتم تشكيل لجنة من خمسين عضواً لتشكيل دستور شعبى جديد . . وقد شكلت هذه اللجنة من الأحزاب السياسية كافة ، ومن جماعة الإخوان المسلمين ، وكان يرأسها على ماهر . . وبعد أربعة أيام مرت على تشكيل تلك اللجنة أعلن عن حل كافة الأحزاب السياسية ، وتحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات حتى تنتقل البلاد إلى حكم ديمقراطى سليم .

وكان أهم قرار اتخذه مجلس قيادة الثورة (خلال المرحلة التى تلت قرار الغاء الأحزاب) هو قرار إعلان الجمهورية المصرية الذى يعنى رسميا إنتهاء عصر أسرة محمد على ، وقد أعلن كذلك أن محمد نجيب هو رئيس الجمهورية الجديدة وأصبح نائبه هو جمال عبدالناصر . . ودخل الوزارة لأول مرة مجموعة من الضباط الأحرار الذين لم يكونوا يعلمون بعد من أين ستأتيهم المخاطر .

لقد صدر قرار إعلان الجمهورية وتشكيل الوزارة التى دخلها بعض الضباط الأحرار فى ١٨ يونية ١٩٥٣ ، وفى سبتمبر ١٩٥٣ قامت بعض الوحدات الإسرائيلية باحتلال (العوجة) . . وهى منطقة محايدة تقع على الحدود بين مصر وفلسطين . . وكان هذا فيما يبدو رداً صهيونياً على إعلان جمهورية مصر .

ولكن كان هناك كذلك رد آخر جاء من داخل تنظيم الضباط الأحرار نفسه . . فتعيين محمد نجيب رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء . . وتعيين بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة فى مناصب وزارية لم يكن يعنى إلا أن العسكريين قد فقدوا الأمل فى الساسة . . وخاصة لشغل المناصب الكبرى . . كما يعنى أيضا أن المناصب الوزارية التى دخلها بعض الضباط كانت تربطهم أكثر ـ سواء إرادياً أو لا إرادياً ـ بالبقاء فى الحكم .

ولقد شعرت جماعة الإخوان المسلمين بأنها ـ وإن لم يصدر قرار بحلها مثلما حدث مع الأحزاب السياسية ـ إلا أنها شعرت أن الضباط الأحرار لا يرغبون فى تنفيذ شروطها لدخول الوزارة . وربما يكون دافع رجال الثورة أن حركة الإخوان لم تكن حزباً سياسياً ـ وهذا صحيح ـ بل هى جماعة دينية ويجب أن تبقى جماعة دينية . إلا أن الإخوان نتيجة اشتراكهم فى حرب ١٩٤٨ ، وأعمال التفجير التى شهدتها منطقة القنال عامى ١٩٥١ و١٩٥٢ ، بالإضافة إلى كبر حجمها

وانتشارها شعرت أن ذلك يعتبر انتقاصاً من دورها . ولقد توجس رجال الثورة من نشاط الإخوان ، وزاد من توجسهم هذا ما نشر عن قيام الاخوان بدعوة زعيم جماعة الاغتيالات فى إيران (منظمة فدائيى إيران) ، ويدعى (نواب صفوى) واحتفوا به فى جامعة القاهرة مما جعل رجال الثورة يعتقدون أن الإخوان سيدبرون المكائد ويعودون إلى ممارسة العنف ضدهم ، فقاموا بحل الجماعة فى ١٤ يناير ١٩٥٤ ، وجاء فى قرار الحل أن قيام الجماعة بالاتصال بالسفارة البريطانية فى القاهرة إنما هو دليل أكيد على نيتهم فى قلب نظام الحكم . . وعدد القرار الكثير من مواقف الإخوان ، ورفضهم إصدار بيان منهم بشأن الثورة إلا بعد خمسة أيام من قيامها ، ورفضهم الاشتراك فى وزارة محمد نجيب بثلاثة مناصب وزارية إلا بشروطهم . . وذكر القرار تفاصيل عن قيام قادة الإخوان بالاتصال بالسفارة البريطانية ومناقشتها فى القضايا المصرية المحلية ، وأوضح قرار الحل كذلك قيام الإخوان بتكثيف نشاطهم داخل القوات المسلحة والشرطة ، والعمل على نشر أفكار الإخوان داخل الوحدات العسكرية والتخطيط لقلب نظام الحكم الجديد .

وأوضح القرار ـ فيما يبدو أنه محاولة أخيرة لإثناء الإخوان عن معاداة الثورة ـ أن جمال عبدالناصر وكان وقتها نائباً لرئيس الوزراء قد اجتمع مع المرشد العام للاخوان ، وأوضح له خطورة ما يقوم به الإخوان فى تلك الأوقات الصعبة التى تمر بها البلاد . وبعد صدور قرار حل جماعة الاخوان المسلمين قامت الحكومة باعتقال ٤٥٠ عضوا منهم بالإضافة إلى مرشدهم العام حسن الهضيبى . وبالرغم من إطلاق سراح ربع المعتقلين من الإخوان بعد انتهاء التحقيق معهم إلا أن كلاً من الحكومة والإخوان كانوا فيما يبدو يعيدون تكرار احداث التاريخ . . فقيادة الثورة قامت بحل جماعة الإخوان بعد اتهامها بمحاولة القضاء على نظام الحكم . . وهو موقف مشابه كما نرى لموقف حكومة النقراشى باشا الذى حل جمعيتهم . والإخوان بعد قرار حكومة محمد نجيب بحل جماعتهم أخذوا يفكرون فى العقوبة التى ينزلونها بالحكومة الجديدة . . لقد تخلصوا من النقراشى ولهذا فقد استقر رأيهم على مجابهة الحكومة الجديدة بنفس الأسلوب .

وقد ساعد الإخوان على ذلك ، الأزمة الكبيرة التى وقعت بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة . . ففى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ أذاع مجلس قيادة الثورة بياناً أوضح فيه أن محمد نجيب لم يكن عضواً من أعضاء الضباط الأحرار ، ومع ذلك فقد

أظهره المجلس على أنه الزعيم الرئيسى للثورة ، مما دفعه إلى المطالبة بالمزيد من السلطات ، ولذلك فقد قبل المجلس استقالته . ومع إذاعة هذا البيان تدخل الكثيرون (ومنهم بعض رجال الإخوان) لإثناء محمد نجيب عن الاستقالة ، وإزالة الشقاق بينه وبين مجلس الثورة . . وهذا ما حدث بالفعل ففى السابع والعشرين من نفس الشهر أذيع بيان يفيد بأن مجلس قيادة الثورة يعلن عودة محمد نجيب رئيساً للجمهورية ، وفى اليوم التالى أى ٢٨ فبراير ١٩٥٤ قامت مظاهرات وأعمال شغب من طلبة الجامعات الذين حمل بعضهم السلاح وتوجهوا عبر الشوارع والميادين فاصطدموا بقوات الشرطة التى قبضت على الكثيرين من زعماء المتظاهرين ، وأعلن عن وقف الدراسة بالجامعات المصرية واتضح من سير التحقيق مع من شملهم الاعتقال أن ٤٦ منهم من قيادات جماعة الإخوان التى حلت فى شهير يناير ١٩٥٤ .

وفى يوم أول مارس تعرض محمد نجيب لمحاولة اغتيال وذلك عند وصوله لمطار الخرطوم للاحتفال بافتتاح البرلمان السودانى . . فقد حدثت أعمال عنف واسعة النطاق قام بها المنادون باستقلال وانفصال السودان عن مصر . . وقد استهدفوا اغتيال محمد نجيب كرئيس جمهورية مصر إلا أن الأقدار حفظته ليعود إلى مصر .

ولاشك أن مجلس قيادة الثورة كان يهمه الحفاظ على مكاسب الثورة ـ وخاصة المعنوية منها ـ فقد تم الإعلان فى ٢٥ مارس عن موافقة المجلس على عودة الأحزاب السياسية من جديد . . وتم إلغاء قرار حل جمعية الإخوان المسلمين بما فيهم زعيمهم الهضيبى . . وانتشر وقتئذ الاعتقاد بأن الحكومة السعودية قد توسطت للإفراج عن الإخوان .

ولكن فى الثلاثين من مارس ـ وتحت ضغط المطالب الشعبية ـ قام مجلس قيادة الثورة بإلغاء الأحزاب . . والإبقاء على الإخوان كحركة دينية . ومن هذين القرارين المتناقضين يتضح لنا أنهما قد صدرا خصيصاً فى صالح الإخوان المسلمين . . فقد خرجوا من السجون أحراراً من جديد . وإذا كان شهر فبراير ١٩٥٤ قد شهد عدم استقرار فى مجلس قيادة الثورة . . فإن الشهور التالية كانت قد شهدت عدم استقرار فى الجيش ذاته . . فقد اكتشفت مؤامرتان لقلب نظام

الحكم الجديد ، ترأس الأولى ضابط يدعى أحمد على حسن . . وكان معه خمسة عشر ضابطاً آخرون ، وقد حكم عليهم بأحكام مختلفة بالسجن . أما المؤامرة الثانية فكان يرأسها ضابط يدعى مصطفى كمال صدقى وكان معه ٢٠ متهماً آخرون ، وحكم عليهم بأحكام بالسجن . وفى ٢٧ أغسطس ١٩٥٤ قام الإخوان بالاشتباك مع قوات الشرطة خارج مسجد شريف بالروضة حينماكان أحد رجال الإخوان المعروفين ينادى بالثورة (!)

ويبدو أن الإخوان المسلمين لم يكونوا راضين حتى بعد أن أفرج عنهم بلا شروط . . إلا أن يتصادموا مع قيادة الثورة . . وربما جعلهم التنظيم السرى (وهو تنظيم مسلح منذ حرب ١٩٤٨) يشعرون بالقوة ، وبالقدرة على الاستمرار فى سياساتهم .

لقد سافر بعضهم ـ بعد إطلاق سراحهم ـ إلى دول عربية ليهاجموا الثورة المصرية ، ويندودا بسياسات مجلسها . . وأخذت الإذاعات الأجنبية (ومنها إذاعات إسرائيلية عدوانية) وبعض الصحف العربية من ترديد شعارات الإخوان . فزادهم ذلك قوة وبأساً فى مصر . . فقام أحد الشباب المنضمين للجهاز السرى ويدعى محمود عبداللطيف (ومهنته سمكرى من منطقة امبابة بغرب القاهرة) بإطلاق ثمانى رصاصات على المكان الذى وقف فيه جمال عبدالناصر بميدان المنشية بالاسكندرية يخطب بمناسبة اتفاقية جلاء الإنجليز عن قناة السويس نهائياً ، وكان ذلك يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ .

لقد استغل الإخوان قيام مجلس الثورة بتوقيع اتفاقية الجلاء عن مصر ، وكانوا يرفضونها بالعنف المسلح .

إن قناة السويس بقيت محتلة ومستغلة من قبل الإنجليز منذ حفرها وحتى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ (وهو يوم توقيع الاتفاق النهائى بالجلاء) . . ولقد كافح زعماء مصر طويلاً على مدى عشرات السنين بدون جدوى من إزاحة الانجليز عنها . . وها هى الثورة تنجح أخيراً فى ذلك . . ألم يكن ذلك عملاً وطنياً يرضى جميع المصريين ؟

لقد نجا عبدالناصر من الرصاص بالرغم من إصابة اثنين من الحضور بجانبه . . وقبض على مرتكب الجريمة واعترف . . فتبين أن التنظيم السرى

المسلح للإخوان كان قد وضع خطة لاغتيال أعضاء الثورة والعشرات غيرهم من ضباط الجيش وذلك للإطاحة بنظام الحكم بكامله . وشهدت مصر حركة اعتقالات واسعة بعد أن تأكدت الحكومة من المخطط الذى يدبره لها الجناح المتطرف من الإخوان . . وقد قامت محاكم عسكرية ومحاكم الشعب بالتحقيق مع مئات من أعضاء وزعماء الإخوان ، وحكمت بالإعدام على ستة من قياداتهم البارزين ونفذ الحكم بالفعل . . أما بقية الأحكام فقد تراوحت العقوبة فيها بين السجن المؤبد وبين السجن لمدة خمس عشرة سنة[1] .

انتصر الضباط الأحرار إذن على الاخوان . . ولم يبق أمامهم غير محمد نجيب فعزلوه . . ودخلت مصر مرحلة جديدة من مراحل ثورة ١٩٥٢ .

ثانيا : مرحلة حكم جمال عبدالناصر:

تم إعفاء اللواء محمد نجيب من قبل أعضاء الثورة عندما علموا أنه كان على اتصال بجماعة الإخوان حتى بعد وضوح نياتهم لقيادة الثورة بالقضاء على نظام الحكم . ولذلك صدر قرار فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ بعزله من كافة مناصبه ، وأن يبقى مجلس قيادة الثورة فى قيادة البلاد برئاسة جمال عبدالناصر .

ولقد واجه مجلس الثورة تحديات شديدة فى الفترة التى تلت عزل نجيب . . ففى ديسمبر ١٩٥٤ تم اكتشاف شبكة إسرائيلية للتجسس وارتكاب أعمال العنف والتخريب . . وقد تم إعدام اثنين من أعضاء هذه الشبكة . . وعلى أحد عشر متهماً بأحكام مختلفة من السجن .

وفى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ظهر حلف بغداد كقوة عدوانية تبغى تهديد مصر وحريتها . . فقامت الثورة بالوقوف ضده وإقناع دول عربية عديدة بعدم الانضمام إليه مما أغضب الرأسمالية العالمية فى أمريكا وأوروبا فدفعوا بإسرائيل للهجوم على قطاع غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، ويبدو أن هذا الهجوم كان قاسياً على مصر ، فقد استشهد فيه أربعون رجلاً وثلاثون آخرون وقعوا جرحى . . مما دعا

(١) تدور كل كتب الاخوان التى بدأت فى الظهور منذ السبعينات حول فكرة واحدة تقريبا . . وهى التنصل من حادثة المنشية . . واتهام أجهزة الثورة الأمنية بملء المعتقلات بالاخوان وبايقاع صور شتى من التعذيب عليهم بعد اعتقالهم عام ١٩٥٤ ، بالرغم من انهم يعتقدون ان اعتقالات الاخوان التى تمت عام ١٩٦٥ كانت أشد وأقسى .

القيادة بالإحساس بأنها مهددة ومكشوفة وبدون سلاح كاف لردع العدوان الخارجى الذى تقوده الرأسمالية والأحلاف العسكرية .

وجاء مؤتمر باندونج (أندونسيا ـ ١٨ ـ ٢٤ إبريل ١٩٥٥) لكى يظهر مصر للعالم . . ويظهر العالم لمصر . . فهاهم الأصدقاء قد تجمعوا . . وها هى أصواتهم قد توحدت فى جبهة سياسية دولية جديدة تسمى جبهة عدم الانحياز (وهو رد صريح على حلف بغداد) . .

وتكررت الإعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة مما يظهر ويؤكد عدوانيتهم وشرورهم . . فقد حدث اعتداء فى ٣٠ مايو ، واعتداء آخر فى ٢٢ أغسطس ١٩٥٥ .

ثم انتقلت إسرائيل إلى منطقة الكونتلا لتهاجمها هجوماً واسعاً ودارت معركة شديدة استشهد فيها ١٢ شهيداً وجرح ١١ آخرون (ومنطقة الكونتلا تقع بداخل الحدود المصرية المواجهة لجنوب صحراء النقب فى فلسطين المحتلة) .

وإزاء كل هذه الاعتداءات شعر المصريون بحاجتهم للسلاح . . ولم يكن هناك فى العالم الرأسمالى من يوافق على تسليح مصر . . فلجأت مصر لشراء السلاح من الكتلة الشرقية (تشيكوسلوفاكيا) فى سبتمبر ١٩٥٥ وأزعج تسليح مصر الغرب فحذروا وهددوا ووعدوا . . ولم تمض أسابيع قليلة وفى ٢ نوفمبر ١٩٥٥ قامت قوات إسرائيلية كبيرة بمهاجمة منطقة (الصبحة) على الحدود المصرية الفلسطينية . . ودارت معركة عنيفة استشهد فيها من المصريين ثمانون شهيداً .

إن سياق هذه الأحداث يدلنا على مدى التدخل الأجنبى فى شئون الأوضاع الأمنية لمصر . . ومع ذلك فهم لم يكتفوا بالتدخلات العسكرية المتكررة ولكنهم وقفوا ضد مساعدة الاقتصاد المصرى . . فرفضت الدول الرأسمالية تمويل بناء مشروع السد العالى لتطوير الزراعة والرى والكهرباء فى مصر مما دفع الحكومة المصرية مرة أخرى إلى الاتحاد السوفييتى لتمويل البناء واتمامه .

وفى ١٦ يناير ١٩٥٦ أعلن عن قيام دستور جديد للبلاد وتعيين جمال عبدالناصر رئيساً للجمهورية .

وقد أحس عبدالناصر بالمشكلة التى تواجه البلاد بعد رفض الغرب تمويل بناء السد وإعلانهم إفلاس مصر . . فقام فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ بتأميم القناة (والتأميم نظام قام به العديد من الدول فى العالم دون أن تتعرض للعدوان) . . وما إن سمع الغرب بذلك القرار إلا وقامت بريطانيا بتوجيه إنذار مهين للحكومة المصرية فرفضت مصر الإنذار وردت الإهانة للانجليز . . وحدث من جراء ذلك العدوان الثلاثى الغاشم الذى راح ضحيته المئات من الشهداء الأبرار .

ومع أن ذلك العدوان مكن العدو من احتلال سيناء ومنطقة القناة إلا أن مصر انتصرت سياسياً . . فقد تم سحب كافة القوات الأجنبية من الأراضى المصرية قبل نهاية العام ، وظهرت مصر كزعيمة لدول العالم الثالث . . وظهر عبدالناصر رائداً من رواد حركة التحرير الوطنى .

ومع ذلك فلم تتوقف المؤامرات ضد مصر . . ففى ٢٢ يونيه ١٩٥٧ تم ضبط شبكة للتجسس كانت تديرها بريطانيا . . وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٧ كشف عبدالناصر عن مؤامرة أخرى للإطاحة بنظام الحكم والعودة للنظام الملكى ، وكانت هذه المؤامرة أيضا من تدبير المخابرات البريطانية . ومع ذلك أخذت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية تنحو نحو الاستقرار والازدهار النسبى . . وأخذت الحكومة فى اقامة مشروعات اقتصادية واجتماعية واسعة النطاق بهدف تنمية البلاد .

وإذا كانت الأحوال فى الداخل تسير بقدر ملحوظ من النجاح فإن الأوضاع الخارجية والدسائس والمؤامرات كانت تتوالى لعزل مصر عن العالم العربى لضرب القومية العربية وقائدها . . فقامت وحدة سياسية بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وتدخلت قوى استعمارية عديدة (ومن كان يقف خلفها فى بعض الأوساط العربية) لإفشالها وانفضت الوحدة بالفعل فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦١ .

وفى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ قامت ثورة فى اليمن وطلبت مساعدة مصر العسكرية ، وبالفعل أخذت القوات المصرية فى التدفق لمساندة الثورة اليمنية (التى رأت فيها الحكومة السعودية فى ذلك الوقت خطراً) حتى لقد وصل عدد القوات هناك فى وقت من الأوقات إلى سبعين ألف مقاتل مصرى . . وهو رقم ضخم بكل المقاييس .

وقامت الحكومة الأمريكية بقطع المعونات الاقتصادية التى كانت تقدم لمصر لإجبارها على سحب قواتها من اليمن . . ولكن ذلك لم يمنع الحكومة المصرية من الاستمرار فى مساندة ثورة اليمن .

لقد كان واضحاً أن الإمبريالية تسعى لضرب النظام الناصرى الذى أخذ يزعج النظام الرأسمالى . . ولما فشلت الضغوط الاقتصادية الخارجية . . لجأ الاعداء ومن يقف خلفهم من بعض الحكومات العربية (ذكر مراراً أن حكومة الملك سعود كانت ترفض التدخل المصرى فى اليمن)[٢] إلى تدبير الدسائس والمؤامرات من الداخل (أى من داخل مصر) . لقد اختفت الأحزاب السياسية القديمة ، واختفت تقريباً القلاقل فى القوات المسلحة . . واختفى جانب كبير من الإخوان المسلمين . . ولكن جزءاً هاماً منهم كان لايزال نشطاً ومؤمناً بفكر الجماعة وبحتمية توجيه ضربة قاصمة للنظام المصرى .

هل خضع الإخوان لتوجيهات من الخارج للإطاحة بالنظام المصرى ؟ إنه ما من شىء فى السياسة المصرية الداخلية كان يساعد أو يدعو على أن تقوم أعمال عنف ضد النظام . . فخطط التنمية كانت تسير قدماً ، والإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية كانت بالفعل محسوسة ، وخاصة من الطبقات الفقيرة التى تشكل النسبة الأكبر من المصريين . . ولهذا فما سبب الصدام الذى وقع بين الإخوان والنظام الناصرى ؟

لقد جاء هذا الاصطدام بعد وأثناء حرب اليمن . . وحرب اليمن كانت مرفوضة من حكومات وجماعات إسلامية فى الجزيرة العربية . كما أنها كذلك كانت مرفوضة من الإمبريالية والصهيونية لأنها كانت تسبب لهم جميعاً الأخطار التى تهدد مصالحهم ونفوذهم . . فلماذا اختار الإخوان ذلك الوقت بالذات للتصادم مع

---

(٢) كان الرئيس الراحل أنور السادات من أول المتحمسين لمساندة ثورة اليمن حيث يقول فى كتابه البحث عن الذات :«فى صيف سنة ٦٢ عقد فى لبنان مؤتمر شتورة الذى ضم السعودية وسوريا والأردن والعراق ولبنان بقصد مهاجمة مصر وعزلها ثم ضرب النظام . موقف مؤسف للغاية ـ ولكن يشاء الله ان تقوم ثورة اليمن بعد ذلك بفترة وجيزة فى ٢٦ سبتمبر سنة ٦٢ ، فكانت هذه فرصة مناسبة لردع الملك سعود الذى مول الانفصال (بين مصر وسوريا) والذى كان فى ذلك الوقت يتزعم الحملة ضدنا ، فاليمن على حدوده مباشرة . . ولذلك عندما اجتمع مجلس الرئاسة هنا للنظر فى طلب ثوار اليمن للنجدة كنت أول المتحمسين ، واقنعت المجلس بضرورة مساندة الثورة ـ وفعلاً تم هذا» . . انظر : البحث عن الذات ـ قصة حياتى ـ أنور السادات ـ المكتب المصرى الحديث ـ الطبعة الثالثة أكتوبر ١٩٧٩ .

النظام ؟ وهل غرر بهم . . وخاصة أنهم بدوا كما لو أنهم يجهلون أن النظام كان قد رسخ أقدامه فى البلاد وأصبح له قوات أمنية مسلحة تسليحاً متفوقاً . . وفى حماية أجهزة أمنية كانت تغطى البلاد بالكامل ؟

لقد حدث الاصطدام إذن فى أغسطس ١٩٦٥ ، وتم اعتقال المئات من جماعة الإخوان المسلمين ، واتضح من التحقيقات فيما بعد أن التنظيم السرى للإخوان كان يبغى اغتيال جمال عبدالناصر وغيره من المسئولين بالدولة ، وإحداث تفجيرات فى المناطق والمنشآت المدنية والعسكرية ونسف الكبارى الهامة والمصانع وبعض المطارات ومحطات الكهرباء . . وكان هذا إذن ـ لو حدث ـ كفيلاً كما اعتقد البعض بتدمير النظام الناصرى وإلحاق الهزيمة به . . تلك الهزيمة التى فشل الأعداء فى الخارج ـ حتى ذلك الوقت ـ فى تحقيقها وتنفيذها .

إن كميات الذخيرة والسلاح التى ضبطت فى حوزة المعتقلين كما جاء بالتحقيقات تدل على أن هناك تمويلاً خارجياً لاشك فيه . . ولكن الذين مولوا من الخارج كانوا بعيدين بالطبع عن الاعتقال . . بل بعيدون عن الخطر . . أما الإخوان فقد تلقوا الضربة القاضية التى كانت فيما بعد السبب الرئيسى لكى يتبنوا الأفكار التى لا تؤمن بالعنف ولكن تؤمن بالتوعية الدينية فقط ـ كما سيأتى ذكره فيما بعد إن شاء الله .

وبعد انتهاء التحقيقات تم إعدام بعض قيادات الإخوان ومنهم سيد قطب الذى كان قد أفرج عنه عام ١٩٦٤ (بعد اعتقاله عام ١٩٥٤) وتم الزج بالمئات (حيث تعرضوا لتجربة قاسية) فى كثير من السجون والمعتقلات .

ولاشك أن لجوء الحكومة المصرية فى ذلك الوقت إلى فتح السجون واعتقال جماعة الإخوان قد فسر فى العالم الغربى دليل ضعف للنظام . . وإذا علمنا أن قوات مصرية ضخمة كانت فى اليمن لأصبح واضحاً لنا لماذا دبر الأعداء خطة محكمة لتوجيه ضربة قاسية للنظام الناصرى .

إن حرب ١٩٦٧ جاءت لتحقيق هذا الغرض . . حيث تضافرت قوى العدوان ضد النظام الناصرى وأوقعت به هزيمة عسكرية قاسية لم يكن ضحيتها عشرات الآلاف من القتلى والجرحى على رمال سيناء فحسب . . بل راح ضحيتها حلم الناصرية الأكبر لتحقيق نجاح القومية العربية . ومهما تذكرنا كيف كان رد فعل

الشعب فى مصر إزاء الرئيس عبدالناصر وإصراره وتمسكه بقيادته . . إلا أن الواضح كذلك أن الأعداء كانوا مصممين على عدم إعطاء جمال عبدالناصر أية مكاسب أو انتصارات تمس مصالحهم . . وهذه المأساة تعلمنا أن الأقوياء لا يتركون للضعفاء (حتى إذا كان لهم طموحات وأحلام مشروعة) الفرصة فى أن يهددوا نفوذهم وهيمنتهم واحتكاراتهم التى يتمتعون بها . . إن الحقد ـ كما رأينا ـ يخرج قوى عدوانية مباشرة وغير مباشرة . . تتخفى فى صورة دسائس بين القوى السياسية المختلفة . . فيسارع السذج لتصديق الدسائس ويجندون قواهم للانقضاض ـ ليس على مفتعل الفتنة والدسيسة . . ولكن على ما يتصورون أنه عدوهم من الداخل من بنى وطنهم . . وبسقوط الضحايا بين أبناء الوطن الواحد يضعف البنيان العام للمجتمع فيسهل للعدو الخارجى وهو أصل كل الشرور اختراق المجتمع والسيطرة على قواه . . والمحصلة النهائية لذلك كله خسارة لجميع القوى وكسباً أكيداً للأعداء . ولقد حان الوقت لنا جميعا أن نتبصر فى أحوالنا ونحدد من هو العدو . . ولا نسلك كالحمل الوديع الساذج الذى يعتقد أن الله لم يخلق ذئاباً . .

ثالثا : مرحلة حكم أنور السادات :

مات جمال عبدالناصر إثر أزمة قلبية تعرض لها فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وخلف وراءه مجموعة مبادىء وأفكار أمكن تطبيقها ونجاحها وسط ظروف دولية مواتية تخص التنمية الاقتصادية والاجتماعية . . وخلف وراءه المصريين ـ الذين ذهلوا بوفاته ـ بعد أن اختفى منهم الحفاة والعراة . . ولكنه ترك حلماً لم يتحقق فى وحدة العرب ورفع شأنهم كأمة واحدة ذات مصير واحد . وترك كذلك بلداً يرزح تحت الاحتلال الصهيونى ومعتقلين سياسيين من الإخوان المسلمين كانوا يعانون فى السجون ويتطلعون إلى الحرية مثلما يتطلع أى إنسان حجز وراء القضبان .

وشعر أنور السادات أن المهمة الأولى له يجب أن تكون تحرير الأرض التى احتلت عام ١٩٦٧ ، وهو لكى يفعل ذلك أحس أنه يجب عليه أن يتخلص من الذين شعر أنهم يعوقونه عن العمل الداخلى والخارجى ، فقام فى ١٥ مايو ١٩٧١ بالتخلص من معظم الذين كانوا يساعدون سلفه الرئيس عبدالناصر . . وقدمهم لمحاكمات شاملة فصدرت على أغلبهم احكام بالسجن لمدد طويلة . ولقد سميت

هذه الحركة بثورة التصحيح (أى تصحيح مسار ثورة يوليو) والتى قامت للتخلص من (مراكز القوى) التى كانت تنوى اغتيال السادات والسيطرة على الحكم .

ولقد أحس اليسار المصرى أن (ثورة التصحيح) كانت الضربة الأولى التى وجهها له السادات . . وعندما أخذ السادات يفرج تباعاً عن المسجونين السياسيين الذين كانوا قد سجنوا عام ١٩٦٥ وأغلبهم من جماعة الإخوان المسلمين ، شعر اليسار كذلك أن أنور السادات لم يقصد بهذا الإفراج فقط تصحيح أخطاء النظام الناصرى ، أو العمل على المصالحة الوطنية ، أو إرساء قواعد جديدة للديمقراطية ، ولكنهم أحسوا أن خروج الإخوان من المعتقلات إنما هو وسيلة جديدة لضرب اليسار .

وفى الحقيقة فإن اليسار المصرى لم يكن عدواً خطيراً لأنور السادات خاصة فى سنوات حكمه الأربع الأولى ، فكثير من الوزراء وكبار المسئولين فى حكومة السادات كانوا يساريين . . ومع ذلك يبدو للمحلل لهذه الفترة أنه لم تحدث مصادمات خطرة بين اليساريين والحكومة المصرية . . ربما باستثناء مظاهرات الطلبة فى الجامعات الذين كانوا يرفضون استمرار احتلال القوات الاسرائيلية لسيناء حيث كانت الحكومة توافق على مد وقف إطلاق النار وتحاور مع الولايات المتحدة وأوروبا ومجلس الأمن بغرض مناقشة خطط السلام . ومع ذلك فكانت الدولة بكاملها تهيىء لخوض حرب التحرير . . وتكررت خطابات أنور السادات التى كانت تبشر بأن استمرار الاحتلال للأرض سوف ينتهى .

ولقد حقق السادات وعوده كاملة . . وقامت حرب اكتوبر المجيدة التى نجحت فى إنهاء خرافة الجندى الاسرائيلى الذى لا يقهر . . وكانت فرحة وسعادة المصريين قد ارتفعت بصورة لم تحدث من قبل فى تاريخ مصر الحديث .

وجعل المصريون من أنور السادات ـ بحق ـ بطلاً قومياً مقتدراً ورفعوه إلى أعلى سلم المجد والفخار . . وخاصة بعد أن أخذت المعلومات والتحليلات العسكرية تظهر فى وسائل الإعلام لتخبر المصريين أن النكسات والخسائر العسكرية فى الجانب الإسرائيلى لم تحدث فى تاريخ الدولة الصهيونية من قبل .

وبدأت خطط أنور السادات للتحول نحو إنهاء مشاكل الحرب والتدمير فى الشرق الأوسط . . فقام بالتوقيع على اتفاقية فصل القوات الأولى التى سحبت

بمقتضاها القوات الإسرائيلية من غرب قناة السويس ووضعتها على بعد ثلاثين كيلومترا الى الشرق من القناة . . ويبدو أن هذه الاتفاقية وان حظيت بتفهم وموافقة المصريين عامة لم ترض بعض التيارات المتشددة فى العالم العربى . . وربما أخذت أشد اتجاهات الرفض صورة عدوانية صارخة فى العمل الذى قام به تشكيل صالح سرية لاقتحام الكلية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ ، فهذا الشاب الحاصل على الدكتوراة فى الفلسفة والذى كان يعمل ضمن حزب التحرير الإسلامى قام هذا الشاب الفلسطينى والذى كان موظفاً بجامعة الدول العربية بإقناع عدد من الشباب المصرى بضرورة العمل على تغيير النظام المصرى الذى كما توهم يقيم الاتفاقيات مع العدو . . وأنه لن يحدث هذا الا بامتلاك السلاح والقيام باغتيال السادات وأفراد حكومته وكبار المسئولين بالاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت . . وبالفعل قامت جماعته باقتحام مبنى الكلية الفنية ودارت معارك طاحنة مع حرس الكلية وبين المهاجمين الا أن قوات الأمن قامت بحصار المبنى والقبض على التنظيم المتطرف . . واتضح فيما بعد الهدف الذى من أجله تم الاقتحام وهو الحصول على المزيد من الأسلحة ومحاولة كسب المزيد من الشباب الدارسين بالكلية للانضمام للتنظيم واغتيال كبار المسئولين بالدولة .

ولقد نجم من هذه العملية مقتل بعض المهاجمين وبعض من حرس المبنى . . وقامت المحكمة بإصدار أحكام بالإعدام على بعض أعضاء الجماعة وسجن البعض الآخر .

وجدير بالذكر ان حزب التحرير الإسلامى . . هو حزب إسلامى ظهر فى بعض الدول العربية مثل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ولكنه من الأحزاب الضعيفة التى منيت بنكسات مستمرة .

وكان هذا العمل هو الأول من نوعه وحجمه الذى يحدث فى مصر بعد تحطيم الجهاز السرى للإخوان المبسلمين عام ١٩٦٥ ، ومع ذلك فقد كان حدوث مثل هذا العمل مؤشراً خطراً على أن التيار الإسلامى المتشدد ينوى ممارسة العنف عند حدوث أى بادرة لا ترضى قياداته .

لقد بدأ أنور السادات بمبادرة تفصح عن حسن نواياه عندما أخذ بالإفراج عن المعتقلين من الإخوان بعد أحداث مايو ١٩٧١ ، وهو عندما فعل ذلك كان يعتقد

أن تلك الخطوة ستكسبه تأييد الذين خرجوا من المعتقلات والذين كانوا مصممين على محاربة التيار الشيوعى والناصرى والذين هاجموهم بشدة عام ١٩٦٥ ، ولما خرج هؤلاء وتيقنوا أن بشائر الديمقراطية أخذت تظهر فى المجتمع أخذوا ينظمون أنفسهم ليس فى تنظيم الإخوان ، ولكن فى تنظيمات أخرى عرفت باسم الجماعات الإسلامية . . فانتشروا فى الجامعات والمصانع والنقابات يحاولون جذب المزيد من الأعضاء لجماعاتهم . . وضرب الشيوعيين فى كل مكان يتواجدون فيه . . وربما أحس أنور السادات أن فى ذلك مساعدة له لأنه كان بعد حرب أكتوبر على خلاف متزايد مع الاتحاد السوفييتى وأخذ يتقارب مع الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية الذين اقنعوه بأن الانفتاح الاقتصادى وتحرير الدولة من أعباء الدعم الاقتصادى والاجتماعى هو السبيل لنهضة مصر وازدهارها .

ولقد أخذ منفذوا الانتفاح الاقتصادى فى تطبيق سياسات اقتصادية اعتمدت على غمر الأسواق المصرية بالسلع الاستهلاكية . . وأقبل المصريون على شراء واقتناء هذه السلع بعد طول حرمان . . وساعدت شراهة بعض الأغنياء الجدد ووسائل الاعلان المكثفة على اقناع عامة المصريين بان الثراء المادى واقتناء السلع هو أسمى ما فى الوجود . . وسرعان ما بدأت أنواع عديدة من الخلل الاجتماعى تظهر على سطح مجتمع عاش طويلاً متمسكا بقيم الفضيلة والنقاء . . فانتشرت السرقات والاختلاسات وزادت الجرائم المالية والأخلاقية وانتعشت أسواق تجارة المخدرات . . وشعرت الجماعات المتطرفة أن المجتمع كله أصبح «جاهلياً» ولكن بدلاً من قيام هذه الجماعات بالعمل الشرعى وهو إقناع الناس على التمسك ـ كل من جانبه . . وكل مع أسرته ـ بقيم الفضيلة والأخلاق ، نحوا إلى القول بأن المجتمع كله «كافر» . . وأن البداية يجب أن توجه إلى «خلع المسئولين عن انتشار هذا الكفر واغتيالهم» وفكرهم هذا خطأ كما نرى .

وفى عام ١٩٧٦ أذاعت الحكومة عن قيام بعض المتطرفين الإسلاميين باختطاف الدكتور محمد الذهبى وزير الأوقاف المصرى من منزله بحى حلوان جنوب القاهرة . . ولقد توصلت قوات الأمن فيما بعد الى تحديد المكان الذى اختطف فيه الدكتور الذهبى . . وأذيع أن الخاطفين يشترطون للإفراج عنه تعهداً من الحكومة بأن تذيع بيانات فى الإذاعة والتليفزيون تقول فيه بوضوح : إن المجتمع فى حاجة إلى تغيير لنظام الحكم الذى لا يأخذ بأحكام الشريعة

الإسلامية . . ولما كان ذلك ليس ممكناً لأنه يمس سيادة الدولة ونظام الحكم والدستور والقانون . . فقد تم قتل الشيخ الذهبى بعد أن عذب بإطلاق الرصاص على عينه .

وتم القبض على الجناة وظهر أن زعيمهم ويدعى شكرى أحمد مصطفى هو الذى وضع خطة خطف الذهبى . . وذلك لأن الذهبى قام بمهاجمة أيديولوجية الجماعات الإسلامية التى تكفر المجتمع بكامله .

وأذيع أن التنظيم الذى أسسه شكرى مصطفى يسمى «التكفير والهجرة» وهذا يعنى أنهم يعتبرون أن المجتمع به من صور الجاهلية كما ادعوا ما يتوجب وصفه بالكفر . ولهذا يجب ترك المجتمع وهجرته إلى الصحارى حتى يتم توحيد وتقوية صفوف الجماعة بما يتيح لها تغيير هذا المجتمع وإقامة المجتمع الإسلامى . وهم يؤمنون بأن القتل مباح لهم لتنفيذ خططهم ليس فقط تجاه المسئولين فى الدولة ، ولكن لأى فرد يرتد عن جماعتهم بعد أن يكتشف مدى عدم شرعيتها وبعدها عن الفكر والمنطق السليمين .

وتم تقديم شكرى وأعضاء جماعته إلى المحكمة التى حكمت عليه وثلاثة آخرين بالإعدام شنقاً وبالحكم بالسجن على بقية أعضاء الجماعة . وإذا كانت قوات الأمن المصرية قد بدأت ترصد اتجاه جانب واضح من التيار الإسلامى للإيمان بالعنف ، وأن هدفهم هو تغيير الدولة بالقوة لإقامة المجتمع الذى يعتقدون أنه سيكون إسلامياً ، فإن أنور السادات لم يكن فيما يبدو يريد تصفية كل الجماعات الإسلامية المسلحة . . فهو كان لا يزال يعتقد بأن الشيوعيين هم أخطر على النظام من تلك الجماعات ، ولهذا فلم يحدث منه أن قام باعتقالات واسعة النطاق لتأمين نفسه من هذا الجانب ، بل كان يكتفى بمحاكمة من تثبت إدانته بالفعل للجوء للعنف المسلح .

كانت مصر فى حاجة ماسة لإعادة البناء والتعمير بعد سنوات الحرب وما أنفق على التسليح . . ولهذا لجأت الدولة لسياسة الاقتراض من الخارج ومع ذلك لم يكن ممكنا حتى مع هذه السياسة أن تتوازن ميزانية الدولة . وجاءت نصيحة اقتصادية من البنك الدولى للمسئولين عن الاقتصاد بأن الدولة ـ ولكى تمر من أزمتها الاقتصادية ـ يجب عليها أن تقوم برفع الدعم الذى تقدمه ، وزيادة أسعار

بعض السلع الهامة مثل الوقود والدقيق والزيت والسكر . . ويبدو أن تلك النصيحة وجدت اقتناعا من الحكومة وقتئذ ، فقامت بإعلان سريع عن زيادة الأسعار وأن هذه الزيادة ستطبق فوراً .

ويبدو ان عدم استخدام الإعلام لفترة كافية فى اقناع الناس بضرورة تحمل بعض الزيادات ولو تدريجياً كان له أثره على مشاعر الكثيرين ، فحدثت مظاهرات معادية للحكومة انتشرت فى كثير من مدن مصر . . مطالبة بإلغاء القرارات الأخيرة . . وحدثت عمليات واسعة من الاعتداء على المبانى والسيارات والمحلات ومخازن الطعام والسلع . . ولم تتوقف المظاهرات طوال يوم ١٨ يناير ١٩٧٧ لعدم تمكن قوات الأمن من حصارها ومعرفة حدودها . . وفرض حظر للتجول بداية من ظهر يوم ١٩ يناير ولمدة ثلاثة أيام وتدخلت بعض وحدات الجيش . . ولقد قتل فى هذه المظاهرات وجرح المئات من الأشخاص من المتظاهرين ومن قوات الأمن على حد سواء ، واعتقل المئات ، وبدأت المعلومات تذاع عن وجود مؤامرات شيوعية ضد النظام استغلت رفع الأسعار لتدفع بالناس للتظاهر والإخلال بالأمن والنظام .

ولقد حدث خلاف واسع فى مصر ليس فقط على الأسباب التى وقفت وراء قيام هذه المظاهرات الصاخبة . . بل كذلك حول تسمية هذه المظاهرات فالكثيرون أسموها (انتفاضة شعبية) وآخرون سموها (ثورة) ، أما أنور السادات فقد أسماها (انتفاضة الحرامية) ، وذلك لقيام بعض المتظاهرين بنهب السلع والمحلات والمجمعات الاستهلاكية .

وبعيداً عن الاختلافات فى التسمية فقد جاء حكم المحكمة التى استمعت لأقوال المتهمين بإحداث المظاهرات واضحاً فى إقرار العلاقة بين القرارات الاقتصادية التى أذيعت ونشرت يوم ١٧ يناير ١٩٧٧ وبين تلك الاحداث . .

ولاشك أن تلك الانتفاضة كان لها الكثير من الأثر على فكر القيادة السياسية لمصر . . ولابد أن أنور السادات قد شعر ـ بعد أن تراجعت الحكومة عن رفع الأسعار ـ أن الدولة فى حاجة إلى ميزانية كافية لتطبيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية . . ولاشك ان استمرار حالة التسليح والإنفاق العسكرى كانت تأخذ الكثير من الإنفاق . . ولهذا بدأ يتجه إلى حل شامل مع إسرائيل . . وبعد سلسلة

متصلة من الاتصالات التى لم يعلن عنها ، قام الرئيس أنور السادات بزيارته التاريخية للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ ولقد كانت خطوة اتسمت بالشجاعة . . وحظيت بتقدير المصريين بصفة عامة ثم جاء خطابه بالقدس معبراً عن آمال الشعوب العربية بعدم تفريطهم فى الحقوق التى اغتصبت منهم . .

ولقد استمرت الاتصالات المعلنة بين مصر وإسرائيل منذ ذلك الوقت بمساعدة الولايات المتحدة حتى أعلن رسمياً عن توقيع اتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل فى كامب ديفيد . . فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ حيث أنهت هذه الاتفاقيات حالة العداوة بين الدولتين التى استمرت أكثر من ثلاثين عاماً .

وإذا كانت اتفاقية كامب ديفيد قد جلبت السلام لمصر ، فإن الدول العربية وجدت فيها ضرراً بالغاً عليها . . إذ ان دول المواجهة لن تستطيع تحرير أراضيها بمفردها . . والقدس المحتلة تركت محتلة مما أغضب دولاً إسلامية عديدة كان أهمها المملكة العربية السعودية وإيران . . والفلسطينيين الذين تركوا بدون أن يتقرر مصيرهم وخاصة عندما أخذت إسرائيل تماطل فى تنفيذ الشق الثانى من الاتفاقية .

وفى خلال أسابيع قليلة قامت أغلب الدول العربية بقطع كافة العلاقات مع الحكومة المصرية . . ولم يكن هذا يعنى القطيعة السياسية أو الاقتصادية فقط ، بل كان يعنى أن الحكومة المصرية أصبحت مهددة بالقتل من كثير من المنظمات المتطرفة فى العالم . وأخذت الصحف تنشر بين الوقت والآخر تقارير عن تزايد الأسماء المصرية المطلوب اغتيالها بعد أن قامت مصر بتوقيع معاهدة السلام مع إسرائيل . . وإذا كان هذا قد حدث من المنظمات الإرهابية فى الخارج فإن الجماعات الإسلامية المتطرفة فى الداخل أخذت هى الأخرى تعد العدة لكى تنقض على النظام المصرى .

فأخذت الصحف ووسائل الإعلام المصرية تعلن عن عمليات قبض على الذين اشتبهت فيهم سلطات الأمن . . وكان الكثيرون ممن يكشف عنهم ينتمون لجنسيات لبنانية أو ليبية أو فلسطينية أو إيرانية . . كذلك كان يشاع بين المصريين عن محاولات لاغتيال السادات وهو فى الخارج . . وتلك المحاولات لم يعلن عنها رسمياً أبداً فى أى وقت من الأوقات . .

وبدا أن أنور السادات الذى كان زعيماً شعبياً ليس فقط للمصريين بل للعرب كذلك أثناء وبعد انتهاء حرب اكتوبر ، أصبح فى نظر العرب ، والجماعات المتطرفة فى مصر الرجل الذى يستحق العقاب .

إن العداوة ـ كما سبق القول ـ تحمل بذور الكراهية التى تفصح عن نفسها إما فى صورة مباشرة . . وإما فى صورة مستترة . . وإذا ما كشف النقاب عن صورة مباشرة من الكراهية . . فإن العداوة تتستر فى صور غير مباشرة . . إن الفتنة الطائفية فى مصر كانت دائماً نادرة الحدوث وذلك للقدر الكبير من التسامح والقبول الموجودين فى الدين الإسلامى ، والقدر الواضح من المحبة الموجودة فى الدين المسيحى . . ولقد عاش المسلمون والأقباط فى مصر مئات السنين ولم يسجل التاريخ أحداثاً خطيرة تذكر بين كل من الطائفتين . . ويعلم الأعداء دائماً ـ مع ذلك ـ أن الفتنة خطر يهدد مصر إذا ما تدخل فيها المتعصبون من المسلمين والمسيحيين . . وذلك ما حدث بالفعل منذ عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨١ . . حيث بدأت بوادر الفتنة الطائفية فى الظهور ، وهى تظهر عادة بسبب خلافات بسيطة تحدث كل يوم بين المسلمين وبعضهم البعض أو بين الأقباط وبعضهم البعض ، وتمر بدون أهمية تذكر لها . ولكن الأحداث التى بدأت فى التصاعد منذ عام ١٩٧٩ كانت تستثمر بصورة مريبة لتوسيع مداها ، وتعميق معناها . وعندما تتسع الأحداث تبدو للمتعصبين وكأنها حرب مقدسة يجب خوض غمارها . . وأخذ كل طرف من المتعصبين يكيل للآخر الضربات فوقع قتلى وجرحى . . ولجأ كل جانب إلى السلاح والعنف . . إلى أن حدثت الفتنة الطائفية بحى الزاوية الحمراء ، وهو أحد الأحياء الشعبية المزدحمة بالسكان فى مدينة القاهرة . . ويبدو أن الأمر كان قد تطور بشكل سريع بأكثر مما كانت الحكومة تتصوره ، فلم تتمكن الأجهزة المختصة من إخماد الفتنة فى مراحلها الأولى . ويدور السبب المباشر للنزاع الدموى على قيام بعض الأقباط ببناء كنيسة بدون استخراج التصريح الرسمى من الأجهزة الرسمية بالدولة ، وتدخل المسلمون لمنع البناء .

وحدث أن المتعصبين من كلا الطرفين أرادوا أن يستعملوا العنف المسلح ، فحدثت معارك دموية نتيجة استخدام السلاح راح فيها خمسة وخمسون قتيلاً وجريحاً ما بين مسلمين وأقباط . . وتدخلت قوات الأمن وألقت القبض على العديد من مثيرى الفتنة والمشاركين فيها ، ووجد مع الكثيرين منهم أسلحة

وذخيرة . ولقد تنبهت أجهزة الأمن إلى وجود منشورات بالغة الخطورة لدى المتعصبين من المسلمين والأقباط . . حيث أخذ كل جانب فى تضخيم الأحداث ، وحث الناس للتدخل والاشتباك وعدم التهاون فى الحقوق .

وقامت الجماعات الإسلامية المتطرفة بعد الأحداث التى استمرت طوال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٨١ ، بتوجيه انتقادات مريرة لكافة سياسات الحكومة ، ومهاجمة أسلوب حكم السادات ، وتركزت هجماتهم أساساً على الصلح مع إسرائيل وترك القدس محتلة وبها المسجد الأقصى الذى يشد إليه الرحال . . كما هاجموا سياسة الانفتاح التى اتبعتها الحكومة . كذلك قامت الجماعات القبطية المتعصبة بإشاعة أن سياسات الحكومة تضطهد طائفة القبط فى مصر ، ويسروا لوكالات الأنباء الدولية ومراسلى الصحف الأجنبية الحصول على تفاصيل عن شكواهم وآلامهم .

ووجدت الحكومة من جهتها أن هناك علاقة بين ما حدث فى الزاوية الحمراء وبين الجو السياسى العام . . الذى يؤثر عليه كبار السياسيين ورجال من الأحزاب والمفكرين ، والذين بانتقاداتهم المستمرة للسياسات الهامة فى الدولة قد ساعدوا على إذكاء نار الفتنة وتوسيع مداها . . ولذلك رأى أنور السادات أنه لكى يحفظ البلاد من الخطر ، ولكى يجنب المصريين كافة من الوقوع فى براثن حرب أهلية مهلكة ، قام بالموافقة على التحفظ على ١٥٣٦ شخصاً يشكلون كما اذاعت الحكومة وقتئذ خطورة على أمن وسلامة البلاد . . وتمت هذه الحركة فى الثالث من سبتمبر ١٩٨١ ، وبعد ذلك بثلاثة أيام قام الرئيس بإلقاء خطاب سياسى شامل شرح فيه غاضباً ما حدث ، ودعا الناس للاستفتاء يوم ١٠ سبتمبر على ما سمى باجراءات ومبادىء حماية الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى .

ولقد تضامن الكثيرون فى مصر مع ما أذاعه السادات فى خطابه ، ولكن الكثيرين شعروا بالقلق والترقب . . أما الجماعات الإسلامية المتطرفة ـ التى اشار السادات نفسه إلى أن هناك خمسة آلاف عضو منهم لم يتم اعتقالهم ـ فقد شعروا بالمرارة والرغبة فى الانتقام . وكانت أجهزة الأمن تعلم أن بعضهم يمتلك السلاح والذخيرة . . ولكن السادات لم يتصور كما يبدو أن ذلك السلاح يمكن أن يستخدم لقتله . . ولعل أخطر حدث أشيع على نطاق واسع فى مصر بعد وقوع أحداث

الزاوية الحمراء وأحداث سبتمبر ١٩٨١ ، هو ما تناقله الناس عن اكتشاف محاولة لاغتيال السادات فى مدينة المنصورة . . حيث ذكر أن ضابطاً مهماً قد فر من الخدمة وأنه قد يسبب اخطاراً على الرئيس . وبالرغم من أن هذه المحاولة لم تتم . . فإن المتعصبين كانوا بلاشك يجهزون خططهم لإتمام محاولات أخرى . وقد حققوا بالفعل ما خططوا له في ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٨١ ، حيث اغتيل السادات أثناء حضوره لعرض عسكرى بمناسبة الذكرى الثامنة لنصر أكتوبر ١٩٧٣ .

وفى صباح اليوم التالى نشرت الصحف تفاصيل كثيرة عن الحادث . . وذكرت أن سيارة عسكرية كانت تجر مدفعاً خلفها قد توقفت أمام المنصة الرئيسية التى يشاهد منها العرض العسكرى ، ونزل منها أربعة أشخاص يرتدون الزى العسكرى وأخذوا يطلقون القنابل اليدوية ورصاص البنادق الآلية والرشاشات تجاه الرئيس . . إلى أن انتهت ذخيرتهم وتم اعتقالهم . .

ولم يكن السادات وحده هو الذى قتل فى ذلك اليوم . . بل قتل معه أربعة من الشخصيات المصرية التى حضرت ذلك الاحتفال . . كان منهم المهندس سمير حلمى نائب رئيس الوزراء ورئيس الجهاز المركزى للمحاسبات ، والعميد حسن علام كبير الياوران ، والأنبا صموئيل أسقف الخدمات وعضو اللجنة الخماسية البابوية ، ومحمد رشوان المصور الخاص لرئيس الجمهورية . كما قتل اثنان من الأجانب وأصيب حوالى خمسين شخصا إصابات مختلفة .

وفى يوم الثامن من أكتوبر قامت عناصر من الجماعات الإسلامية المسلحة بأعمال عنف لم يسبق لها مثيل فى مدينة أسيوط الواقعة جنوب القاهرة (٣٧٥ كيلومترا) وهاجمت فى مجموعات كبيرة مبنى مديرية أمن أسيوط واغتالت مدير الأمن ونائبه وأربعة وخمسين من أفراد قوات الأمن التى تصدت لهم ، واصابوا أكثر من مائة . وكانت تلك الأحداث مجتمعة قد فتحت الطريق بسهولة أمام قوات الأمن التى ألقت القبض على عدد ضخم من أفراد الجماعات المسلحة من كافة أنحاء البلاد . وتمخضت التحقيقات المكثفة عن التوصل إلى أصول وفروع أخطر تنظيم إسلامى مسلح ظهر فى مصر فى العصر الحاضر (بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢) .

فإذا كانت مذبحة القلعة هى أكبر عملية للاغتيال السياسى فى تاريخ مصر الحديث - إن لم يكن فى تاريخها كله - فإن عملية الاغتيال التى حدثت للرئيس أنور السادات وبعض مرافقيه (ثم الاغتيالات الجماعية لقوات الأمن فى مدينة أسيوط) تعتبر الأخطر فى تاريخ مصر المعاصر . وذلك للأسباب التالية :

١ - أن مذبحة القلعة تمت من حاكم غير مصرى (وهو محمد على) ضد شخصيات هامة ليست مصرية (المماليك) .

٢ - أن مذبحة القلعة تمت من الحاكم ضد العناصر الخطرة على نظام حكمه .

٣ - أن مذبحة القلعة جاءت لكى يتخلص محمد على من طبقة كاملة من زعماء وامراء المماليك الذين كان الشعب المصرى يمقتهم ويتمنى زوال عهدهم .

ومع ذلك ، فإذا كانت اغتيالات أكتوبر ١٩٨١ هى الأخطر فى تاريخ مصر المعاصر ، فإنها جاءت من جماعة إسلامية متطرفة لم يكن لها فى أى وقت من الأوقات التأييد الشعبى . . وهى لذلك ضلت الطريق مثلها فى ذلك مثل أى عملية اغتيال تتم نتيجة الحقد والكراهية والتعصب الأعمى . لقد تصور القائمون بها أنهم سيغيرون من طبيعة نظام الحكم الذى يرفضونه ، فإذا بهم يفاجأون بأن قوة الشرعية مدعمة بتأييد أغلب فئات الشعب ، فبقيت هذه الفئة وحدها مسلحة بالتعصب الدينى ومستعدة لإراقة الدماء . . ولو أن مصرياً واحداً سئل عن أى طريق يجب أن يتبعه ليكون ملتزماً بتعاليم الإسلام ، فسوف يجيب بأنه الطريق الوسط . . وهذا يعنى فى أبسط تعبير : رفض التطرف .

أدين إذن تنظيم الجهاد الإسلامى باغتيال الرئيس أنور السادات . . فما حقيقة هذا التنظيم . . وكيف تسنى لأعضائه تنفيذ مخططهم ؟

يعتمد فكر تنظيم «الجهاد» على الاعتقاد بأن قيام الدولة الإسلامية هو فرض واجب . وقد بدأت البدايات الأولى لظهور فكر الجهاد منذ عام ١٩٧٧ عندما أخذت فكرة (الفريضة الغائبة) فى الظهور ، والتى كان تنظيم صالح سرية الذى اقتحم الكلية الفنية العسكرية يؤمن بها . وتلك الفكرة تعنى أن الجهاد فرض واجب لمجاهدة الحكم الذى لا يطبق الشرع الإسلامى . .

ولقد اعتمدت أفكار تنظيم الجهاد على كتب السلف القديمة وخاصة كتب ابن تيمية ، فقامت بتفسير ما ورد بها عن الجهاد على أنه أمر واجب لمجاهدة الحاكم الذى يرونه ظالماً حتى وإن ذكر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ولقد أصبح واضحاً من التحقيق مع أعضاء تنظيم الجهاد بعد اغتيال أنور السادات أن لهذا التنظيم رئيساً هو محمد عبدالسلام فرج الحاصل على بكالوريوس الهندسة . . وقد بلغ عدد أعضاء التنظيم حوالى ٣٠٠ شخص ، موزعين للعمل فى القاهرة والصعيد ، أما فى القاهرة فقد انتشروا فى الأحياء الشعبية فى مجموعات صغيرة تتكون من خمسة أو ستة أعضاء ، وكل مجموعة من تلك المجموعات لها رئيس يباشر أعمالها وتنظيم صفوفها ثم ينقل معلوماته إلى أمير التنظيم عبدالسلام فرج .

ولقد شارك عسكريون فى هذا التنظيم ، وساعدوا مساعدة مباشرة فى وضع الخطط اللازمة كما تصوروا للسيطرة على مؤسسات الدولة الهامة واغتيال الشخصيات الكبيرة عندما تتاح لهم الفرصة لإقامة الدولة الاسلامية . وكان من أبرز العسكريين الذين انضموا لهذا التنظيم المقدم عبود الزمر والملازم خالد الاسلامبولى . . فقد قام الأول بمراقبة تحركات رئيس الجمهورية ، وقام الثانى بالاشتراك الفعلى فى عملية الاغتيال . .

ولقد بدأت فكرة اغتيال أنور السادات تسطع بين أعضاء التنظيم بالتدريج . . ولكنها تبلورت بعد أحداث الفتنة الطائفية واعتقالات سبتمبر ١٩٨١ ، وهنا اتفق أعضاء من التنظيم مع رئيسهم عبدالسلام فرج على التخطيط للقيام باغتيال السادات .

لقد علم خالد الإسلامبولى أنه سيشترك فى طابور العرض العسكرى الذى يجرى كل عام بمناسبة الاحتفال بذكرى انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد وقع اختياره لذلك الاشتراك مرتين منذ عمله بالقوات المسلحة . . ولما كان خالد عضوا نشطاً فى التنظيم ، وكان له شقيق قد تم التحفظ عليه فى سبتمبر ١٩٨١ ، فقد عرض الأمر على الجماعة ورئيسها عبدالسلام فرج ، الذى وافقه وساعده وأمده

بالذخيرة والمتفجرات وباثنين من أعضاء الجماعة المتطرفة وهما عطا طايل وهو مهندس ، وحسين عباس وهو رقيب متطوع .

إن أربعة فقط من أعضاء تنظيم الجهاد هم الذين نفذوا عملية الاغتيال ، كان الاسلامبولى قائدهم فى السيارة العسكرية التى اشتركت فى العرض العسكرى والتى توقفت أمام المنصة الرئيسية لمتابعة العرض العسكرى وقاموا بتنفيذ الاغتيال .

أما بقية أعضاء التنظيم ، وخاصة فى مدينة أسيوط فقد قاموا بعدما علموا بالاغتيال فى القاهرة بتنفيذ عمليات اغتيال واسعة النطاق ضد قوات الأمن العام هناك .

وبعد انتهاء التحقيق مع أعضاء هذا التنظيم الإسلامى المسلح صدرت أحكام عسكرية بالإعدام على جميع من اشتركوا فى عملية الاغتيال . . وأحكام بالسجن المؤبد والمؤقت على أغلب أعضاء التنظيم فى القاهرة والمحافظات الأخرى .

وطويت بذلك صفحة دموية فى تاريخ مصر . . سجل فيها انتهاء حكم أنور السادات . . وهو أكبر شخصية سياسية مصرية تغتال منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومنذ اغتيال النقراشى باشا فى ١٩٤٨ . كذلك سجل فيها القضاء على أخطر تنظيم إسلامى مسلح ظهر فى التاريخ المصرى المعاصر .

رابعا : الاغتيال السياسى بعد عام ١٩٨١ :

كان الرئيس محمد حسنى مبارك (حفظه الله) نائباً للرئيس أنور السادات عندما وقع الاعتداء على المنصة فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، وهو لهذا كان شاهداً عن قرب لبشاعة ما حدث وخطورة ما جرى .

وبعد مضى أيام قليلة على توليه السلطة كرئيس للبلاد ، قام بالإفراج عن المعتقلين السياسيين الذين اعتقلوا فى سبتمبر ١٩٨١ ، وشعرت كل طوائف المصريين بان الرئيس الجديد يبدأ سلطة جديدة ببادرة طيبة لحسن النوايا وصدقها . . فها هو يداوى جراح الماضى ويشحذ الهمم للالتقاء فى سبيل بناء

مجتمع جديد . لقد ترك أنور السادات مصر وهى ترزح تحت عبء ديون كبيرة وذلك لسياسة الانفتاح الاستهلاكى التى اتبعت فى سنوات حكمه ، وترك مصر وهى على صلح مع إسرائيل يعطيها سيناء مرة أخرى . . وترك مصر وعلاقاتها السياسية والاقتصادية والدبلوماسية مقطوعة مع كل البلادالعربية تقريباً ، وترك مصر وهى على شفا حرب أهلية خطرة نتجت عن اندلاع أعمال العنف بين المسلمين والأقباط المتشددين . . ومع ذلك فقد ترك لمصر تجربة ديمقراطية كان يمكن لها أن تنجح نجاحاً كبيراً .

ولكى يعيد الرئيس حسنى مبارك (حفظه الله)كل هذه الأمور إلى أوضاعها الصحيحة كان عليه أن يبذل الكثير من الجهد وأن يظهر الكثير من حسن النوايا . ولهذا فقد بدأ باصلاح الأوضاع السياسية الداخلية كدعامة هامة من دعائم المجتمع ، فأخرج المعتقلين السياسيين ، واجتمع بهم ورسخ بالتالى نهجاً ديمقراطيا جديداً وهو أن تكون الشورى بينه وبينهم قائمة كلما دعت الضرورة لذلك .

وبذل الكثير من الجهد مع الطرف الإسرائيلى المتعنت لإكمال الانسحاب من سيناء . . وهذا لم يكن أمراً سهلاً إذا ما تذكرنا أن اليهود هم أسوأ من يمكن أن يتعامل معهم الإنسان فى أى شأن من شئون الحياة .

ثم دعا الرئيس فيما بعد إلى تحويل الاقتصاد إلى اقتصاد إنتاج ومحاولة السيطرة على الديون وبدأت الحكومات المصرية فى إصلاح نظام الخدمات الذى ترك فى سنوات حكم الرئيس السادات بدون أن يعطى له اهتمام حاسم . . وأخذت مشروعات خدمية كبرى تنفذ مثل مشروعات شبكات التليفونات ، والطرق ، والبريد ، والإسكان والمواصلات .

ثم أخذ الرئيس مبارك بالتدريج فى حل مشكلة العلاقات المقطوعة مع الأقطار العربية ونجح فى ذلك نجاحاً كاملاً .

ولهذا فقد اختفت كل أعمال العنف السياسى بكل أنواعها طوال السنوات الخمس الأولى من حكم الرئيس حسنى مبارك .

ولكن حدث ما لم يكن أحد يتوقعه أن يحدث . . فإذا كانت أعمال العنف التى كانت تحدث قبل الثورة وبعدها تحدث نتيجة وقوع أحداث هامة وخطيرة ،

فإن ما حدث فى الخامس والعشرين من فبراير ١٩٧٦ لا يمكن حقيقة ربطه بأى ظروف تساعد على ظهوره .

ففى مساء ذلك اليوم خرج الآلاف من المجندين فى قوات الأمن المركزى بأسلحتهم فى الشوارع وانهالوا على كل ثمين أمامهم يحطموه ويخربوه ويدمروه .

لقد مرت علي أحداث الشغب التى وقعت فى ١٨/١٩ يناير ١٩٧٧ تسع سنوات كاملة تقريباً قبل أن تصدر قرارات حاسمة بمنع التجول فى القاهرة وضواحيها . وقد يكون مفهوما أن هناك من الأسباب ما وقف خلف مظاهرات الفقراء فى شوارع القاهرة والمدن الأخرى فى يناير ١٩٧٧ ولكن ما هى تلك الأسباب التى وقفت خلف المظاهرات المسلحة الخطرة من جنود الأمن المركزى فى فبراير ١٩٨٦ ؟

لقد خرجوا وهم مسلحون بالبنادق والرشاشات فى سيارات ، وأخذوا يحطمون ما أمامهم فى مظاهرة هستيرية نادرة الحدوث . . فأمطروا المنازل والسيارات والملاهى والفنادق بالرصاص وأشعلوا النار فى الكثير منها . . فكيف حدث ذلك . . ولماذا ؟

ذكرت المعلومات التى أذيعت فى صباح السادس والعشرين من فبراير أن إشاعة قوية انتشرت بين جنود الأمن المركزى (وهم قوات مخصصة لحماية الأمن العام على مستوى الجمهورية) فى أحد مراكز تجمعهم بمدينة الجيزة (أول طريق القاهرة ـ الاسكندرية الصحراوى) ، وقد أفادت تلك الإشاعة أن المجندين عليهم أن يمضوا سنة أخرى فى الخدمة . وما أن انتشرت تلك الإشاعة حتى خرج الجنود بأسلحتهم إلى الشوارع فى مظاهرة لم تشهد البلاد لها مثيلا من قبل . . وكان ذلك فى مساء يوم ٢٥ فبراير ١٩٨٦ .

ومع ذلك فلم تتضح أبعاد تلك الأعمال إلا فى صباح اليوم التالى . . فقامت الحكومة بفرض حظر مشدد للتجول ، ونزلت قوات من الجيش فى الشوارع حيث استطاعت تأمين كل المؤسسات الرسمية الهامة . ان ما فعله جنود الأمن المركزى كان عملاً ضد القانون والأمن بكل معانى هاتين الكلمتين . . فقد دمروا وأحرقوا الممتلكات العامة والخاصة ، وقاموا باقتحام أحد سجون مدينة القاهرة (سجن ليمان طره) وأطلقوا سراح المئات من المسجونين . . وهم فى سبيل ذلك قتلوا

العشرات من الأفراد وجرحوا المئات وسببوا خسائر تقدر بمئات الملايين مر الجنيهات . . وأظهروا بلدهم على أنه بلد ليس فيه الاستقرار والأمن الذى يسعى إليه أى زائر . . وبالتالى لا يمكن أن نصف هذا العمل إلا بأنه عمل هستيرى عدوانى جماعى وذلك لانه ـ كما سبق القول ـ لم يكن هناك أية أسباب مهيئة أو دافعة لحدوثه .

ومع ذلك فما حدث يعتبر أكثر الأعمال التى حدثت فى مصر خطراً (منذ اندلاع مظاهرات ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧) على البلاد حكومة وشعبا والتى أظهرت أن الشعب المصرى دائماً يقف مع الشرعية التى تحكمه . . وهذا نضج سياسى واضح يساعد الحكومة على إحباط مخططات المتمردين والمهووسين والذين تنتابهم الهستيريا العدوانية .

الاغتيالات السياسية الموجهة ضد الاسرائيليين :

فى الأسبوع التالى مباشرة لأحداث الأمن المركزى فى القاهرة والجيزة وفى مساء الأربعاء ١٩٨٦/٣/٢٩ قامت سيارتان (مرسيدس وتيوتا) بمحاصرة أربعة من العاملين فى الجناح الاسرائيلى بمعرض القاهرة الصناعى الدولى وأطلق الجناة وابلاً من الرصاص من جميع الجهات مستخدمين البنادق الآلية ، ثم لاذوا بالفرار . . وقد تبين أن الجناة كانوا أربعة كل اثنين فى سيارة ، وكان من نتيجة هذا الحادث وفاة موظفة إسرائيلية وإصابة الثلاثة الآخرين بجراح خطيرة(٣) .

ولم تكن تلك الحادثة هى الأولى التى يقوم بها تنظيم ثورة مصر (الذى عرف فيما بعد أنه وراء تلك الأحداث) . . بل إن أول حادثة قام بها أعضاء ذلك التنظيم السياسى غير الدينى وقعت فى ١٩٨٥/٨/٢٠ عندما أطلقت النار على (التراكشى) وهو الملحق الإدارى بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة من بنادق آلية بواسطة أربعة من المسلحين فأردوه قتيلا مع زوجته (إيلينا التراكشى) وأوضحت أقوال شهود العيان عن أن مرتكبى الحادث كانوا يستقلون سيارة مرسيدس حمراء اعترضت طريق السيارة (الفولكس) للدبلوماسى الإسرائيلى وانطلقت رصاصات الاغتيال على بعد ٤٠٠ خطوة من منزل السفير الإسرائيلى(٤) .

---

(٣) و(٤) مجلة المصور ١٩٨٧/٦/٥

محاولة اغتيال اللواء حسن أبو باشا :

يرتبط اغتيال أنور السادات ارتباطاً وثيقاً بمحاولة اغتيال وزير الداخلية الأسبق اللواء حسن أبو باشا فى ٥ مايو ١٩٨٧ ، فبعد اغتيال السادات والقبض على التنظيم الدينى الذى خطط ونفذ اغتياله ، ظهرت فى وسائل الإعلام ـ وخاصة المعارضة منها ـ اتهامات واسعة النطاق حول تعرض بعض أفراد جماعة الجهاد للتعذيب والإكراه البدنى للحصول منهم على اعترافات ومعلومات . ووجهت تلك الاتهامات الى العديد من ضباط الأمن وعلى رأسهم اللواء حسن أبو باشا بصفته مسئولاً فى ذلك الوقت عن وزارة الداخلية . وقد قامت الجهات القضائية بالتحقيق فى كافة الاتهامات فرفعت الحصانة البرلمانية عن اللواء أبو باشا . . وبرأت ساحة اللواء حسن أبو باشا حيث لم يثبت ضده أى اتهام . . ولكن إذا كان هذا هو رأى الجهات الرسمية فى الدولة فى أن حسن أبو باشا لم يكن مسئولا عن أية عمليات تعذيب جرت لبعض أفراد جماعة الجهاد . . فإن أفراد تلك الجماعات سواء الذين أطلق سراحهم بعد انتهاء التحقيقات فى قضية السادات أو الأعضاء الجدد الذين أخذوا ينضمون ويؤمنون بجماعة الجهاد وأفكارها رأوا أن عدم الإدانة الرسمية يعتبر أمراً غير جدير بالتصديق ، وأن عليهم أن يسلكوا الطريق الذى يؤمنوا به هم أنفسهم . . ولما كان الفكر المتطرف لا يقوم بأعمال عقلانية فقد قام بعض أفراد تلك الجماعة بالتخطيط لقتل الوزير السابق . وبالفعل فى مساء يوم الخامس من مايو ١٩٨٧ تصدى عدد من الأفراد للوزير أثناء عودته لمنزله بحى العجوزة بعد أن تناول طعام الإفطار مع ابنته بمناسبة شهر رمضان ، وأمطروه بالرصاص بعد نزوله من سيارته متوجهاً لمدخل مسكنه ولاذوا بالفرار . ولقد أصيب اللواء أبو باشا إصابات خطرة نقل على إثرها إلى إحدى المستشفيات للعلاج السريع وبعد عدة أيام تم نقله إلى خارج البلاد لإجراء عمليات جراحية دقيقة له .

محاولة اغتيال بعض الأمريكيين بالقاهرة :

كانت محاولة اغتيال اللواء أبو باشا من قبل المتطرفين الإسلاميين تحدياً كبيراً لقوات الأمن التى سارعت بوضع خطط واسعة لضبط الجناة . ولكن لم يمض على هذه المحاولة ثلاثة أسابيع حتى تعرض ثلاثة من الدبلوماسيين

الأمريكيين لمحاولة اغتيال . . ففى ٢٦ مايو ١٩٨٧ قامت سيارة (بيجو) خضراء باعتراض سيارة تابعة للسفارة الأمريكية بداخلها ثلاثة من الدبلوماسيين بالسفارة وأمطرتها بالرصاص بمنطقة المعادى التى يسكنها العديد من الأمريكيين . ولقد استخدم الجناة فى ذلك الحادث بنادق آلية سريعة الطلقات وكان من نتيجة ذلك أن أصيب اثنان من الدبلوماسيين الثلاثة إصابات سطحية وهما (دنيس وليامز) و(جون هيكى) . . وقد لاذت سيارة الجناة بالفرار .

ولقد اتضح فيما بعد أن تنظيماً سياسياً مصرياً سمى تنظيم ثورة مصر هو الذى ارتكب هذا الحادث . . وكان أعضاء من نفس ذلك التنظيم قد قاموا بأول عملية مسلحة لهم ضد الملحق الإدارى الاسرائيلى فاغتالوه فى ١٩٨٥/٨/٢٠ حيث قام أربعة مسلحون بإطلاق النار على سيارة ذلك الإسرائيلى (واسمه التراكشى) وزوجته مستخدمين بنادق آلية وبعد ذلك لاذوا بالفرار .

محاولة اغتيال مكرم محمد أحمد :

قام بهذه المحاولة نفس التنظيم الدينى المتطرف الذى قام بمحاولة اغتيال وزير الداخلية الأسبق اللواء حسن أبو باشا .

ومع أنه ليس هناك أى علاقة بين ذلك التنظيم الدينى وبين تنظيم ثورة مصر الذى اتهم بقتل بعض الإسرائيليين والأمريكيين وإصابتهم ، فإن ما يبدو ان الأعمال التى قام بها كل منهما إنما تمت بنظام التبادل . . فتنظيم ثورة مصر بدأ فى عام ١٩٨٥ باغتيال الملحق الإدارى الاسرائيلى . . وقام التنظيم الدينى المتطرف (وهو فرع من تنظيم التكفير والهجرة) بعملية محاولة اغتيال اللواء أبو باشا فى مايو ١٩٨٧ ، وجاءت العملية الثانية لتنظيم ثورة مصر بمحاولة اغتيال بعض الدبلوماسيين الأمريكيين فى ذات الشهر . . ثم رد عليه التنظيم الدينى المتطرف بمحاولة اغتيال الأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار الهلال ورئيس تحرير مجلة المصور فى مساء ١٩٨٧/٦/٣ حينما كان عائداً من فندق شيراتون الجيزة بعد تناوله طعام العشاء مع صديقه الصحفى محمد عبدالمنعم . . وعندما وصلت سيارته الى شارع التحرير بالقرب من عابدين مرت بجواره سيارة صغيرة (من طراز فيات ١٢٨) وامطرت سيارته بوابل من الرصاص فر بعدها الجناة

تاركين مكرم محمد أحمد وقد أصيب فى يده . . وقد أصيب فى نفس الحادث حوالى عشرة أشخاص آخرين من جراء إطلاق الرصاص وتناثر الزجاج .

ويعود سبب الاعتداء على الأستاذ مكرم بسبب تصديه بشجاعة الرأى للذين هاجموا وحاولوا اغتيال وزير الداخلية الأسبق اللواء حسن أبو باشا فبعد أن نفذوا محاولتهم وأصابوا الوزير إصابات خطيرة تصدى لهم مكرم فى مجلة المصور التى يرأسها وقال : «إن مصر فيها فريق كبر حجمه أو صغر لكنه يخاصم حياتنا الديمقراطية ويخاصم واقعنا . . لا يرى مستقبلاً لمصر إلا أن يتم بالعنف وتقويض واقعنا الراهن لكى يقوم فى مصر واقع جديد ، لا نرى شبيها له الآن إلا ما يجرى فى إيران ، حكومة من آيات الله المتعصبين ، تحكم زوراً باسم الرحمن ، تملى على الخلائق والبشر أحكامها المستبدة باسم الدين ، تقضى على النقد وتقضى على الشورى ، لأن من يخاصمها إنما يخاصم الله ومن ينتقدها إنما ينتقد الله ! ، تأخذ الوطن إلى مجهول الكارثة كما حدث فى طهران»[٥] .

محاولة اغتيال النبوى إسماعيل :

فى مساء يوم ١٣/٨/١٩٨٧ قام عدد من الأفراد الذين يركبون سيارة صغيرة بإطلاق عدد من الأعيرة النارية على شرفة مسكن وزير الداخلية الأسبق محمد النبوى إسماعيل . . ولما كان منزل اللواء النبوى تحت حراسة قوات من الشرطة . . ولما كان المعتدون قد استخدموا الضرب المباشر على شرفة شقته المطلة على شارع جامعة الدول العربية ، فإن هذا كما يبدو ظهر وكأنه تحد صارخ لأجهزة الأمن التى كانت تبحث فى ذات الوقت عن الجناة الذين نفذوا محاولتى اغتيال اللواء أبو باشا والأستاذ مكرم محمد أحمد بالإضافة إلى البحث عن التنظيم الذى كان يتعرض لاغتيال الإسرائيليين والأمريكيين . ومع ذلك فان التحدى الذى أظهره المعتدون لم يسفر بطبيعة الحال عن إلحاق أى أذى باللواء النبوى الذى كان بداخل شقته . . إلا ان الجناة تمكنوا من الفرار بسيارتهم بعد ارتكاب هذا العدوان بدون أن يستطيع الحراس الإمساك بهم .

---

(٥) مجلة المصور ١٥/٥/١٩٨٧

التنظيم المتطرف الذى قام بمحاولات الاغتيال :

فى الأسبوع الأول من شهر سبتمبر ١٩٨٧ تمكنت قوات الأمن من الوصول لرؤوس التنظيم الدينى المسلح الذى نفذ محاولات اغتيال كل من اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية الأسبق ، والأستاذ مكرم محمد أحمد ، واللواء محمد النبوى إسماعيل نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية الأسبق .

لقد تابعت الشرطة أعضاء التنظيم واستطاعت محاصرة أهم عناصره ، وتم تبادل إطلاق النار بين الطرفين فقتل محمد كاظم الذى كان عضوا هاماً فى التنظيم وألقى القبض على يسرى عبدالمنعم . . وقد أوضح اللواء محمد عبدالحليم موسى مدير الأمن العام فى ذلك الوقت أن أجهزة الأمن تلقت سيلاً من المعلومات التى تتسم بالدقة من المواطنين ، مما ساعد قوات الأمن فى تحقيق النجاح خاصة من القبض على يسرى عبدالمنعم الذى «أدلى بعدد من الاعترافات أوضح فيها أن كاظماً هو الذى أطلق النار على حسن أبو باشا وكان يسرى هو الذى يقود السيارة . واعترف بأنه هو الذى أطلق النار على شرفة النبوى وكان كاظم هو الذى يقود السيارة . واعترف بأنهم دفعوا عادل موسى لكى يقوم بعملية إطلاق النار على مكرم محمد أحمد لكى يزيدوا تورطه فى التنظيم ، وأن مجدى كان يقود السيارة وإلى جواره شخص آخر هو خامسهم»[٦] الذى كانت الشرطة عند تسجيل تلك الاعترافات مازالت تبحث عنه .

وقد اتضح أن المتهمين جميعا كانوا من الوجوه الجديدة فى العمل المتطرف إلا أنهم يؤمنون بفكر جماعة التفكير والهجرة التى أسسها شكرى مصطفى وقد بلغ عدد المتهمين فى ذلك التنظيم ٣٣ متهماً قدموا جميعاً للمحاكمة .

تنظيم ثورة مصر وحوادث اغتيال الدبلوماسيين :

أعلن النائب العام المستشار محمد الجندى صباح الخميس ١٨ فبراير ١٩٨٨ قرار الاتهام فى قضية تنظيم ثورة مصر . وتضمن قرار الاتهام أسماء عشرين متهماً من بينهم خالد عبدالناصر الإبن الأكبر للرئيس جمال عبدالناصر (المتهم

(٦) مجلة المصور ١٩٨٧/٩/٤

الثانى) وابن عمه جمال شوقى عبدالناصر (المتهم الثامن عشر) وشريف حسين محمود الشافعى (المتهم التاسع عشر) . وقائمة المتهمين تشمل ضابطين سابقين بالجيش ، ورقيباً سابقاً بالجيش ، وخمسة تجار وأربعة أطباء ، والباقون من الموظفين والحرفيين . وقررت النيابة إعادة القبض على اثنين من المتهمين كانت قد أفرجت عنهما من قبل ، بينما أفرجت عن ابن حسين الشافعى بضمان مالى كبير . ووجهت النيابة عدة اتهامات من بينها تأليف والانضمام إلى عصابة تهدف إلى اغتيال الأجانب فى مصر والقيام بأعمال عدائية ضد دول أجنبية بهدف إفساد العلاقات السياسية بينها وبين مصر والإخلال بالأمن والاستقرار داخل الوطن . ولم يتضمن قرار الاتهام أى اتهام بقلب نظام الحكم[٧] .

ومما هو جدير بالذكر أن تنظيم ثورة مصر قد اتهم بارتكاب عدة اغتيالات استهدفت فى البداية الملحق الإدارى الاسرائيلى فى ١٩٨٥/٨/٢٠ وانتهت بمحاولة اغتيال ثلاثة من الدبلوماسيين الأمريكيين فى ١٩٨٧/٥/٢٦ ، وقد ظهرت مسئولية التنظيم فجأة عندما قام أحد أعضائه ويدعى أحمد عصام الدين بكشف أسرار التنظيم للسفارة الأمريكية ولسلطات الأمن المصرية . . وهذا العضو هو شقيق لزعيم التنظيم محمود نور الدين . . وقد نشرت بعض وسائل الإعلام معلومات هى أقرب للتكهنات منها إلى الحقائق عن أسلوب عمل التنظيم إلى أن جول الأمر للمحكمة فى تحديد التهم والعقوبات التى يمكن أن توجه لكل أو بعض أعضاء هذا التنظيم .

تطور العنف المسلح فى القاهرة وبعض المحافظات :

بعد أن نجحت الشرطة فى الوصول إلى التنظيم المتطرف الذى قام بثلاث محاولات لاغتيال اللواء أبو باشا والأستاذ مكرم محمد أحمد واللواء النبوى إسماعيل . . . وبعد أن استطاعت الشرطة الوصول إلى التنظيم الذى سمى بثورة مصر ، والذى اتهم بقيامه باغتيال وإصابة عدد من الدبلوماسيين الإسرائيليين والأمريكيين ، لم تهدأ الأمور ولم تستقر الأحوال بالصورة التى كانت مأمولة . فالتنظيمات المتطرفة يدخلها أعضاء جدد بصفة مستمرة . . والمناطق التى يظهرون

(٧)مجلة روزاليوسف ١٩٨٨/٢/٢٢

فيها تتجدد وتتباين . . بالإضافة إلى أن الرغبة فى الانتقام تتفاقم حدتها كما نعلم بين المتعصبين بأكثر مما تتفاقم لدى الرحماء الراشدين .

وفى فترة بعد ظهر يوم الجمعة ١٢ أغسطس ١٩٨٨ وقعت اشتباكات واسعة النطاق بين قوات الأمن وعدد كبير من الشباب أعضاء الجماعات الإسلامية فى منطقة عين شمس . . علم فيما بعد أن هؤلاء الأعضاء قاموا بالخروج من مسجد آدم وهو أحد أكبر المساجد فى المنطقة وأخذوا يرددون هتافات ضد الحكومة . . فتدخلت قوات الأمن التى تحرس المكان مطالبة المتظهارين بإنهاء المظاهرة ، ولكن هؤلاء لم يذعنوا فحدث التصادم الذى أدى إلى مقتل أربعة مواطنين وإصابة عشرين آخرين . وتم القبض على حوالى مائة عضو من أعضاء تلك الجماعات . . وتحولت المنطقة إلى معركة شرسة أحرقت فيها إطارات السيارات وألقيت فيها القنابل المسيلة للدموع . . وتطايرت الحجارة فى كل مكان . . . ويبدو أن أحد الأعضاء قام بإلقاء حجر كبير فوق رأس أحد ضباط الشرطة وهو النقيب محمد زكريا خليل فأصيب إصابة خطرة نقل على إثرها للمستشفى حيث أجريت له عملية جراحية . . ولكنه توفى بعد خمسة أيام متأثراً بجراحه . . كذلك أصيب فى هذه المعركة اثنين من الضباط وأربعةً من الجنود بإصابات مختلفة .

ولقد كانت هذه المجابهة صورة من صور التباين بين أحزاب المعارضة وبين الشرطة . . . حيث قام الكثير من كتاب صحف المعارضة بتوجيه انتقادات لأجهزة الأمن التى كما ادعوا أطلقت النار على المواطنين مما تسبب فى وقوع ضحايا أبرياء . . وكذلك استخدمت الشرطة هذه المجابهة لإثبات أن الضابط الذى قتل من قبل المواطنين لم يكن إلا صورة مصغرة للتمرد الذى استطاعت الجماعات الإسلامية إحداثه فى سلوك المواطنين وهو تمرد موجه لسيادة الدولة واستقرارها . . ولا يمكن للسلطات الأمنية الموافقة عليه بأى صورة من الصور .

ومع ذلك فقد انتهى عام ١٩٨٨ وجاء العام الذى يليه وقد استقرت فيه الأحوال الأمنية إلى حد كبير . . لدرجة أن الكثير من المراقبين تمنوا أن تكون الجماعات المتطرفة قد نحت إلى العقل والحوار . . ولكن معرفة اسلوب تفكير تلك الجماعات فى السابق كان يدل على أنها تنوى تجديد العنف مرة أخرى اذا ما تسنى لها ذلك . . وهذا ما دعا وزير الداخلية السابق اللواء زكى بدر إلى تكرار

تحذيراته العلنية من أنه متيقظ لأى محاولة من قبل المتطرفين . وفى الحقيقة فقد وجهت انتقادات لأسلوب مجابهة اللواء زكى بدر للمتطرفين . . ولم تكن هذه الانتقادات تأتى فقط من المعارضين الحزبيين بل جاءت من شخصيات نقابية وصحفية كذلك . . . ولكنه كان فيما يبدو مقتنعاً ومتيقناً من أن أفضل أسلوب لجعل الأمن قائماً فى البلاد هو الضرب الشديد المسبق لمعاقل المتطرفين .

محاولة اغتيال زكى بدر وزير الداخلية :

لقد رأى الكثير من المعارضين لسياسة زكى بدر وزير الداخلية السابق أسلوباً جديداً قاسياً يدفع البلاد تجاه أزمة يمكن أن تكون خطيرة على استقرارها وتطورها الديمقراطى . . . ولكن مع نشر هذه الانتقادات بصورة مستمرة لم يلاحظ المراقب أن هناك تراجعاً من قبل الوزير أو تعديلاً لمنهجه وأسلوبه فزاد الخلاف بينه ـ ليس فقط داخل أحزاب المعارضة مجتمعة ـ بل امتد ليشمل بعض النقابات والشخصيات العامة المرموقة فى المجتمع .

وبدأت أقلام عديدة تكتب عن تجاوزاته اللغوية واستخدامه لأسلوب الحوار ، إلى أن حدث أن تم ما يمكن أن يسمى «فخ سياسى له» كان نتيجته خروجه من منصبه الوزارى الرفيع .

ولكن قبل أن يخرج اللواء زكى بدر من الوزارة كان قد تعرض ـ مثله فى ذلك مثل أغلب وزراء الداخلية الذين جاءوا بعد اغتيال أنور السادات لمحاولة اغتيال .

ففى صباح السادس عشر من ديسمبر ١٩٨٩ ، وأثناء مرور سيارة اللواء زكى بدى بأسفل كوبرى الفردوس بالقرب من طريق صلاح سالم انفجرت سيارة ملغومة كانت واقفة على مسافة ١٥ متراً من سيارة الوزير ، واشتعلت فيها النيران ، وفر صاحب السيارة تجاه المقابر المجاورة ولكن حرس الوزير استطاعوا القبض عليه .
لم يصب الوزير بسوء وعاد إلى عمله ليصدر بياناً عن الحادث جاء فيه : بتاريخ يوم ١٦ ديسمبر الجارى ، الساعة الثامنة والنصف صباحاً وأثناء سير السيارة التى تقل اللواء زكى بدر وزير الداخلية ، عند منطقة كوبرى الفردوس بشارع صلاح سالم

انفجرت سيارة نصف نقل أمام سيارة الوزير . واشتعلت بها النيران . وشوهد أحد الأشخاص يحاول الهرب من جوار السيارة فى الاتجاه المقابل . وتمكنت قوة الحراسة من القبض عليه ، وعثر معه على بطاقة شخصية عليها صورته ، وتبين أنها مزورة . ورجح البحث المبدئى للسيارة المحترقة أنها كانت تحمل عبوة من المواد المتفجرة وتحمل رقم سيارة نقل جيزة ، ولم تقع أية إصابات أو خسائر باستثناء السيارة المحترقة ، وتواصل أجهزة الأمن التحرى عن أبعاد الحادث .

ولا شك أن القارىء لهذا البيان يلاحظ على الفور أن أسلوب استخدام سيارة مفخخة لارتكاب حادث اغتيال سياسى أسلوب جديد تماماً فى مصر . ولقد استخدم هذا الأسلوب على نطاق واسع بعد الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ ، واستهدف عدداً واسعاً من الأهداف كان أهمها مركز مكدس بقوات البحرية الأمريكية ، ومركز مشابه للجنود الإسرائيليين ، ومقر الرئيس اللبنانى بشير الجميل .

واستخدام هذا الأسلوب الخطير فى مصر ضد الشخصيات السياسية يُظهر أن المتطرفين يملكون المال لشراء سيارة ، ويملكون الحيل لسرقة أو صناعة المتفجرات ، ويملكون القدرة على مراقبة ومتابعة تحركات الشخصية السياسية . ومع ذلك فلجوء المتطرفين لاستخدام السيارات المفخخة يظهر لكل إنسان أنهم لا يعيرون المواطنين الأبرياء أية أهمية أو قيمة أو وزناً . وهذا يضعفهم ويضعف عقائدهم المتطرفة الاجرامية .

إطلاق النار على الجند لسرقة سلاحهم :

ولما كان المتطرفون فى حاجة إلى السلاح لكى يشعروا بقدرتهم على تنفيذ مخططاتهم فإن مجالات الحصول على السلاح تكاد تنحصر فى طريقتين : شراء السلاح . . أو سرقته . وشراء السلاح فى حاجة إلى أموال . . ولكى يحصل المتطرفين على المال فلابدَّ أن يسرقوا . وحوادث سرقة السلاح ليست حديثة فى مصر . . فالسوق أحياناً ما ينفتح وأحياناً ما ينكمش . . وفى حالات الانكماش والنضوب لا يجد المتطرفون من سبيل ـ فيما يبدو ـ أمامهم سوى سرقة السلاح مباشرة من الجنود المجندين بقوات الشرطة . . فهؤلاء الجنود والخفراء مسالمـون ،

وهم لذلك معرضون بين الحين والآخر للاعتداء من قبل المتطرفين الذين يبغون سرقة السلاح .

ومع ذلك يبدو أن لسرقة السلاح من الخفراء والجنود له رمزاً آخر . . وهو قدرة المتطرفين على إرسال رسالة لمسئولى الأمن بأن الجماعات المتطرفة تستطيع أن تهدد وتصيب بل وتقتل جنود الأمن وتسرق ـ بالإضافة إلى ذلك ـ سلاحهم .

وهذا هو الفرق بين أن يُسرق سلاح نارى من جندى ، وأن يسرق من أحد التجار . . . فسرقة السلاح من جندى هو كسرقته من الدولة التى يجب أن تحتفظ بالسيادة والاحترام . . وإذا ما حدث ذلك فإن الدولة تكون بلا شك قد هُددت فى سيادتها ومكانتها وقدرتها على فرض القانون .

إن ما حدث يوم ١٩٩٠/٧/٢٧ ، ويوم ١٩٩٠/٨/١ هو دليل واضح على ذلك . . حيث تعرض للهجوم جنديان من الخفراء (١٩٩٠/٧/٢٧) وهما : بخيت فتحى همام ، وعبدالرحمن عبدالله رضوان من جنود الأمن بمنطقة المعادى جنوبى القاهرة ، حيث تقدم منهما شخصان أخرجا مسدسين ثم أطلقا النار على الجنديين من الخلف . . ومع أن الوقت كان فى السابعة صباحاً إلا أن المعتدين لاذا بالفرار . ويبدو أن الجناة لم يستطيعا سرقة السلاح لأن الجنديين بعد تعرضهما للضرب سقطا وهما يحتضنان السلاح الذى كان معهما . . ولما كان استخلاص السلاح بعد إطلاق النار سيهدد الجناة بالانكشاف فقد فضلا فيما يبدو الهرب والتخفى . أما الحادث الثانى (١٩٩٠/٨/١) والذى اعتدى فيه مجهولون ثلاث على عريف من قوات الشرطة واسمه ناجى محمد السيد بالضرب بآلات صلبة ، وهو الذى كان يحرس منزل سفير البحرين بشارع جامعة الدول العربية . . فقد أدى ذلك الحادث إلى سرقة طبنجة العريف والفرار بها .

إن مثل هذه الأحداث تقع كثيراً على فترات متباعدة وخاصة فى الأقاليم النائية فى الصعيد . . ولكن عندما يحدث فى مدينة كبرى كالقاهرة ويتكرر مرة ثانية فى أقل من أسبوع واحد ، فإن الأمر يلفت انتباهنا إلى ضرورة الحرص على تفهم أن الجماعات المتطرفة تبغى الحصول على السلاح لتنفيذ مخطط أوسع أو أخطر .

اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب :

قبل أن يغتال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصرى ، وقعت حادثتان هامتان واحدة فى مصر والأخرى خارجها . . أما الأولى فكانت مصرع الدكتور علاء محيى الدين المسئول عن الإعلام بالجماعة الإسلامية . . والثانية غزو العراق للكويت .

وبالرغم من أنه ليس هناك من علاقة بين الحادثتين إلا أن كل منهما قد ألقت بظلالها ـ بصورة مباشرة أو غير مباشرة ـ على ملابسات عملية اغتيال الدكتور رفعت المحجوب .

فعندما قتل الدكتور علاء محيى الدين نظرت جماعة الجهاد الإسلامية إلى مقتله على أنه عمل نفذ بواسطة قوات أمن مصرية . . ودعم موقفها هذا بعض الصحف التى صورت مقتله على أنه امتداد لما وصفته تلك الصحف بالتصفيات الجسدية التى تمارسها سلطات الأمن ضد أفراد الجماعات الإسلامية . ولقد نفى وزير الداخلية المصرى اللواء محمد عبدالحليم موسى نفياً قاطعاً أن تكون قوات الأمن هى التى قامت بتلك الجريمة ، وأكد بوضوح على أن قوات الأمن لو أنها قامت بالتصفية الجسدية للمعارضين فإنها بذلك ترتكب عملاً غير أخلاقى . .

وعندما قام العراق بغزو الكويت واحتلالها بالكامل . . وقفت الحكومة المصرية موقفاً مبدئياً وهو رفض الغزو والاحتلال وطالبت بانسحاب القوات العراقية وإعادة الشرعية لدولة الكويت . والموقف المصرى هذا جعل بعض الجماعات الفلسطينية التى توصف دولياً بالإرهاب والتى تحولت لتساند العراق تندد بالموقف المصرى وتهدد بأعمال عنف مسلحة ضد كل من يقف ضد العراق . وبعد تلك التهديدات أخذت السلطات المصرية حذرها فشددت مراقبة الموانى الجوية والبحرية والبرية خشية أن تتسلل عناصر مسلحة تبغى القيام بأعمال العنف ، وبالفعل أعلن عن ضبط عدد من العرب ونوعيات مختلفة من الأسلحة والمتفجرات ولم يكن هذا فيما يبدو كافياً لمنع اغتيال الدكتور رفعت المحجوب فى الثانى عشر من شهر أكتوبر ١٩٩٠ .

إن تنظيم الجهاد الإسلامى المسلح الذى قام بأخطر عمليات الاغتيال السياسى فى مصر منذ قيام الثورة والذى خطط ونفذ عملية اغتيال الرئيس السابق أنور السادات ، والذى خطط ونفذ عملية اقتحام مبنى مديرية أمن أسيوط وقتل فيها وحولها أكثر من مائة من ضباط وجنود الأمن . . هذا التنظيم أعلن حالة الاستنفار فيما بين صفوفه مرة أخرى بعد مقتل الدكتور علاء محيى الدين .

وبالرغم من أن أهم عناصر التنظيم موجودة بالسجون الآن بسبب اغتيال السادات ومذبحة مديرية الأمن بأسيوط . . إلا أن التنظيم لايزال فيما يبدو مصمماً على فكره الذى أعلنه وهو (الجهاد المسلح) .

ولما كان اغتيال الشخصيات البرلمانية فى مصر ـ كما رأينا ـ يعتبر أمراً نادراً ، فإن اغتيال الدكتور المحجوب ظهر للوهلة الأولى على أنه عمل ارتكبه عناصر خارجية . . أى عناصر إرهابية من خارج مصر . .

ولم يكن هذا وحده هو الذى أقنع العديد من المفكرين فى السياسة والاجتماع والأمن بأن المجرمين هم من خارج مصر . . بل إن أسلوب تنفيذ الاغتيال نفسه ودقته وتوقيته وتمكن القتلة من الفرار والتخفى جعل الأمر كله عملاً لا يمكن أن يكون مرتكبوه من المصريين .

ولكن . . ألم يخطط بعض المصريين المتطرفين لمقتل رئيس مصر نفسه عام ١٩٨١ ؟ . . ألم يقتحم بعض المصريين المتطرفين مركزاً أمنياً حصيناً هو مديرية الأمن بأسيوط وارتكبوا مذبحة لم تحدث فى تاريخ مصر الحديث بأكمله منذ مذبحة القلعة وحتى يومنا هذا ؟ ثم إذا كان المجرمون من الخارج فكيف استطاعوا التخطيط ولم يكن قد مضى الكثير من الوقت على إذاعة تهديدات الجماعات الفلسطينية المسلحة الموالية للحكومة العراقية . . ثم كيف دخلوا البلاد وأين أقاموا فيها ومعهم الأسلحة والذخيرة . . وكيف يعلمون ـ وهم غير مصريين ـ بأماكن التخفى بعد ان يرتكبوا جريمتهم ؟

إن كل هذه الأسباب بلاشك تنفى قيام عناصر إرهابية خارجية باغتيال الدكتور المحجوب . ومع ذلك ولبعض الوقت ـ ربما من أثر الصدمة ـ أخذ الكثيرون يشيرون إلى أن جماعات إرهابية فلسطينية ـ خاصة جماعة أبى نضال ـ هى التى قامت بالاغتيال .

ولما كان ذلك مستبعداً ـ كما رأينا ـ فإن جماعة الجهاد المتطرفة هى التى ادينت بذلك العمل . . ولكن يبقى سؤال هام هنا وهو : ما الهدف الذى تجنيه الجماعة بمقتل رئيس مجلس الشعب وهو بعيد تماماً عن السلطة التنفيذية فى الدولة . . إنه الرجل الذى هاجم الانفتاح الاستهلاكى وهاجم تصفية القطاع العام وهاجم إلغاء مجانية التعليم . . وهى كلها بلاشك قضايا حيوية لاتزل تهم قطاعات شعبية ورسمية عريضة فى مصر . . ثم أليس فى قتله ـ خطأ فادح يقلل من مصداقية الجماعة أمام أعضائها خاصة الجدد فيها . . ألا يزيد هذا من الرفض الشعبى لأفعالها ولأى قيمة تتشدق الجماعة بإعلانها ؟ ثم ألا يعنى هذا تصفية نشاط الجماعة لعدد غير معلوم من السنين مثلما حدث بعد اغتيال الرئيس السادات ؟

ولكنهم مع ذلك قتلوه غدراً ، وفى وضح النهار . . وكان لابد أن تقف مصر كلها مع شرعية الاستقرار . . فرفضت الحكومة الجريمة . . ورفضتها كافة أحزاب المعارضة ، والنقابات والهيئات وجموع الشعب . . إن القتل أشد جريمة يمكن أن يرتكبها الإنسان . . وإذا كان قتل المجرم يجعل البعض من بنى البشر يتمنى أنه كان من الأفضل منع جريمته قبل وقوعها حتى لا يقتل . . فإن قتل انسان برىء تنزع الرأفة من قلب أى إنسان يرى القاتل وهو يلقى أشد العقاب . لقد صمم أعضاء من جماعة الجهاد الإسلامى المتطرفين على الانتقام بعد مقتل عضو من أعضائهم وهو الدكتور علاء محيى الدين ،حتى بعد أن كذّب المسئول الأول عن الأمن فى البلاد أى علاقة للأمن بهذه القضية . . وبعد أن انتشرت حوادث القتل والقتل المتبادل بين أعضاء الجماعات الإسلامية المسلحة . . فكل جماعة ليست فى وفاق ـ كما قد يعتقد البعض ـ مع الجماعات الأخرى . . وطالما كان هناك هذا الاختلاف فالآراء والأهداف والمسالك تتباين ، مما يشكل ـ منطقياً ـ نوعا من الاحتكاك والتصارع والتصادم تقع ضحاياه تباعا . فلو أن هذه الجماعات العديدة متطابقة ـ وهذا لن يحدث لأسباب بنائية وفكرية ـ لما كان هناك ضرورة لتعددها . ولكن هكذا هو حالها ووضعها ومصيرها .

وانتقام جماعة الجهاد دائما مسلح . . فهى جماعة غير شرعية . . إلا أنها مسلحة وسلاحها فيما يبدو موجود . . والأعضاء الذين يحملون السلاح عديدون ، وعقولهم لا تتوقف عن ابتكار طرق جديدة لارتكاب الجرائم . . لماذا ؟

لابد من القول أن تنظيماً كتنظيم الجهاد له عقيدة واضحة سهلة يستطيع قواد (أو أمراء) التنظيم شرحها وبثها فى عقول الأعضاء . . فهم (أى القواد) لا يقنعون الشباب الجديد بأن عليهم أن يحملوا السلاح ويقتلوا . . فهذا سيبعد عنهم الأعضاء الجدد لا محالة . . ولكنهم يشجعونهم بداية على التمسك بالدين والمعاملات الاسلامية مثلهم فى ذلك مثل أى مسلم مخلص لدينه وأركانه . . وبعد ذلك تكون الطرق مفتوحة للتركيز على تنمية العلاقات الشخصية بين القائد والأعضاء وذلك عن طريق التزاوج بين الأسر وحل مشاكل خاصة بالتعليم والسكن والملبس والنفقات . . وبعد ذلك يأتى دور المحاضرات التى تركز على اتجاه (الجهاد والنهى عن المنكر) . والقائد هنا يوضح لأعضاء الجماعة دور العضو فى التصدى لكل المنكرات وأقل الأخطاء . . ويظهر لهم أن الأخطاء لا تأتى من الشعب بل تأتى بها الحكام . . فجموع الناس لا يفهمون دينهم لأن الحكام لا يفهمونهم ذلك (مع أن ذلك خطأ كما نرى) . . ولكى يصبح الشعب مؤمناً يجب معاقبة الحكام باغتيالهم وتخليص المجتمع منهم . إن ذلك يشبه عمليات غسيل المخ التى حدثت فى العديد من الدول . . وعملية غسيل المخ تلك ليس لها حدود . . فبمقدار تباعد أفكار العضو عن الوسطية فى الدين بمقدار ما يقترب من الانحراف والتحول من عضو مسالم الى عضو مستعد أن يرتكب الأعمال الاجرامية المسلحة . . وكلما تعمقت عملية غسيل المخ كلما نحا العضو نحو الرفض المتزايد لقيم مجتمعه إلى أن يصل إلى إبداء استعداده بل إبداء رغبته وتلهفه على تنفيذ أوامر قائده .

لقد شعر إذن اعضاء تنظيم الجهاد ـ بعد فترة سكون وثبات ـ أن عليهم أن ينتقموا لمقتل الدكتور علاء محيى الدين . . حتى كما سبق القول مع علمهم وعلم الرأى العام بالتكذيب الرسمى الذى صدر على لسان وزير الداخلية . وقد انصب هدفهم للانتقام من وزير الداخلية ذاته لأنه هو المسئول عن قوات الأمن . وانتظروا عدة أشهر قبل أن ينفذوا عملهم . . هل فى فترة الانتظار تلك كانوا يراقبونه ؟ هل انتظروا حتى تأتى لهم فرصة يكون الأمن فيها مركزاً جهوده على جبهات أخرى (مثلما حدث) بعد تهديدات التنظيمات الفلسطينية المسلحة لمصر) لاشك أن ذلك ممكن . . فمنذ مقتل الدكتور علاء محيى الدين وحتى اغتيال رفعت

المحجوب وقت طويل . . ولكنه مع ذلك ليس طويلاً إذا ما قورن بالأسلوب الذى نفذ به الاغتيال .

فى الحادية عشرة من صباح الجمعة ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ (وهو يوم الإجازة للعاملين الرسميين بالدولة) ، وأثناء مرور السيارة التى تقل الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب (والرجل الثانى فى الدولة وفقا لترتيب المناصب الرسمية بها) أمام فندق (سميراميس) المطل على النيل فى طريقه لفندق (المريديان) لمقابلة رئيس مجلس الشعب السورى ، قام عدد من المسلحين بإطلاق وابل من الرصاص من بنادق آلية على سيارة الدكتور المحجوب وسيارة الحراسة الخاصة به . . وذكر أن عدد الذين ارتكبوا الاغتيال كانوا أربعة أفراد فى ملابس مدنية وكانوا يستقلون دراجتين بخاريتين ، وبعد أن نفذوا جريمتهم استطاعوا الفرار . وقد قتل الدكتور المحجوب فور تهشم رأسه من الضرب المباشر بالرصاص ، كذلك قتل الحارس الخاص له وهو الرائد عمرو سعد الدين الشربينى واثنان آخران من الحراس ، كما قتل الجناة سائق سيارة الدكتور المحجوب وكذلك قتلوا العميد عادل سليم الذى حاول تتبعهم . ولقد ساد وجوم حزين على المصريين بعد علمهم بالحادث . . وتناقلت كافة الاذاعات الأجنبية الخبر وعزته إما لأعمال من منظمات إرهابية فلسطينية أو لمتطرفين إسلاميين فى مصر . إلا أن التركيز جاء فى اتجاه ربط الحادث بالعديد من التهديدات التى وجهت لمصر من قبل جماعات فلسطينية تساند موقف الحكومة العراقية فى أزمة الخليج .

ولم يكن لهذه المذبحة أن تمر بدون أن تقوم أجهزة الأمن المختلفة ببذل جهود واسعة النطاق للوصول للقتلة . . وأكد وزير الداخلية أكثر من مرة أنه سيصل إليهم وينهى مخططاتهم . . ولقد استمرت الجهود التى شملت كل أرجاء البلاد لمدة خمسة عشر يوماً متواصلة حتى وقع الجناة قتلى وأسرى فى ميدان جامعة القاهرة . . حيث دهمتهم قوات الأمن وتبادلت معهم النيران فقتل منهم العضو محمد عبدالفتاح والعضو محمد صلاح ، وأصيب ثالث ويدعى محمد النجار وألقى القبض على عضو رابع . وتم إلقاء القبض كذلك على ستة من الإرهابيين كان منهم صفوت أحمد عبدالغنى الذى ذكر عنه انه أمير الجماعات الإسلامية بالقاهرة ، وعبدالناصر نوح مسئول الإعلام . وقد اتضح من التحقيقات الأولية أن قتلة الدكتور المحجوب هم أعضاء جدد من تنظيم الجهاد المسلح حيث اعترف

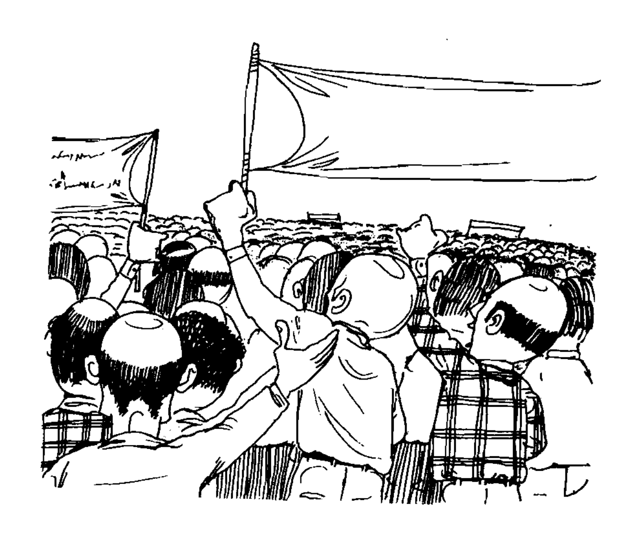
المتهمون أنهم كانوا يقصدون اغتيال وزير الداخلية اللواء عبدالحليم موسى وليس الدكتور رفعت المحجوب فالطريق الذى يسلكه وزير الداخلية ليصل مكتبه بوزارة الداخلية يمر بنفس المنطقة التى اغتيل فيها الدكتور المحجوب . . ولكن وزير الداخلية نجا لأن الله أراد له ذلك فقط ـ ربما لكى يتمكن من القبض على الرعيل الثانى من التنظيم المسلح وأن يعيد من جديد وضع استراتيجية متكاملة للتعامل مع المنظمات المتطرفة فى مصر .

إن حادث اغتيال الدكتور المحجوب عرض أجهزة الحراسة الأمنية الخاصة بالشخصيات الهامة للوم والنقد من كثير من الكتاب والمعلقين فى مصر . . ولكن مع ذلك فالأمل موجود فى الوصول إلى مستوى عال من اليقظة لتتمكن قوات الحراسة من الرد المباشر على من يحاول زعزعة الأمن بالاغتيال السياسى . ويبقى أن نتذكر أن الاغتيال السياسى ظاهرة دولية . . امتدت منذ آلاف السنين وحتى يومنا هذا . . لذا فإن اغتيال الدكتور المحجوب لن يكون الحادث الأخير وان تمنينا . فالعدوانية لدى البشر موجودة طالما وجد الخيرون من الناس . . فهم الضحية لأن أفعالهم مثمرة .

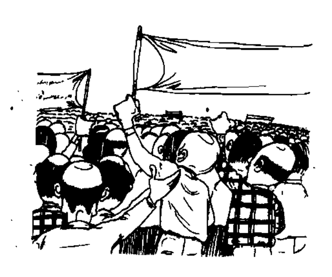
***



الفصل السادس



الثورات الشعبية والانتفاضات والاغتيال السياسى
دراسة مقارنة



تعتبر دراسة الثورات والانتفاضات موضوعاً على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للباحثين فى علم الاجتماع والعلوم السياسية فى الوقت الحاضر . حيث أن كلا من الظاهرتين تعبران عن مدى ما وصلت إليه العلاقة بين طبقات المجتمع ، ومدى الخلل الموجود والذى يؤدى إلى وقوعها .

وفى كل الدراسات التى تناقش موضوعاً كالثورة فإن الرجوع إلى الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية والثورة الروسية يعد دائماً أمراً ضرورياً . . وربما تكون الثورة الأمريكية أقل أثراً من الثورتين الأخريين فى التأثير على عقول الثوار فى العالم . . وذلك لأنها لم توجه أساساً للقضاء على الفساد الملكى أو الاجتماعى ، بقدر ما كانت توجه ضد الستعمرين الإنجليز للولايات المتحدة . . بالإضافة إلى أن الدستور الأمريكى الذى أعلن عام ١٧٧٦ فى مدينة فلادلفيا ـ وإن كان ينص على حق الفرد فى الحرية التامة ـ إلا أنه تجاهل أول ما تجاهل حق الزنوج ـ وهم بشر ـ فى أن يكونوا أحراراً . ومع ذلك فقد نجحت الثورة الأمريكية فى طرد المستعمر وإعطاء حريات سياسيةواقتصادية واجتماعية لا تحصى للمواطنين . . وما من شك فى أن أى واضع لدستور حديث فى أى بلد مستقل حديثاً لا يمكنه ذلك إلا بالاستعانة ببعض أجزاء من روح الدستور الأمريكى .

أما الثورة الفرنسية التى اندلعت عام ١٧٨٩ فقد تعدت فى آثارها حدودها الإقليمية[1] . . ولقد نشبت هذه الثورة وقت أن أصبح التمرد ـ من وجهة نظر

(١) علم الاجتماع السياسى ـ المفاهيم والقضايا ـ الدكتور السيد الحسينى ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠ ـ دار الكتاب للتوزيع ـ القاهرة .

الناس ـ أمراً ممكنا من الناحية الشرعية . وقبل سنة ١٧٨٩ كان هناك اتفاق عام على أن الثورة فى الطريق ، وأن التحولات التى يمر بها المجتمع الفرنسى تمهد لها أفضل تمهيد . ومن هذه الزاوية يمكننا تفسير طبيعة الثورة الأمريكية والنجاح الذى حققته بالجنود الفرنسيين الذين شاركوا فى هذه الثورة قد ألفوا أحوال الحرب ، ولم يستبعدوا أن يشهد العالم القديم ما شهده العالم الجديد . أى أن هناك مجالاً واسعاً لتغيير كثير مما هو مألوف وتحطيم ما هو معتاد من قيود ، وإقامة مجتمع جديد مستند إلى العقل . والواقع أن مجريات الثورة الفرنسية قد صدقت مشاعر كثير من الذين تعاطفوا معها منذ بدايتها . ولقد عبر عن ذلك دى توكفيل De Tocqueville حين قال : «إن ما بدا للملوك والسياسيين الأوروبيين على أنه لحظة عابرة كان فى حقيقة الأمر تعبيراً عن حركة جديدة لم يسبق لها مثيل فى تأثيرها على كل من الفكر والعمل الإنسانيين» .

وليس من الصعب علينا التعرف على أسباب التأثيرات الهائلة التى أحدثتها الثورة الفرنسية . لقد بدأت ـ شأنها شأن الثورات الأخرى التى نشبت قبلها ـ كحادثة سياسية . كانت فى البداية هجوماً على السلطة المركزية لأقوى حكومة أوروبية وقتئذ ، كما كان الهدف الظاهر لها تحديث فرنسا وتمكينها من احتلال مكانتها بين الأمم عن جدارة واستحقاق . لقد كان الإحساس بذلك عاماً إلى حد كبير مما حدا بتوكفيل إلى القول بأن تأثير الثورة الفرنسية قد امتد إلى القارة الأوروبية ، وأنها ـ أى الثورة ـ كانت تمثل مرحلة انهيار الإقطاع[٢] .

ولقد قامت الثورة الفرنسية والمجتمع الفرنسى كله واقع تحت تأثير كتابات ملهم الثورة جان جاك روسو . . الذى انتقد البذخ والترف وحياة القصور التى يعيش فيها أصحاب الأراضى والإقطاعات الزراعية فى الوقت الذى كان الفقراء يرزحون تحت ذل الفقر والجهل والشقاء . ولم يكتف روسو بالهجوم المستمر على المترفين ، ولكنه صاغ نظرية «العقد الاجتماعى» التى تكفل بناء المجتمع المتوازن سياسياً واجتماعياً .

ومع أن الثورة الفرنسية نجحت فى القضاء على النظام الملكى والاقطاع إلا أنها اتجهت أكثر إلى إبراز الأهمية القصوى لحقوق الإنسان . فقد أعلن روبسبير

(٢) علم الاجتماع السياسى ـ المفاهيم والقضايا ـ د . السيد الحسينى ـ المرجع السابق .

Robespierre [3] فى خطابه أمام الجمعية التأسيسية الوطنية بتاريخ ٢٤ إبريل ١٧٩٣ شريعة حقوق الإنسان والمواطن . . حيث جاء فى المادة السادسة والثلاثين ما يلى : (إن من يضطهد أمة واحدة يعلن نفسه عدواً لجميع الأمم) . . وفى المادة السابعة والثلاثين (إن الذين يحاربون شعبا من الشعوب لكى يوقفوا تقدم الحرية ويطمسوا حقوق الإنسان . يجب أن تلاحقهم جميع الشعوب لا كأعداء عاديين وإنما كمجرمين قتلة وكلصوص عصاة .)

ولا شك أن الذين أدخلوا القوانين الفرنسية لمصر كانوا قد تأثروا بالنتائج التى أفرزتها الثورة الفرنسية وما أحرزته من نجاح على صعيد العلاقات الاجتماعية بين الناس .

أما عن الثورة الروسية التى قامت عام ١٩١٧ فإن الذين وضعوا أفكارها (كارل ماركس وفريدريك إنجلز) لم يتوقعا أن تحدث الثورة فى أكثر البلدان الأوروبية تخلفاً وفقراً وفساداً . . فالنظرية الماركسية تؤكد أن التحول من المجتمع الإقطاعى إلى المجتمع الرأسمالى ثم إلى المجتمع الشيوعى لا تحدث إلا فى المجتمعات التى تكون قد قطعت شوطاً كبيراً من التقدم بحيث تظهر مساوىء المجتمع وكأنها السبب الأساسى فى التحول إلى الشيوعية . . ومع ذلك فقد قامت الثورة فى روسيا القيصرية الفقيرة التى كانت تعيش فى إقطاع العصور الوسطى بأكثر مما كانت تعيش فى رأسمالية القرن الثامن عشر .

ولقد ركز ماركس وإنجلز أبحاثهما على ضرورة توجيه اهتمام الثورة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية واقتلاع جذور الملكية الخاصة والقضاء على الترف والإمعان فى حب التملك والإثراء .

ولقد تعدت الثورة الروسية حدودها الإقليمية لما أبدته من برامج اجتماعية ساعدت مساعدة مباشرة فى رفع شأن الطبقات المطحونة فى المجتمع . . وأى برامج اجتماعية توجد اليوم فى أى بلد رأسمالى بما فى ذلك الولايات المتحدة وانجلترا ، إنما تعود إلى الأخذ ببعض جوانب النظرية الماركسية التى تحث على الاهتمام برقى الطبقة الفقيرة فى المجتمع ، ولكن مع تطويعها للنظام الرأسمالى المعمول به فى تلك الدول .

(٣) الإرهاب السياسى ـ بحث فى أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية ـ الدكتور أدونيس العكرة ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ .

واذا كانت الدول الرأسمالية الأساسية قد طوعت الفكر الاشتراكى بما يعود على النظام الرأسمالى بالاستمرار والتطور . . فإن الفكر الماركسى رفض ـ إلى وقت قريب ـ الاستغناء عن أى جانب من جوانب الفكر الماركسى سواء أكان ذلك فى السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد .

ويبدو أن العالم يسير إلى اختيار الحل الوسط فيما بين الاشتراكية والرأسمالية (فلو أن التعليم لم يصبح مجانيا فى الدول الرأسمالية ـ وهو اتجاه اشتراكى ـ لما كانت تلك الدول تتمتع بمستوى الخدمات والعلم والتكنولوجيا الموجودة بها الآن) . . ولو لم يتحول العالم الاشتراكى إلى الأخذ ببعض جوانب الفكر الرأسمالى فإنه لن يتمكن من الاستمرار على نهج الطريق الاشتراكى الذى كان يسير عليه فى العقود السابقة .

تعليق على ما سبق :

لا يمكن وضع نظرية عامة واحدة تفسر خصائص الثورة الشاملة ـ فالشواهد التاريخية عديدة ومتباينة . . فالثورة الفرنسية كثورة رائدة فى العصر الحديث كانت ثورة شاملة بمعنى الكلمة بمعنى أنها قضت على الاقطاع (بالمعنى الكلاسيكى للكلمة) ووضعت قوانين الحرية والمساواة بين الأفراد وأنهت عصور الملكية والفساد وأنشأت الجمهورية الحديثة التى نرى صورتها الحديثة الآن . . ومع ذلك فإن هذه الثورة لم تجعل من طبقة واحدة (مهما كانت معاناتها فى الماضى وحجمها وتطلعاتها) هى الصفوة الحاكمة والمتحكمة فى أمور البلاد كما حدث فى الثورة الروسية التى كانت لنفس الأسباب تقريبا تبغى تغيير النظام السياسى والاجتماعى ولكنها بعد ذلك اقتلعت كل جذور عصر القياصرة بكل مظاهره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأعطت الحكم فى يد أفراد الشعب فقط وقضت على أى نفوذٍ آخر ما عدا ذلك . . حتى أصبح المجتمع كله طبقة واحدة تقريبا هى الطبقة الحاكمة وهى المحكومة فى ذات الوقت .

ولذلك ، وبغض النظر عن أى سلبيات تؤخذ علميا على الثورتين فإن كلاً منهما قد ساعدت فى ازدياد الوعى الوطنى لدى الكثير من الأمم التى هبت لإنهاء وجود الاحتلال الأجنبى من فوق أراضيها ليصبح لكل دولة حكامها الوطنيون المخلصون .

الانتفاضات الشعبية :

تعرضنا فى الجزء السابق للثورات الشعبية وأسبابها وخصائصها وقدرتها على التغيير ولما كانت الثورات عملا من أعمال العنف المسلح المقصود ويقوم بها شعب بأسره ضد نظام احتلال أو طبقة ملكية فاسدة فإن هذا العمل (أى الثورة) لا يعتبر متاحا فى كل الأوقات لمجتمع من المجتمعات . . . ولهذا ـ ولصعوبة قيام الثورات ـ نجد أن بعض الرافضين لسياسات المجتمع يقومون بأعمال عنيفه قد تكون مسلحة أو لا تكون ـ للتعبير عن مدى احتجاجهم على سياسات وسلوكيات الحكومات القائمة . فيخرج الألوف فى الشوارع ويحرقون السيارات ويقذفون الحجارة على قوات الشرطة ويرددون شعارات ضد القرارات التى تتخذها الحكومات القائمة . وتسمى هذه التظاهرات العنيفة بالانتفاضة الشعبية Uprising وتسمى فى بعض المراجع الأمريكية Food Riots أو مظاهرات الطعام (المظاهرات التى يقوم بها افراد يعانون من نقص الغذاء) .

وعادة ما ترتبط انتفاضة الفئة الفقيرة فى المجتمع من أجل الحصول على إمداد كاف من الطعام بسعر يملكونه . ولهذا فإن أى زيادات فى أسعار المواد الغذائية يقع دائما على الفئة أو القسم الفقير من المجتمع . ونحن نجد أن الحكومات ـ وحتى تحتفظ دائما بتوازنها وشرعيتها ـ تقوم بدعم الغذاء للطبقة الفقيرة من المجتمع . أو هى تقوم بصرف كوبونات لصرف الغذاء للفقراء .

ويحدث هذا الإجراء فى بلدان فقيرة أو غنية على حد سواء ، فنظام الكوبونات معمول به فى الولايات المتحدة الأمريكية التى يوجد بها ٣٢ مليون فقير[٤] أو حوالى ١٤٪ من السكان ويصل حجم المساعدة (الحكومية والخاصة) للفقراء فى الولايات المتحدة بحوالى ٥٣,١٪ بليون دولار (عام ١٩٨٢) وفى مصر يطبق نظام الدعم الشامل لكافة السلع والخدمات الأساسية كالخبز والزيت والسكر والشاى وغاز الطهى وكذلك تدعم أسعار النقل والمواصلات داخل المدن وبينها : كما تصرف مبالغ متزايدة على نظام التأمين الصحى والتعليم فى المدارس والجامعات والمعاهد العليا .

---

(٤) U.S news world Report- Aug 16-1982 printed In the U.S.A.

وفى بداية عام ١٩٨٤ حدثت انتفاضة شعبية عارمة فى تونس إبان حكم الرئيس الحبيب بورقيبة . . وقد اندلعت هذه الانتفاضة بعد صدور قرارات من الحكومة برفع سعر بعض السلع الغذائية الهامة بنسبة كبيرة . وقد لجأت الحكومة لهذه السياسة بغرض دعم الميزانية العامة للدولة وتخفيف العجز فى ميزان المدفوعات . ولكن عندما شعر المواطنون بأن هذه الزيادات ستؤدى إلى عجزهم عن كفاية احتياجاتهم لجأوا للتظاهر معلنين رفضهم وغضبهم . وتدخلت قوات الشرطة التونسية لفض المظاهرات فلقى العشرات حتفهم ونقل المئات من الجرحى إلى المستشفيات . . واضطرت الحكومة بعد ذلك إلى إلغاء قرارات زيادة الأسعار ومحاكمة زعماء الانتفاضة الذين وصفتهم بأنهم عناصر من الكسالى والعاطلين عن العمل .

وقبل ذلك حدثت مظاهرات مماثلة فى مصر عام ١٩٧٧ بعد أن أصدرت الحكومة وقتئذ مجموعة قرارات لرفع أسعار العديد من السلع والخدمات الهامة . . وقد سبق الإشارة لتلك المظاهرات عند الحديث عن عصر أنور السادات .

إذن يبدو أن انتفاضات الفقراء أمر مرتبط ارتباطاً كبيراً بوجود الطعام بكميات كافية أمامهم . . وبالتالى فإن مثل هذه الانتفاضات لا ترقى - بأى مقياس - إلى حجم الثورة الشاملة . . مع أن المراقب ربما يستطيع أن يستنتج من ورائها خطأ ما فى أسلوب إدارة تواجد وتوزيع السلع .

ويبدو أن هذه الانتفاضات ليست فى حاجة إلى أيديولوجية ، وليست فى حاجة إلى قيادات منظمة توجهها ، كما أنها - قبل ذلك وبعده - لا تبغى قلب نظام الحكم - لأنها لا تمثل كل طبقات المجتمع - ولكن كل هدفها هو التعبير عن السخط والرفض وتنبيه المسئولين عن الاقتصاد والتموين السلعى إلى الخلل الموجود فى المجتمع .

الاغتيال السياسى :

يعتبر الاغتيال السياسى حلقة هامة من حلقات أعمال العنف الموجه لشخصية سياسية أو عامة أَوْلها قيمة اقتصادية أو شعبية . . والاغتيال السياسى - كأى عمل من أعمال العنف - قد يعتبر (عملا جبانا إرهابيا وضيعاً) أو قد يعتبر عملا

من أعمال الشجاعة والتضحية والاستشهاد ، فاغتيال الخليفة عمر بن الخطاب على يد أبو لؤلؤة الأنصارى يعتبر عملا من أعمال الإجرام التى دعت للفتنة فى عالم الدولة الإسلامية واغتيال كليبر على يد سليمان الحلبى يعد عملا من أعمال البطولة والفداء والتضحية التى لا شك فيها . وبالمثل قد يكون الاغتيال الواحد له مدلولات متناقضة فى المجتمع الواحد لحظة وقوعه . . كما قد تعنى معنى واحدا يتغير لضده بعد سنوات على حدوثه . مثل محاولة اغتيال هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية التى غضب منها الألمان عندما وقعت ، ولكن بعد هزيمة ألمانيا أيدوها .

وبصفة عامة فإن الاغتيال السياسى لا يؤدى فى أغلب حالاته إلى حدوث التغيير الذى كان يأمله القائمون به . . . (نستثنى من هذه الحالات بطبيعة الحال الاغتيالات السياسية التى يقوم بها الوطنيون لاغتيال شخصيات تمثل قوى الاستعمار أو الاحتلال فمثل هذه الاغتيالات عادة ما تساعد الوطنيين على تحقيق أمانيهم الوطنية ، بالإضافة إلى أعمال النضال الأخرى التى يقومون بها) . أما إذا وجه الاغتيال للحكام الوطنيين فهو جريمة بشعة لا يجب السكوت عليها أبداً ، ومعاقبة من ينفذها العقاب الصارم .

خصائص الاغتيال السياسى فى مصر فى القرن العشرين :

١ ـ يقوم بالاغتيال السياسى عادة فرد واحد أو مجموعة صغيرة من الأفراد وهذا يعتمد على شخصية القائم بالاغتيال ، والظروف التى تحيط بعملية الاغتيال .

٢ ـ عادة ما عمل هذا الفرد لخدمة جماعة وطنية (قبل الثورة ضد الاحتلال البريطانى) . . أو لخدمة جماعة دينية (بعد الثورة) ، ودائما ما تكون هذه الجماعة متطرفة تعمل فى الخفاء .

٣ ـ حدث الاغتيال السياسى بواسطة الضرب المباشر بالنيران أو المتفجرات ، وذلك لأن المسدس سهل الاستعمال وخفيف الوزن وسهل التمويه ورخيص السعر نسبياً ويتوافر فى الأسواق السرية لبيع السلاح .

٤ ـ حدث الاغتيال (وخاصة بعد ثورة يوليو) إما بغرض قلب نظام الحكم ، أو

بغرض تهديد أمن الدولة ، أو بغرض إحراج الحكومات المصرية أمام الحكومات الأجنبية .

٥ ـ لم يحدث الاغتيال السياسى من أفراد ينتمون للشخصية التى تُغتال . . أى ليس هناك شواهد أو أدلة على قيام أى فرد أو مجموعة بقتل شخص له صفة سياسية يكونون عاملين معه عن قرب وهذا يؤكد الولاء للعاملين مع الشخصيات السياسية .

٦ ـ ندرة أعمال الاغتيال التى يقوم بها أفراد من الجيش إلى مجموع الاغتيالات التى تمت . . فباستثناء العمل الذى اشترك فيه بعض الضباط والجنود لاغتيال أنور السادات لم تسجل أعمال اغتيالات قام بها غير المدنيين الذين ينضمون إلى جماعات دينية متطرفة .

٧ ـ القائمون بالاغتيال كانوا عادة من الفئات عالية التعليم وهذا يضفى الخطورة على أفكارهم ، كما يعطى الأمل فى إمكانية التحاور معهم بالمنطق العقلى .

٨ ـ ليست هناك شواهد أو أدلة تاريخية على قيام اليسار المصرى بأعمال اغتيال . . مع أن كل أعمال العنف الأخرى تنسب لهم عادة . . فقد كان أغلب المتهمين بارتكاب الاغتيال ينتمون إلى جماعات دينية متطرفة .

٩ ـ لم تنسب حالة اغتيال واحدة لامرأة أو مجنون . . فكل المنفذين رجال أسوياء .

١٠ ـ وقعت معظم الاغتيالات فى مدينة القاهرة . . وربما يعود ذلك لأنها العاصمة السياسية ، وكذلك لكثرة عدد المسئولين فيها . . ثم لمساحتها الواسعة وتكدسها بالسكان .

١١ ـ نادراً ما حدث تدخل خارجى مباشر للقيام باغتيال شخصية مصرية على أرض مصر . . فكل الحالات التى حدث فيها الاغتيال تمت بيد مصريين بالرغم من التشجيع المادى أو المعنوى الخارجى فى كثير من الحالات .

١٢ ـ يحدث الاغتيال فى مصر فى الصباح أو قبل الغروب فى أغلب الحالات .

١٣ ـ يحدث الاغتيال عادة بعد صدور قرارات سياسية أو أمنية لا ترضى أفراد تلك الجماعات الدينية المتطرفة .

١٤ ـ يتبع عملية الاغتيال (أو محاولته) أعمال للسيطرة من جانب الحكومات ضد مرتكبى الحادث . . وعادة ما تنتهى باقتلاع جذور الجماعة المتطرفة .

١٥ ـ يتم عادة إعدام القائم أو القائمين بالاغتيال كما يزج فى السجن من عاونهم وأمدهم بالسلاح ودربهم .

١٦ ـ ليست هناك حالات اغتيال جماعية ، فباستثناء الاغتيال الجماعى الذى حدث فى اكتوبر ١٩٨١ لا توجد حالات أخرى على نفس المستوى . .

١٧ ـ تتراوح أعمار القائم بجريمة الاغتيال ما بين ٢٠ إلى ٣٠ سنة .

ملاحظات :

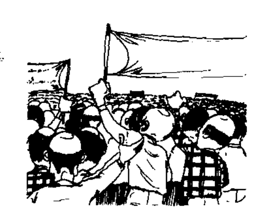
١ ـ الخصائص السابقة تعتبر خاصة فقط لشرح الظاهرة فى مصر ، بمعنى أنه قد يكون هناك خصائص للاغتيال السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية تختلف عنها فى مصر أو فى دول أوروبا الغربية أو دول العالم الثالث . فعلى سبيل المثال ـ وكما عرفنا فى الفصل الأول ـ يحدث الاغتيال السياسى فى الولايات المتحدة لأسباب غير سياسية عامة وبالتالى تنتفى فى أمريكا خصائص عديدة موجودة للاغتيال فى مصر .

٢ ـ تعتمد الخصائص السابقة أساساً على كل حالات الاغتيال (أو محاولاته) التى وقعت فى مصر لقتل مصريين بيد مصريين فى القرن العشرين .

٣ ـ تختلف خصائص الاغتيال السياسى فى مصر فى القرن العشرين عنها فى العصور السابقة وخاصة الفرعونية والوسطى اختلافاً كبيراً ، ففى العصور الفرعونية كان الاغتيال يحدث لأسباب سياسية فقط ويتم الاستيلاء على الحكم بمجرد قتل الملك . أما فى العصور الوسطى فقد كان الاغتيال بصفة عامة يحدث نتيجة اقتتال قيادات أو مراكز قوى فى المجتمع كلها من غير المصريين فيقوم أنصار فئة باغتيال زعيم فئة أخرى . وهذا لكى يتم إسقاط نظام والاستيلاء على الحكم لنهب ثروات البلاد والعيش فى بذخ وترف السلطة ، وكانت الدسائس والمؤامرات تحاك بانتظام بين الفئات المتصارعة ، ولهذا فيصبح الاغتيال وقتئذ أخف أثراً مما قد حدث ويحدث فى القرن

العشرين . وهذا لكثرة حدوثه وتعود البلاد عليه والفوضى السياسية التى كانت تعيشها كانت تضع الاغتيال السياسى كشىء ليس ذا بال . . أما الآن ـ فى مصر القرن العشرين ـ فإن الاغتيال السياسى يحدث من عناصر قليلة معروف حجمها وقدراتها ، وهى لم تتمكن بعد من العودة إلى نسيج الحياة الاجتماعية المسالمة ، فعجزت عن نشر فكرها على الناس ، ولجأت إلى العنف للتعبير عن آرائها . . وهنا ـ كما نرى ـ نقطة الخطر . . فهى تنقض لتغتال . . ولهذا فأعمالها ـ وان كانت محدودة ومعدومة التأثير ـ إلا أنها تساعد على إشاعة عدم الاستقرار فى مجتمع يتوق إلى الاحساس بالاستقرار ليتمكن من مواجهة مشاكل التنمية .

ونقدم فى الجدول التالى مقارنة بين الثورة الشعبية والانقلاب العسكرى والانتفاضة الشعبية والاغتيال السياسى ليتضح للقارىء جوانب كل عمل من أعمال العنف تلك :



وجه المقارنة	الثورة الشعبية	الانقلاب العسكرى	الانتفاضة الشعبية	الاغتيال السياسى
(١) من حيث القائمين به :	يقودها وينظمها فرد أو مجموعة صغيرة من الأفراد ، ثم يشارك فيها أفراد الشعب ، وتأخذ وقتا طويلا للتشكيل وجهدا كبيرا لتنجح	يقوم به بعض من يعملون بالجيش ، سواء لأغراضهم الخاصة أو لاعتقادهم أن عملهم سيلقى التأييد الشعبى .	يقوم بها عادة فئة من الشعب تضررت من قرار اقتصادى يمس حياتهم الخاصة بما يأكلونه ويشربونه .	يقوم به فرد أو مجموعة صغيرة من الأفراد ، لا يؤمنون بطريقة غيره . بالرغم من أنه ليس لهم وزن سياسى ولا يؤيدهم الشعب .
(٢) من حيث التأييد الشعبى :	يعتبر الشعب هو الملهم للثورة الشاملة ، وهو الذى يبدأها وينفذها ويرعاها . (انظر الثورة الأمريكية و الفرنسية والروسية) .	فى أغلب الأحوال فإن الشعب يفاجأ بحدوث الانقلاب العسكرى ومع ذلك فهو يتابع تطوراته باهتمام وحرص .	لما كانت الانتفاضة تقوم بسبب تضرر فئة محددة من فئات الشعب فإن التأييد يكون منصبا من الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الفئة .	لا يلقى الاغتيال تأييدا من الشعوب بل ان اغلب الناس يصدمون من وقوعه ، ويتألمون لحدوثه ويندون بمرتكبيه ، أما إذا جرى ضد قوات احتلال أجنبية فهو ينظر له دوليا على أساس أنه عمل من أعمال الكفاح ضد الاستعمار .
(٣) من حيث النجاح	إذا كانت الثورة شعبية يقوم بها فئات عديدة من المجتمع فانها عادة ما تنجح	يرتبط نجاح أى انقلاب عسكرى بمدى ارتباطه بصالح فئات الشعب	تنجح الانتفاضة فى بعض الأحوال ، مما يدفع المسئولين عن الأوضاع الاقتصادية	لا يحقق الاغتيال ذو الصفة السياسية أى هدف له إلا إذا كان موجها إلى قوات

وجه المقارنة	الثورة الشعبية	الانقلاب العسكرى	الانتفاضة الشعبية	الاغتيال السياسى
	(الثورة الأمريكية والفرنسية والروسية) .	الحقيقية .	برفع الضرائب على الفئات الغنية .	أجنبية تحتل البلاد .
(٤) أيديولوجية القائمين به .	إن فكر الثورة مرتبط إلى حد كبير بما يراه أفراد المجتمع ويتفقون على أنه فى صالحهم أجمعين سواء أكان ذلك فى النواحى الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية .	يحاول القائمون بالانقلاب العسكرى إضافة قيم أيديولوجية على حركتهم حتى يحصلون على التأييد من أفراد المجتمع .	لا يوجد للانتفاضة أيديولوجية بالمعنى العام لهذه الكلمة .	إذا كان الاغتيال موجها لقوات احتلال أجنبية فإن الأيديولوجية التى تقف خلفه هى أيديولوجية حركات التحرر الوطنى ، أما إذا كان موجها لشخصية محلية فان القائمين به يتوهمون بأن لهم عقيدة ذات قيمة .
(٥) العقوبة المنتظرة للقائمين به :	إذا لم تنجح الثورة فإنها لا تكون ثورة شعبية شاملة ، ولهذا يتم إعدام زعمائها أو نفيهم أو سجنهم .	يتم إعدام القائمين بالانقلاب العسكرى فى أغلب الحالات التى لا ينجح فيها .	يتم سجن زعماء الانتفاضة وخاصة إذا ثبت أنهم قاموا ببعض عمليات التخريب أو إهدار المال العام .	يتم تنفيذ حكم الاعدام فى القائمين بالاغتيال فى أغلب الحالات .

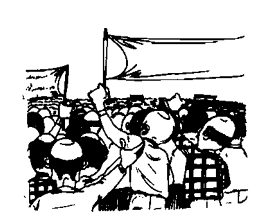
ملاحظة أخيرة :

يلاحظ القارىء بعد العرض السابق - أن الثورة عمل شامل يختمر يوما بعد يوم وتتجمع سحبه رويدا رويدا حتى تتكاثف وتتساقط سيولا تطيح بالبنيان الاجتماعى من أساسه . ولهذه الشمولية والحجم والإعداد والتحضير تثمربالنتائج التى أملها الناس وسعوا لتحقيقها . وفى الحقيقة فإنه لايمكن اصطناع ثورة شاملة فهى تتخلق تخليقا من إحساس جماعى ينمو ويترسخ بصدق ، ولهذا فإن دول العالم لا تستطيع أن تقف ضد إرادة شعب سعى لإنهاء احتلال تسلطى قمعى ، بعكس موقف هذه الدول من انقلاب عسكرى دبره وسعى له مجموعة صغيرة من أفراد الجيش . ولهذا فإن الاعتراف الدولى يكون بمقدار تقارب أو تباعد أهداف الانقلاب من الأهداف التى تؤمن بها هذه الدول .

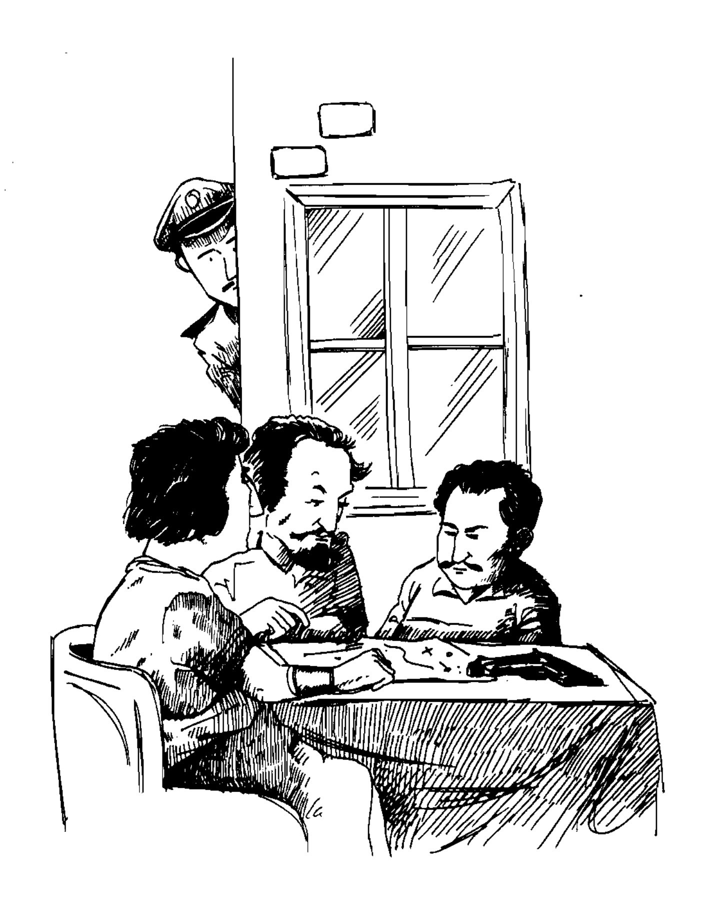
أما الانتفاضة الشعبية (ويمكن تسميتها انتفاضة الفقراء) فهى صورة مصغرة جدا من ثورة غير ناضجة . فأهداف الانتفاضة محدودة وصغيرة وهى التعبير عن رفض قرار لا يراعى الفقراء ويستثيرهم ويحفزهم نحو التحرك لتوصيل رسالتهم الى مكاتب المسئولين . ثم يأتى الاغتيال السياسى كعمل فردى تقريبا - ليعبر عن عمل ضد شخصية سياسية عادة ما تكون رفيعة الشأن ومسئولة عن مجريات الأمور فى المجتمع . وكل من مظاهرات الفقراء والاغتيالات السياسية ظواهر نادرة لا يمكنها النيل من البنيان السياسى للمجتمع .

إذن تأتى الثورة الشعبية الشاملة كعمل شامل للتغيير الاجتماعى والسياسى والاقتصادى فى المرتبة الأولى من أعمال العنف السياسى . ويأتى بعدها الانقلاب العسكرى ، فالانتفاضة (أو انتفاضات الفقراء) . وأخيرا يأتى الاغتيال السياسى كآخر أعمال لها وزن سياسى من أعمال العنف السياسى فى المجتمع .

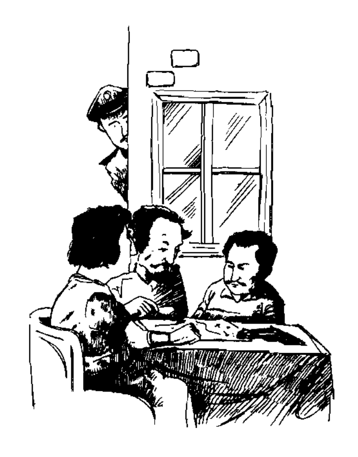




الفصل السابع



كيفية التنبوء المسبق
بالاغتيال السياسى فى مصر



منذ أن تأسست المجتمعات الأولى فى مصر منذ عصور ما قبل التاريخ وهناك علاقة وثيقة لا تنفصم بين الحكام وبين المواطنين . . فإذا كان الإنسان البدائى يحاول أن يدخل أو ينضم لجماعة إنسانية تحميه وتنظم حياته وترعاه وتوفر له الأمن والبقاء بقدر إمكانياتها البشرية والمادية والثقافية ، فهو يدفع ضريبة دخوله لهذه الجماعة عن طريق عمله فى خدمة هذه الجماعة وخدمة نظامها وأسسها الفكرية والعقائدية . فهو كفرد يشعر بضآلة حجمه وقوته ونفوذه ومستقبله ، ولهذا فهناك أسباب كثيرة وقوية نشطة تدفعه للانضمام لهذه الجماعة . وتنشأ الدولة نتيجة انضمام هذه الجماعات لبعضها البعض وتوحدهم واندماجهم معا مما يشكل مجتمعا كبيرا يوفر لجماعاته وبالتالى لأفراده مزيدا من الترابط والانسجام والقوة .

وتقوم علاقة الفرد مع المجتمع على أساس تبادل الخدمات ، فالمجتمع يطلب من الأفراد أدوارا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تكون محصلتها أنشطة عامة مزدهرة نامية تعود بالخير والفائدة على جميع الأفراد وبالتالى المجتمع فى حد ذاته .

ونلاحظ أن المجتمعات المصرية القديمة كانت تتميز بسمات واضحة المعالم تعتبر نماذج جيدة قابلة للمناظرة مع المجتمعات الحديثة الموجودة الآن . . وتشهد أعمال الأجداد القدماء وحضارتهم وثقافتهم وعقائدهم على مدى ما وصلت إليه أسس الدولة وتنظيماتها فى مختلف المجالات السياسية والمالية والإدارية والدينية . فنحن نستنتج الكثير جدا من أثر خالد كالأهرام . . فإذا أخذنا نستفسر عن كيفية بنائه فسنعرف أن الحكومة فى ذلك الزمن البعيد (ما يقرب من

٤٨٠٠ سنة حتى الآن) كانت منظمة تنظيما قويا يتيح لها أن تدير شئون البلاد فى فترة طويلة تم خلالها وضع فكرة البناء والرمز الذى يرمز له ، وتجهيز المهندسين ومئات الآلاف من العمال الفنيين الذين تعددت أدوراهم تعددا كبيرا . وتآلفت كل هذه الأعمال ـ فى ذات الوقت ـ فى بوتقة واحدة كان يقوم بتنظيمها فى أعلى السلم التنظيمى عدة رجال حظوا بعبقرية إدارية قوية أتاحت لهم السيطرة المنظمة الدائمة على تنفيذ المشروع ورعاية العمال والمشيدين فى المسكن والمأوى والماء والطعام والنقل على حد سواء . ولا يمكن أن يقام عمل عظيم كهذا العمل ما لم تكن هناك درجة عالية من الترابط والوضوح بين الحكام والمواطنين عبر جسور دينية وثقافية وعقلية واضحة كل الوضوح .

وإذا انتقلنا الى نهاية عصر الاضمحلال الثانى الذى يمثل فترة ركود حضارى وعلمى واجتماعى فى مصر بسبب احتلال البلاد من قوم غرباء هم الهكسوس فسنجد أن ملكا قويا يسمى كامس حظى بشعبية حقيقية واستطاع أن ينظم البلاد وأعاد الترابط والثقة بين الأفراد وأوعز إليهم بكلمات حماسية أعادت لهم ذكرى مجد الآباء الذين سبقوهم بمئات السنين، فنظم إدارة مخلصة استطاعت تأسيس جيش قوى فأوقع بالهكسوس أول الهزائم المدمرة التى كانت بداية نهايتهم إلى الأبد . . ولما ظهرت بوادر الانتصار أكمل المسيرة الملك أحمس الذى استطاع بجيش مصرى خالص يقف وراءه كل مصرى تربى على أرض مصر أن يدحر الهكسوس ويتعقبهم حتى دولتهم الأولى فى آسيا الوسطى وينهى بذلك عصراً مظلماً كان يحاول أن يطفىء نور حضارة مصرية لم يكن لها من نظير فى ذلك الزمان البعيد . ولكى تنهض مصر وتتأسس الدولة الحديثة التى شهدت أبهى عصور الرفاهية التى عاشت فى ظلالها مصر عدة مئات من السنين سواء بالنسبة للحكام أو المحكومين على حد سواء .

وننتقل إلى فترة أخرى من تاريخ مصر الحافل الثرى والذى لا ينضب معينه فى أى وقت ، لنرى كيف نظم محمد كريم صفوف المصريين إبان حملة نابليون الفرنسية على مصر منذ ما يقرب من مائتى عام وكيف ضرب بنفسه أروع أمثلة الزعامة والفداء والقدوة الحسنة لكل المصريين منذ مقدم الغزو الأجنبى على مصر ، وقد دفع حياته ثمنا لهذه البطولة . ولكن حياته لم تنته بعد موته حيث

اشتعلت مصر كلها لترفض الغزو يوما وراء يوم حتى لم يستطع الفرنسيون البقاء فى مصر فرحلوا غير نادمين على تركهم لمصر وشعبها وحكامها .

وفى زعامة سعد زغلول لمصر كذلك العديد من العظات السياسية والتى نستطيع من ملاحظاتنا لها أن نعرف الكثير من العلاقة بين الحكام والمحكومين . . . فهو زعيم ديمقراطى وطنى حظى بتأييد الشعب فخرج وراءه كل مصرى أبى لرفض الاحتلال والتعبير عن السخط والكبرياء الوطنى وروح التحرر التى لا مثيل لها ولعلنا فى هذه الأمثلة نعرف العلاقة بين سلطة إدارة شئون البلاد (الحكام) ـ وبين المواطنين . . فهى علاقة وطيدة قوية سريعة التأثر ، فكل طرف يخلص للآخر ويستجيب له ويتفهم موقفه ويبذل قصارى جهده فى سبيل تحقيق الأهداف المشتركة فكل ما يهم الحاكم يهم المحكومين . وكل ما يهم المحكومين يهم الحاكم ، ولهذا السبب تقوم العلاقة الوطيدة الأركان . . . فهى علاقة كالاتفاق أو التعاقد المحكم الأركان كل طرف فيه يعرف حدوده وواجباته ومطالبه ، وكل طرف يخلص كل الاخلاص ويبذل كل الجهد فى سبيل استمرار نجاح الاتفاق وسريان العقد .

وفى الحقيقة فإن معادلة العقد الاجتماعى فى غاية التعقيد والديناميكية ، فهى ليست ثابتة بل متغيرة فى كل الأوقات ، بل هى تتغير كل يوم ، فالمواطن الفرد قد يشعر اليوم أن حكومة بلاده حكومة مخلصة كل الإخلاص ، فهى تتيح له حريات متعددة مثل ممارسة الحقوق السياسية ـ إذا أراد ـ وحرية التملك والتنقل والسفر وحرية الاتجار والاستثمار . . وقد يشعر ذات المواطن الفرد غدا أن حكومة بلاده غير مخلصة حينما يشعر أنه هو شخصيا لم يجدالخدمة التى كان يتوقعها فى إحدى المستشفيات التى ذهب إليها لطلب علاج ما ليجد طبيباً مهملاً أو ممرضة لا تعيره اهتماما . . وربما تتعدد الأمثلة الفردية إلى مجالات أخرى مختلفة .

إن هذه العلاقة بين الفرد والدولة علاقة متغيرة . . وفقا لمدى احساس الفرد بالرضا عن المؤسسات الحكومية التى يتعامل معها كل يوم ، وما ينطبق على الفرد يمكن ـ مع اختلاف التأثير والتأثر ـ أن ينطبق على الأحزاب والنقابات أو الجمعيات المهنية . . فكل حزب سياسى قد يشعر أن الحكومة متباعدة عنه أو متفقة معه بمقدار تباعدها أو اتفاقها مع برنامجه الذى يؤمن به . . وهو بأعضائه وبحجم شعبيته الحقيقية يحاول أن يشعر الرأى العام (وخاصة الجانب المؤيد له) أن حكومة

بلاده ليست حريصة على تحقيق الرخاء فى البلاد ويحاول أن يثبت ذلك بكل وسائله المتاحة . وهذه الوسائل يجب أن تكون شرعية . . وإلا أصبح وجود الحزب ذاته غير شرعى ، لأن الاتفاق على الشرعية هو الذى أقام هذا الحزب أو غيره من الأحزاب ، ومع ذلك فمعادلة التعاقد الاجتماعى كانت تستقر كثيرا فى الماضى وحتى الآن عند حدوث التهديدات الخارجية المسلحة ، أو عند إعلان حالة الحرب أو فى حالات الكوارث الطبيعية . لأن الأمر هنا يتعلق ببقاء أو عدم بقاء الوطن بكل أركانه الدينية والسياسية والاقتصادية والحضارية .

وان كان من الملاحظ فى الوقت الحاضر أن معادلة التعاقد الاجتماعى تعتمد على استقرارها فى التوازن الاقتصادى أو التهديد الاقتصادى الذى أصبح يعتمد على التنافس فى الإنتاج والتكنولوجيا . . فلقد تكونت بيئات اجتماعية فى غاية التماسك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لمجرد إحساس الكثير من الشعوب والحكومات فى مناطق كثيرة من العالم من أن تفوقهم الاقتصادى على الشعوب الأخرى هو أروع مثل وأصدق تعبير عن القوة من الإعداد للمعارك الحربية أو الاستعداد لها .

كانت هذه هى النظرية العامة التى تعين الباحث فى العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسى بصفة خاصة فى التنبؤ بوقوع أحداث عنف فى المجتمع بما فيها الاغتيالات السياسية .

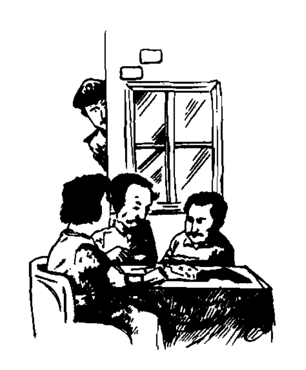
ومع ذلك فالمواطن العادى لا يمكنه الإحساس بوقت الأمان أو وقت الخطر إلا إذا استطاع تفهم ودراسة مايلى :

١ ـ الأوضاع الاجتماعية فى المجتمع .
٢ ـ القوى السياسية الشرعية الممثلة للشعب ومدى اتفاقها أو اختلافها مع الدولة ، ومدى صدقها واحترامها للقوانين .
٣ ـ تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اليومية .
٤ ـ معرفة الأعداء الخارجيين الذين يهددون أمن وسلامة الدولة أو مؤسساتها أو أفراد شعبها .
٥ ـ الإحساس دائما بوجود شواذ يفكرون بطريقة غير سوية ، ويكون هدفهم زعزعة الأمن والاستقرار فى المجتمع . ففى كل مجتمع إنسانى يوجد أفراد غير

أسوياء ، وهؤلاء لا يهمهم كثيرا أن يتقدم مجتمعهم أو يتخلف ، بل إن ما يهمهم حقيقة هو أن يفعلوا الجرائم الأخلاقية أو الجنائية أو السياسية .

إن التعمق فى معرفة هذه الأمور يمكن أن يساعد المواطن العادى فى معرفة أحداث بلاده ويعطيه قدرة نسبية على التنبؤ بمجريات الأمور ، وبذلك يتمكن من عدم الانسياق وراء المتطرفين .

***



الفصل الثامن



عقيدة القائم أو القائمين
بالاغتيال السياسى فى مصر



سنتناول فى هذا الفصل فكر القائم بعملية الاغتيال السياسى من كافة جوانبه النفسية والاجتماعية والسياسية والدينية على حد سواء فلولا تجمع هذه الجوانب معا ما تمكن فرد من الأفراد بالاعداد لمخطط اغتيال شخصية سياسية وتنفيذه سواء حقق النجاح فى جريمته البشعة أو لم يحققه .

وفيما يلى شرح شامل لأهم الجوانب التى تدخل فى تشكيل عقلية القائم بالاغتيال السياسى فى مصر :

اختلاف الجماعات .. واختلاف العقائد :

لكل جماعة من الجماعات التى قامت بالاغتيال السياسى فى مصر فى القرن العشرين أفكار وأيديولوجية مختلفة كلياً أو جزئيا عن الجماعات الأخرى وربما يعود هذا للأسباب الآتية :

١ ـ أن تطور المجتمع وتغير ظروفه السياسية يعتبر عنصرا حاسما فى هذا الصدد ، فوجود الاحتلال البريطانى الأجنبى ووجود حكم ملكى فاسد بكل المعانى يساعد على تشكيل جماعات اغتيال سياسى لها طابع وأفكار وبناء مختلف عن الجماعات التى ظهرت فيما بعد .

٢ ـ أن تكرار التصدى الرسمى من قبل الدولة للجماعات التى كانت قائمة جعل الجماعات الحديثة مغايرة نسبيا عما سبقها من جماعات .

٣ ـ تطور طموح الجماعات نفسها وتغير حجمها ووجود قوى خارجية لمساندتها أعطى أفكارا جديدة لهذه الجماعات .

الظروف الاجتماعية التى نشأ فيها عضو الجماعة :

بعيدا عن أى أفكار يرددها أعضاء الجماعات التى يتم القبض عليهم من قبل أجهزة الأمن المصرية فى العصر الحديث . . وبعيدا عما يقولونه فى اعترافاتهم حول أسباب إيمانهم بالأفكار التى جعلتهم يحاولون تنفيذ الاغتيالات السياسية ، فإنه يجب معرفة أن الظروف الاجتماعية التى عاشها عضو الجماعة قبل أن يصبح عضوا نشطا لها دورها الحاسم فى تشكيل وتكوين الاستعداد لكى يستطيع أن يحمل سلاحا ويهاجم به حاكما أو مسئولا سياسيا يرمز لحكومة البلاد . وعلى ذلك فإن الأسرة تلعب دورا كبيرا مؤثرا فى تشكيل مدى ارتباط أفرادها ببلدهم ومدى احترامهم لقوانينها وسلطاتها الرسمية . . إن الأسرة المحطمة بذرة فاسدة فى مجتمع مملوء بالاحتمالات المتباينة ، فهى تُخرِجُ عادة أفراداً لا يكنون احتراما لبنية المجتمع ولأنظمته السياسية والاقتصادية والثقافية . إن الطفل السيكوباتى[1] الذى لا يجد آباءه أو عائلته قدوة صالحة تزجره وتمنعه وتوقفه عند حدوده الضرورية وتصبح قدوة له لتوجهه إلى الطريق الصحيح لاحترام الأسرة والمدرسة والمجتمع والمنشآت العامة . . إن هذا الطفل هو عضو مدمر عندما يبلغ سن الرجولة على المجتمع الذى يعيش فيه . والغريب حقا اننا كثيرا ما نشاهد الكثير من الآباء الذين يشجعون أبنائهم على التعبير عن رغباتهم وغرائزهم العدوانية علنا دون أية محاولة منهم ليوضحوا لهم أن سلوكهم هذا سيؤدى بهم يومامن الأيام إلى طريق الجريمة والانحراف والتخريب .

كذلك فان البيئة الاجتماعية والثقافية التى ينشأ فيهاالفرد تساعد بوضوح كبير على **تشكيل عقلية الفرد الذى يصبح مهيئاً للقيام بالاغتيالات السياسية ، فقد يكون هذا الفرد قد نشأ فى بيئة فقيرة متخلفة فى كافة نواحى الحياة . وهو يرى أن سبب فقر عائلته هو الظلم الاجتماعى حيث يزداد الأغنياء غنى وثراء ويزداد الفقراء بؤسا وشقاء . . وقد يكون الدافع من البيئة أيضا حيث يكون القتل أو الأعمال الاجرامية التى تظهر فيها الجرأة والاثارة ضربا من ضروب القوة والشجاعة . كما هو الحال فى صعيد مصر ،**

(١) يشير مصطلح السيكوباتية Psy chopathy إلى السلوك المضاد للمجتمع بكافة نظمه أو بعضها . . وعلى ذلك فجميع محترفى الإجرام والمدمنين واللصوص والمرتشين ومن لا يكنون احتراما للقانون العام هم سيكوباتيين . . والمصطلح يدخل أساسا فى الدراسات السيكولوجية بصفة عامة وعلم النفس الاجتماعى والجنائى بصفة خاصة .

وبعض الضواحى الشعبية للمدن الكبرى . . ومع ذلك فقلة من الفقـراء عدوانيـون . . بل إن العدوانيين يستخدمون الظروف الاقتصادية لدعم أفكارهم الشريرة .

مدى طموحات عضو الجماعة السابقة وآماله :

قبل أن ينضم فرد من الأفراد ليصبح عضوا عاملا نشطا فى جماعة اغتيالات سياسية فيجب معرفة أن آماله وطموحاته الشخصية لم تتحقق بالصورة التى كان يأملها وإلا لما انضم إلى هذه الجماعة . . فقد كانت له آمال ومطالب ورغبات وطموحات قد يكون الكثير منها شرعيا بكل صورة من الصور ولكنه لم يستطع بمفرده أن يحققها ، وبالتالى يبدأ سخطه على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمسئولين عنها كافة . . وقد يكون ـ تجاوزاً ـ محقا فى إحساسه بأن المجتمع به بعض من الأخطاء وأن أمور البلاد الكبرى تنعكس على حياته الشخصية . . ولكن بمجرد أن ينضم إلى جماعة من الجماعات حتى يشعر أن بامكانه العمل معها على تحقيق بعض طموحاته ، فإن لم يستطع هذه المرة ـ أى بعد انضمامه لتلك الجماعة ـ فهو مع هذه الجماعة التى تحاول إسقاط فشلها على المجتمع ككل وبالتالى **تلجأ** الى (تحطيمه) أو (قتله) **باغتياله لحكامه** الذين يعتبرون من وجهة نظرهم مسئولون عن كل كبيرة وصغيرة فى المجتمع . ولكن بدلا من أن يقوم هذا العضو بدوره الوطنى الأول وهو المساعدة برأيه فى أى مجال من المجالات عن طريق جهوده الخاصة أو النقابة الرسمية التى يمكن أن ينضم إليها أو الحزب السياسى الذى يمثله ، نراه يلجأ إلى أشد أنواع السلوك عنفا وتخلفا وفجاجة ، ويحمل السلاح ليقتل حكامه وهم من بنى وطنه وليسوا من الاستعمار . . هكذا بدون أى إحساس بأن ما يفعله يعتبر بكل المقاييس الدينية والسياسية والأخلاقية عملا من أعمال الانحطاط الفكرى فى أوضح صوره .

مدى قدرة الجماعة على تحقيق طموحات عضوها :

أى جماعة[٢] بشرية متماسكة تعطى لأعضائها المميزات الآتية :

---

(٢) الحديث عن الجماعات هنا لا يخص الجماعات التى تقوم بالاغتيال أو بأعمال العنف . . ولكن الحديث هنا يعبر عن الجماعات الإنسانية بصفةعامة ، سواء أكانت جماعات دراسية أو مهنية أو نقابية أو حزبية أو ثقافية أو دينية مسالمة . . . الخ .

١ ـ أن الدخول فى جماعة ما يزيل قلق الفرد ويخفف من حدته . لأن هناك دوافع نفسية قوية تحث الفرد دائما على أن يعيش فى وسط جماعة من الجماعات أو أكثر بطبيعة الحال .

٢ ـ أن الجماعات من الناحية النفسية تساعد على النمو الانفعالى والعاطفى والوجدانى للفرد .

٣ ـ توفير الأمن والرعاية والحماية والتعاطف والمؤازرة .

٤ ـ توحد المثل العليا والأهداف المشتركة مما يعطى إحساسا بأن أفكار الفرد الواحد داخل الجماعة لها نظيرها عند غيره من أفراد الجماعة .

٥ ـ الإحساس بعدم التفرد أو الانعزال عند الشدائد .

لقد كانت علاقة الفرد بالجماعة موضع اهتمام المفكرين منذ القدم [٣]، وقد اعتبر بعض كبار الفلاسفة القدامى الفرد خاضعا للدولة (المجتمع)[٤] فالدولة المثلى فى نظر أفلاطون ـ وقد تصورها على نمط النفس الإنسانية ـ باتت الشرط الأساسى لنمو الفرد وبلوغه الكمال . وقد سلم أرسطو ـ بتأثير أفلاطون ـ بوجود ميل فطرى فى الإنسان يدفع به إلى التجمع . يقول : (أما أن الإنسان حيوان مدنى ـ اجتماعى ـ أكثر من النمل أو أى من الحيوانات الاجتماعية الأخرى فهو أمر واضح وجلى) . ويستنتج من هذا أنه مادامت الغريزة الاجتماعية جزءاً لا ينفصل من جبلة الإنسان الحيوية ، فإن تحقيق الفرد لأقصى إمكانياته لا يكون إلا عن طريق الحياة الجماعية .

وفاق المفكرون المحدثون القدامى منهم فى تعمقهم فى أصول التجمع لدى الإنسان ، غير أنهم لم يتفقوا فيما بينهم إلا فى القليل . اعتبر (تروتر) وهو من أوائل علماء الاجتماع (غريزة التجمهر) ضمن الدوافع الأربعة الرئيسية المهيمنة على حياة الإنسان ، فوجد أن (الطابع النفسى الجماعى يتجلى واضحا فى مسلك

(٣) التحليل النفسى والسلوك الجماعى ـ تأليف سول شيدلنجر ـ ترجمة الدكتور سامى محمود ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ ١٩٧٠ .

(٤) لم تميز جمهرة الفلاسفة حتى القرن الثامن عشر بين المجتمع والدولة (انظر : التحليل النفسى والسلوك الجماعى ـ المرجع السابق) .

الإنسان سواء أكان فى الجموع وفى غيرها من أحوال التجمع الفعلى ، أم فى مسلكه كفرد مهما بلغت عزلته . ويدخل (ماك دوجال) غريزة التجمع فى ثبت الغرائز التى أقرها معظم علماء النفس فى مستهل هذا القرن . . وهو يرى أن العقل الانسانى مزود ببعض هذه (الميول الفطرية أو المتوارثة) التى تسير السلوك ، والتى يصدر عنها الطابع الفردى والقومى . ويعتبر (سلافسون) الميل الجمعى دافعا إنسانيا أساسيا . يقول (لقد عرف هذا الميل منذ القدم بأسماء متباينة ، مثل غريزة التجمع ، أو التجمهر . إنه القوة التى تدفعْ الناس والحيوان وما دونهما من صور الحياة إلى التجمع بصفة دائمة أو فى مناسبات معينة كالنسل أو الدفاع عن النفس . وهو الأساس الذى يقوم عليه كل مجتمع إنسانى ، بل المجتمع برمته)[٥] .

مدى حركة الجماعة وأيديولوجيتها :

جماعات الاغتيال السياسى دائما جماعات غير شرعية . . فهى ضد النظام الاجتماعى والسياسى للبلاد . . وهى لذلك تعتبر خارجة عن كل القوانين والنظم . وهذا فى حد ذاته يحد إلى حد كبير من حجمها ومدى انتشارها . وإذا زاد عدد أفراد الجماعة عن العدد الكافى زاد بالتالى احتمال تعثر خطاها وفقدها لذاتها وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ أن كبر عدد الجماعة يعرضها لاكتشاف أمرها .

٢ ـ أن ازدياد العدد يزيد معه بالتالى الفرصة على وجود المرتدين عن أفكارها وبالتالى احتمال تفككها .

٣ ـ أن ازدياد عدد الأفراد يحتاج الى احتياجات مالية متزايدة لتنفذ خططها المتطرفة .

٤ ـ ان ازدياد عدد أفراد الجماعة يحتاج إلى قيادة كبيرة وهذا قد لا يتوافر .

٥ ـ أن إدارة عدد كبير من الأفراد فى الخفاء مهمة عسيرة .

---

(٥) التحليل النفسى والسلوك الجماعى ـ تأليف سول شيدلنجر ـ ترجمة الدكتور سامى محمود على (المرجع السابق) .

كل هذه الأسباب تقيد إلى حد كبير اتساع مساحة القاعدة لجماعات الاغتيال السياسى .. ولهذا فإن عدد أعضائها دائما يكون محدودا . ولذلك فإن صغر الحجم هذا يعتبر مأزقا حتميا لابد أن تمر به الجماعة إن آجلا أو عاجلا . وذلك لأنه يعبر عن مدى ضعفها السياسى وهو عنصر حاسم فى أهميته لانتشار أفكار أى جماعة من الجماعات .

وعلى ذلك فيمكن القول : إن حجم جماعات الاغتيال السياسى هو حجم محدود وبالتالى فإن أيديولوجيتها ضعيفة سياسيا وبالتالى ضعيفة شعبيا(٦) .

القوة البنائية لجماعة الاغتيال السياسى :

يقصد بالقوة البنائية العوامل التى تجعل تكوين الجماعة ممكنا ، كذلك يقصد به العوامل التى تحافظ على هذا التكوين ثابتا . وتستمد الجماعة قوتها من العوامل الآتية :

١ ـ قوة الأفكار العقائدية التى تؤمن بها الجماعة .
٢ ـ اقتناع كل أفراد الجماعة بهذه العقيدة .
٣ ـ وجود الإحساس الدائم بدور الجماعة فى المجتمع حيث يشكل الأمل الكاذب ذلك الإحساس . . . ويظهر الانفصال الكامل بين هذا (الأمل) وما يحدث فى الواقع فى كثير من الاغتيالات السياسية التى حدثت فى القرن العشرين فى مصر . . ولعل أبرزها حادث اغتيال الرئيس أنور السادات فبعد أن نجحت جماعة الجهاد الإسلامية المتطرفة فى عملية الاغتيال واندلعت أعمال العنف فى مدينة أسيوط جنوب القاهرة اعتقد منفذو كل هذه الأعمال أن مجرد قيامهم بهذه الأعمال وعلى هذا النطاق ، سيجعل كافة المصريين يسيرون خلفهم . وهم بذلك وقعوا فى خطأ تاريخى وسياسى على حد سواء . . فقد اعتقدوا أنهم قادة لثورة شعبية وبذلك فهم يشكلون طليعة هذه الثورة . . كما اعتقدوا أن المصريين ينتظرون الشرارة التى يسيرون فى ضوئها بعد إطلاقها . . إن هذا الانفصال بين هذه الجماعات وبين الرأى العام سيظل قائما طالما ظلت هذه

---

(٦) سيتم التعرض لمدى شعبية الجماعات أو مدى إحساسها الذاتى بشعبيتها وانعكاس ذلك على نوعية أعمالها وذلك فى مكان آخر من هذا الفصل .

الجماعات غير شرعية تعمل فى الظلام وترتكب جرائم يرفضها كل المصريين .

٤ ـ وجود القيادة المسيطرة .

٥ ـ وجود أخطار خارجية دائمة . . ويمكن فهم ذلك على أقل تقدير من كون هذه الجماعات غير شرعية . . وبالإضافة لذلك فإن عدم الشرعية هذا يضيف أعباءً سيكلوجية شديدة ومستمرة على كل عضو من أعضاء الجماعة .

٦ ـ عندما ينضم عضو جديد لجماعة ذات بنيان داخلى وعقائدى مقنع له فإنه على الفور يتوحد بهذا البنيان مما يزيد من قوته ، التى يكتشف فيما بعد أنها كانت وهماً كاذباً .

المحيط السياسى العام ومدى تأثيره على الجماعة :

يمكن القول بأن الجو السياسى العام قد يشكل عنصرا هاما فى تشكيل جماعة الاغتيال السياسى . . بل يمكن القول أكثر من ذلك أنه يساعد على توجيه بعض أعمالها العدوانية ، ففى أى دولة بها نظام تعدد الأحزاب يقف كل حزب خلف برنامجه الذى قام وتأسس لتحقيقه . ودائما ما يفوز الحزب الأكثر قوة ونفوذا . وهذا يعنى وجود حزب أو أكثر فى صف المعارضة . وموقف المعارضة يأتى من اختلاف الفكر واختلاف البرامج الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية . ويأخذ كل حزب معارض من الوقوف من الحزب الذى يحكم على مسافة تساوى مقدار الاختلاف بين برنامجه وبين برنامج الحزب الحاكم . . وكلما اتسعت أوجه النقد والاعتراض والرفض ، ارتفعت الأصوات منددة بسياسات الحكومة التى تحكم وتأخذ الأقلام فى كتابة مقالات لا حصر لها لإظهار أخطاء الحكومة . . وإذا لم يكن هناك نضج سياسى كاف لدى رجال الأحزاب المعارضة فإن حملتهم المعارضة تتصاعد وتتصاعد بهدف التأثير على الرأى العام . وهم لا يكتفون بذلك فقط بل إنهم يسعون ـ بسبب قلة النضج السياسى لديهم ـ لتشويه صورة رجال الحكم وسياساتهم وأعمالهم وربما حياتهم الخاصة . . وإذا استمر هذا الوضع فإن جماعة الاغتيال تجد أن هذه الأحزاب المعارضة (وهى أحزاب شرعية) تزداد بعدا عن سياسات رجال الحكومة التى تحكم . ومع مراقبتها للمعركة السياسية الشرعية الدائرة بين أحزاب المعارضة (أو قوى الضغط) وبين الحزب الذى يحكم فإنها ـ

أى جماعة الاغتيال ـ تدرك أن أحزاب المعارضة وصلت إلى نهاية ما يسمح به العمل الشرعى ، وأن نشاطها لا يمكن أن يزداد أكثر من ذلك ، أو أن ينحى منحى غير شرعى ، وعند ذلك تشعر جماعة الاغتيال ان الخلاف بين الاحزاب وبعضها يعنى أن دورها قد حان . . فأحزاب المعارضة تقوم بالرفض الشرعى الذى له حدود دستورية واخلاقية . . وجماعة الاغتيال تعتقد أن الرفض يجب أن يستمر إلى درجة القتل . . وهو (أى القتل) عمل غير دستورى وغير أخلاقى كما هو واضح من هذا التحليل . ويجب التصدى له من قبل كل أجهزة الدولة ، وكذلك من كل الأحزاب والنقابات والمواطنين الذين يرفضون العنف والتطرف وذلك بهدف حماية المجتمع من الفوضى ، وترسيخ احترام القانون والنظام والشرعية .

***



الفصل التاسع



هل مصر مجتمع يشجع الاغتيال السياسى ؟



هل مصر مجتمع يشجع على حدوث الاغتيال السياسى :

يمكن الإجابة على هذا السؤال الهام بعدة إجابات وليست اجابة واحدة . وفى الحقيقة فإن الإجابات المتعددة تؤكد النظرية العامة لهذا الكتاب وهى الأخذ بالاتجاه المتعدد الأوجه حتى لا نترك من (الظاهرة) جانبا إلا وقد أخذ حقه من الدراسة والتحليل والبحث وقد يبدو أن السؤال يخص المستقبل ولهذا فإن الاجابة عليه تكون تخمينية . . ومع ذلك فإن الصحيح دائما فى علوم الإنسان التى تدرس الظواهر الاجتماعية والسياسية ان تعتمد دائما على عنصرى الماضى والحاضر فهما دائما ماضى وحاضر الإنسان . . ولا يستطيع منصف أن يدعى أن الإنسان لا يتأثر تأثرا واضحا بماضيه وحاضره . إن الفلاح فى كل بقاع الأرض يزرع بذرة شجرة الرمان - على سبيل المثال - ويأخذ فى رعاية البذرة وحمايتها على الدوام بالرى والسماد والتدفئة والتهوية حتى تصبح شجرة على مر السنين تمتلىء بالثمار التى تحمل حب الرمان . وإذا كان هذا هو حال ثمرة تنتمى لمملكة النبات وهى مملكة تعتبر بدائية بكل المقاييس الفسيولوجية والكيميائية والايكولوجية عن مملكة الإنسان الأكثر رقيا ونموا وتفتحا .

إذن يمكن تقسيم البحث إلى قسمين . . القسم الأول هو تناول العوامل والظروف التى تنفى وجود بذور للاغتيال ، وكذلك العوامل والظروف التى تثبت وجود بذور للاغتيال السياسى فى مصر . ويمكن وضع القسم الثانى كمايلى : متى يتحول المجتمع المصرى من مجتمع مسالم إلى مجتمع يفرز متطرفين قتلة .

القسم الأول

أولاً : العوامل والظروف التى تنفى وجود بذور للاغتيال السياسى :

هناك عوامل كثيرة تنفى وجود دوافع قوية للقيام باغتيال شخصية سياسية فى مصر فى الوقت الحالى ـ مع ملاحظة أن الاستعانة بالظروف التاريخية أمر ضرورى ، فالمصريون يتصفون بحبهم للسلام ، وعدم الاعتداء ، وتحقيق الحب والعدل ، كما يتصفون باحترام السلطة . وهم شعب من أكثر الشعوب تدينا وتقوى . . كذلك فهم يرضون بالقليل من الرزق عندما يأتى من العمل الطيب ويذمون السرقة والاغتصاب . ويؤمن المصريون إيماناً قوياً أن كل حاكم طيب ، وكل مسئول يجب أن يطاع لأن الدين وتراكمات التاريخ علمتهم ذلك . وفيمايلى عرض لهذه السمات :ـ

١ ـ المصريون وحب السلام : على نطاق واسع بين المصريين كافة فإن حب السلام ظاهرة ملحوظة فى كل وقت . . والمصرى عندما يسير فى شارع ما فإنه يلقى السلام على من يعرفه من أقارب أو أصدقاء أو جيران . . وهو عندما يذهب ليشترى احتياجاته فإنه يلقى السلام على البائع ومن يقف معه من عمال أو زبائن . وهو عندما يدخل المسجد يلقى السلام على الجالسين . والمصرى لا يسمح ولا يقبل أن يتقاتل اثنان أو أكثر فى مكان عام أو خاص إلا إذا تدخل هو وغيره لكى ينهى النزاع . ويمكن أن يدرك الدارس للظواهر الاجتماعية فى مصر العديد من المؤشرات على ذلك كله فى الأدب والفن الغنائى وغير الغنائى الشعبى خاصة ومن الأمثال والحكم الشعبية الواسعة الانتشار فى القرى والمدن على حد سواء . ويقف وراء حب المصريين الراسخ للسلام آيات عديدة فى القرآن الكريم والسنة النبوية التى وضعها الرسول ﷺ . وكذلك التراث الخالد للخلفاء الراشدين ، وقد وجد كل ذلك بيئة صالحة فى مصر ، فحافظت على هذه القيم السامية وأنمتها ورعتها وآمن بها كل مصرى مسلم والمصريون يحبون التواد والزيارات الطويلة التى تظهر مدى نوايا الحب والوفاء والإخلاص للآخرين . وكلما انتشرت هذه الأحاسيس زاد التفاعل وقويت العلاقات فيما بينهم . والمصرى لا يحب أن يعتدى على أحد ولذلك نرى أن مناصب العمد والشياخات فى القرى كانت

تلعب دورا حاسما فى فض النزاعات فلا يصل إلا القليل منها إلى المحاكم الرسمية ، وذلك للقدر الكبير من الاحترام ، والثقة التى يضيفها المصريون على هذه المناصب . وإذا كان المصرى يبجل ويحترم كل رجال الدين ولا يثور عليهم ولا يقذفهم بسوء فإن القارىء يستطيع أن يقدر بنفسه مدى ما يكنه المصرى للزعيم السياسى للبلاد .

ويكاد يرى كل مطلع على آراء وتعليقات المحللين الاجتماعيين فى دول العالم المختلفة انهم يصنفون دائما الشعب المصرى على أنه شعب مسالم يحب السلام لنفسه وللآخرين . . فلم يشترك مصرى واحد فى أى حدث إرهابى دولى ، ولم يحدث أن قام مصريون بخطف رهائن أو تفجير طائرة أو قتل نساء أجانب سواء فى مصر أو خارجها . . إننا نرى مئات الآلاف من الزوار الأجانب يزورون مناطق شعبية عديدة فى أغلب مدن مصر ويسيرون بين المصريين البسطاء بدون خوف أو وجل ، وهم يعلمون أن رحلاتهم هذه لن يحدث فيها شىء يعكر صفوها . . مثلما يحدث لهم أو لغيرهم فى دول أخرى من العالم . . إن المطلع على المراجع السياحية التى تنشر فى دول أوروبية أو الصادرة فى الولايات المتحدة الأمريكية يجد تحذيرا للسائح من دخول بعض الدول أو من زيارته لبعض المدن . . ولكنه لن يجد أبداً أى تحذير بأى مستوى للراغبين فى زيارة أى مكان فى مصر .

٢ ـ التوحد الثقافى : يعيش المصريون حياتهم الاجتماعية فى شكل ثقافى مشترك متوحد ، فلغتهم واحدة ودينهم ـ تقريبا ـ واحد وتاريخهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم كلها واحدة . ولهذا فلا يوجد تعدد قومى أو عنصرى أو طائفى فيما بينهم . كذلك فان الطبيعة الجغرافية الزراعية قد تركت الكثير من الآثار على الأخلاق القومية . وكل أشكال العنف الموجودة بين المصريين تعود لخلافات عائلية لم ترتق منذ القدم إلى عنف سياسى منظم مستمر .

٣ ـ القناعة : يقنع المصرى بصفة عامة ـ وخاصة على المستوى الشعبى ـ بالرزق الموجود ، وهو لا يتطلع للثراء ، فطالما أشبعت حاجاته الأساسية هو وأسرته فلا حاجة للمزيد . وربما يكون ذلك دافعا قويا للرضا السياسى أيضا . وفى الحقيقة فإن الإنسان يجدآلاف الأدلة لإثبات ذلك . . فكل المشاكل الإدارية

الموجودة فى دواوين الحكومة والمحليات لا تؤثر على ابتسامة وقناعة المصرى . وفى داخل حافلات النقل العام المكتظة بالركاب لا يرى المرء أن المصرى ساخط على ذلك ، بل هو كثيرا ما يبتسم ويضحك ويلقى النكات . . وهو ربما يضيق أحيانا بصفة مؤقتة ، ولكنه بانتهاء الأزمة يعودإلى طبيعته الانبساطية وكأن شيئا لم يحدث . ويقف المصريون أوقاتا طويلة فى طوابير لتلقى مساعدات الحكومة الغذائية أو الكسائية الرخيصة الثمن وعندما يحصلون على هذه السلع بعد الانتظار تتراجع المتاعب وآلام الانتظار لتحل محلها البهجة والسرور . ولا تقف الأمثلة على الغذاء أو الكساء أو الخدمات الأخرى فى المواصلات والعلاج والتعليم ، ولكن يمكن فهم قناعة المصرى حتى فى أصعب ظروف الطوارىء العسكرية إبان الحروب السابقة . . فهو مستعد أن يتحمل الآلام والمشقة فى سبيل زوال هموم الحرب والمعارك . ولعلنا لاحظنا أنه لم يتم اغتيال شخصية مصرية سياسية واحدة بسبب إعلان حالة الطوارىء للدفاع عن الوطن فى القرن العشرين .

٤ ـ الأمية : وهذه المشكلة لها وجهان : الوجه الأول وهو الذى يجعل الشخص الأمى (الأمية التعليمية) لا يكاد يعرف الصحيح من الخطأ من تلقاء نفسه . . وهو لذلك إما أن ينحى المنحى الطبيعى للبشر الأسوياء ويرفض كل أوجه العنف المسلح . . وإما ان يتم التغرير به ليشترك فى أعمال العنف أو يساعد القائمين بها . أما الوجه الآخر للأمية ، فهو الذى لا يمكن الشخص الأمى (الأمية الثقافية) من معرفة الصحيح من الخطأ فى أمور السياسة والاجتماع والتاريخ فيندفع فى ثورة غضب لارتكاب أعمال العنف .

ثانيا : العوامل التى تجعل بعض المصريين يقومون بالاغتيال :

عندما تحدثنا فى الفصل الخاص بأعمال العنف ، وفرقنا بين الثورة الشعبية الشاملة ، وانتفاضات الفقراء والاغتيال السياسى ، فقد اتضح أن الثورة هى عمل عنيف يقوم به الشعب عامة لتغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة . أما مظاهرات الطعام فيقوم بها مجموعة من الأفراد (عشرات أو مئات) بدون أى هدف لتغيير أى أوضاع أساسية فى المجتمع ، وعلى ذلك فإن الاغتيال السياسى يقوم به فرد أو مجموعة صغيرة جدا من الأفراد لقتل شخص ذى مكانة

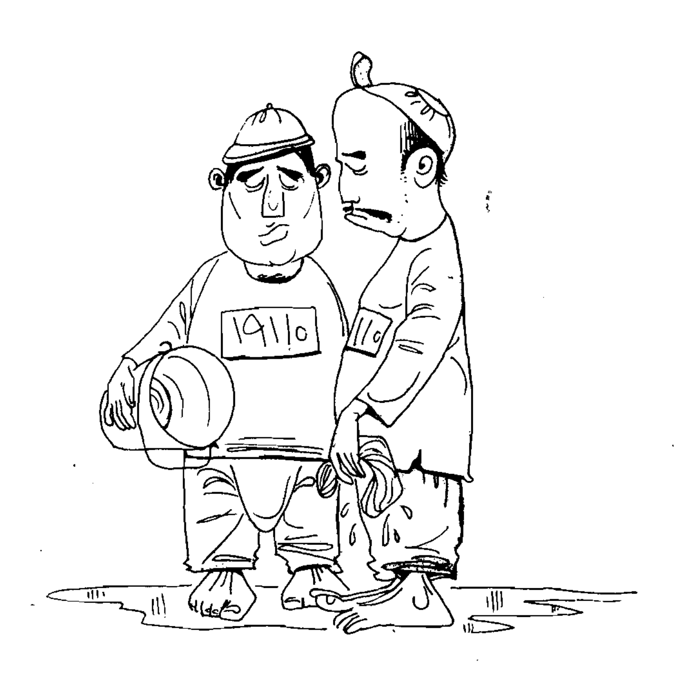
سياسية فى المجتمع .. وهم يمثلون ـ فى مصر ـ تياراً دينياً متطرفاً عادة لا يرى طريقا أو أسلوبا غير القتل ، لاعتقادهم أنهم بالقتل سيستطيعون تنفيذ برنامجهم العقائدى . وفى الحقيقة فإن الاغتيال السياسى يمثل أحد أكبر الطعون الموجهة لهؤلاء . فهم فشلوا فى إقناع الناس بعقيدتهم .. ثم هم لأميتهم العقلية لم يتفهموا حدود تأثيرالاغتيال ونتائجه .. فهم يخسرون دائما ومع ذلك فهم لم يتعلموا من هذه التجارب الدموية .

إن مصر مجتمع مسالم ، يحترم السلطات ، متوحد ثقافيا ، قنوع ، وهذا يجعله مجتمعاً لا يتجه لاغتيال زعمائه .. ومع ذلك فإن هناك أفراداً غير متكيفين مع المجتمع المصرى ويودون له الارتداد عن طريق التنمية القائمة على العلم والتكنولوجيا . إنهم يشكلون جماعات صغيرة هنا وهناك لكى يشعروا بتوحدهم وبدلا من العمل من أجل صالح المجتمع ونموه نراهم يقومون بأفعالهم ضد المصلحة السياسية والاقتصاية والحضارية للمصريين جميعا ، وهم يؤمنون بما لا يؤمن به عامة المصريين جميعا . وهم يسيئون تفسير الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع .. وهم متعصبون سيكوباتيون يتوهمون أن فى إمكانهم صنع المعجزات بأفكارهم التى عفا عليها الزمن .

***



الفصل العاشر



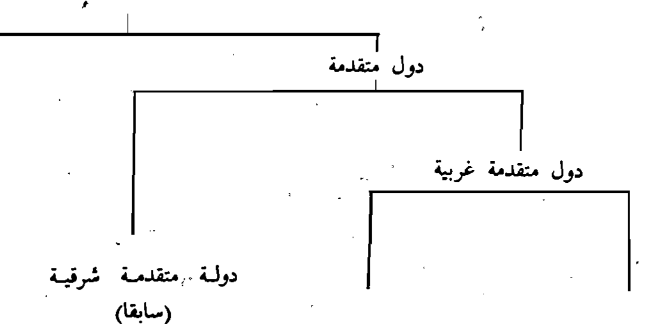
اسباب قيام بعض الأفرد بالاغتيال السياسى ومستقبل جماعات الاغتيال السياسى فى مصر



لا سبيل إلى معرفة وتقييم أسباب الاغتيال السياسى بمصر (أو لماذا يقوم بعض الأفراد بالاغتيال) فى العصر الحديث إلا عن طريق معرفة هذه الأسباب فى العالم أجمع ليتسنى لنا وضع حدود الظاهرة وفهمها فى مصر .

وفى الحقيقة فإن الفصل الأول ـ الاغتيالات السياسية فى العالم ـ قد تعرض بالشرح لبعض الحالات التى حدثت فى العالم وإظهار ملابساتها وانعكاساتها . . ولهذا فلا يبقى الآن غير تلخيص أهم الاختلافات فى أسباب وقوع الاغتيالات فى دول العالم سواء المتقدمة أوالنامية ، ولعل الجدول التالى يفى بهذا الغرض .

جدول مقارن عن أسباب الاغتيال السياسى فى العالم



الولايات المتحدة

يقع الاغتيال السياسى فيها لأسباب فردية شخصية فى اغلب الحالات وعادة ما يكون الشخص واقعا تحت تأثير معتقد شخصى بضرورة التخلص من الرئيس ليثبت لنفسه أو للآخرين نجاح ارادته وقوتها . وهو عادة إما أن يكون محترفا للإجرام أو مختل العقل ولا تقف وراءه جماعة أو منظمة ولا تحدث أعمال عنف واسعة بالتالى بعد حدوث محاولة الاغتيال

أوروبا الغربية

يقع الاغتيال السياسى لأسباب سياسية كرغبة فى تهديد الحكومة أو الاعراب عن السخط بسبب تجاهل مطالب الحركات الانفصالية . كما فى إنجلترا وأسبانيا أو لاثبات فكرة فشل الحكومة للرأى العام فى حل المشاكل الاقتصادية . ولا تقع أحداث عنف واسعة بعد محاولة الإغتيال كما أن القائم بالاغتيال عادة ما تقف خلفه جماعة أو منظمة سرية مسلحة .

دولة متقدمة شرقية (سابقا)

ليست هناك معلومات تفيد بمحاولات للاغتيال سواء أكان ذلك فى الاتحاد السوفييتى أو فى دول أوروبا الشرقية . . وكل ما يشيع عن ذلك ليس رسميا ومن مصادره المحلية ولكنه وارد من أجهزة إعلام أو إذاعات غربية . . ويعود هذا لشدة إجراءات الأمن ولطبيعة النظام السياسى القائم على تطبيق الاشتراكية العلمية .

دول نامية معرضة

لوقوع الاغتيال السياسى كإيران والهند ودول الخليج ودول شمال افريقيا وأمريكا اللاتينية . . وهى دول أكثر تطورا عن القسم الثانى ولكنها لازالت لم تخرج من دائرة الصراعات التى تسبق مرحلة الاستقرار السياسى والاجتماعى والرفاهية الاقتصادية . . ويقوم بالاغتيال عادة منظمات أو جماعات مسلحة ولها أيديولوجية مخالفة إلى حد كبير عن فكر وأيديولوجية نظام الحكم القائم . . كما تحدث أعمال عنف ثم تدخل الحكومة لمحاصرة هذه الجماعة والمنظمة المسلحة للقضاء عليها . وليس لأحداث الاغتيال فى هذه البلاد وزن سياسى ولا يؤدى إلى تغيير البنيان السياسى أو الاجتماعى .

دول نامية ليست معرضة

للاغتيال السياسى بقدر تعرضها للانقلابات العسكرية وهى دول افريقية تقع جنوب الصحراء العظمى وشرقى القارة وذلك لسهولة القيام بالانقلاب لعدم قوة وثبات الحكومة المركزية أو لتدخل بعض الدول الأجنبية أو لعدم جدوى الاغتيال فى حد ذاته . وهى عموما دول أقل تطورا من الدول النامية الأخرى ويغلب على النظام السياسى بها طابع القبلية والعرقية أو المعتقدات العديدة مما يشكل دوافع كثيرة للانقلابات ضد الحكومات القائمة . (ولعلنا نلاحظ ذلك فى دول مثل زائير وأثيوبيا والصومال وتشاد . .)

وبعد أن تم تلخيص أسباب الاغتيالات السياسية فى العالم فإننى أعتقد انه يبقى لنا أن نوجز أسباب الاغتيالات السياسية فى مصر قديما وحتى العصور الوسطى فقد علمنا أن مصادر التاريخ المصرى القديم قد سجلت أول حادثة اغتيال ذات طابع سياسى فى العالم القديم وهى اغتيال (أوزوريس) على يد شقيقه (ست) . . وقد اتضح من دراسة الآثار التى مثلت هذه القصة الدامية أن السبب فى هذا الاغتيال هو حقد دفين من (ست) على شقيقه (أوزيريس) للحصول على مقعد السلطة لحكم مصر بكل خيراتها وحضارتها .

ويتكرر نفس السبب تقريبا فى كل أحداث الاغتيال السياسى فى مصرفى العصور القديمة .

ومع أن التاريخ الفرعونى يمتد لبضعة آلاف من السنين قبل الميلاد إلا أن ظاهرة الاغتيال السياسى لم تكن واضحة فى هذا التاريخ الممتد والحافل بكل أشكال الحكم الملكية والدينية والديموقراطية على حدة سواء ويعود ذلك لأسباب كثيرة سبق أن تم شرحها بالتفصيل فى فصل سابق .

وإذا سرنا بعجلة التاريخ المصرى حتى نصل الى العصور الوسطى والتى تمتد منذ الفتح العربى الإسلامى لمصر عام ٦٤١ ميلادية وحتى وصول سفن الحملة الفرنسية إلى شواطىء غرب الاسكندرية عام ١٧٩٨ ميلادية فقد حدثت عمليات اغتيال سياسى لا تحصى ورد ذكرها فى كتب التاريخ . . بل يمكن القول بأن حوادث الاغتيال يمكن أن نصفها بأنها كانت تشكل حروبا أهلية مستمرة ومدمرة وليست جريمة اغتيال .

فقد قتل الخليفة الأموى مروان بن محمد ممثل الدولة الأموية في مصر كسبب من أسباب الفتنة الكبرى التى وقعت بعد مقتل الخليفة الاسلامى عثمان بن عفان ويبدو بطبيعة الحال أن السبب لم يكن لأن الخليفة الأموى لم يكن يطبق الشريعة الإسلامية كما يجب . . ولكن كان لأسباب قبلية وعرقية مجتمعة .

ويفصل التاريخ بعد ذلك أشكالا لا حصر لها لطرق القتل لا يمكن بأى حال اعتبارها شرعية بأى صورة من الصور . . فكل القتلى مسلمون وكل القتلة كذلك مسلمون ، والرؤوس تقطع وتقدم على الأطباق ، والابن يقاتل ابيه ويحشد له الجيوش لغزو مملكته ، وحراس الملوك يقومون بقتلهم ، والأخت تدبر جريمة قتل

لشقيقها الحاكم ، ويمثل بجثمان أحد المتنافسين على الحكم ، ويصلب تنكيلا به وانتقاما لقتله حكاما سبقوه ، وتقوم الزوجة بقتل زوجها ، وينتقم الابن فيقتل زوجة أبيه .

هذا كان حجم وحدود الظاهرة فى مصر فى العصور الوسطى ، التى خضعت فيها مصر لحكام غير مصريين .

الاسباب الرئيسية والثانوية للاغتيال السياسى فى العصر الحديث

لا يمكن مقارنة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى مصر فى القرن العشرين بالأوضاع التى مرت عليها فى ا لعصور الوسطى المظلمة . . حيث احتلت مصر من قبل عناصر غير مصرية طوال عدة قرون ، وتعرضت خلالها للاستغلال والتخريب والفوضى وعدم الاستقرار . وبالتالى لا يمكن لنا أن نعطى لعمليات الاغتيال السياسى التى حدثت فى مصر فى القرن العشرين اهتماما لا يتناسب مع حجمها ومعناها . . ويدلنا التاريخ أن ما من اغتيال واحد من الاغتيالات السياسية التى حدثت فى العصور ا لوسطى قد أتى بالهدف الذى سعى إليه القتلة .

ولذلك فإن المنطق المجرد يدلنا على أن كل أهداف القتلة الذين قاموا بهذه الاغتيالات فى القرن العشرين لم تتحقق . . فالاغتيال السياسى ليس عملا شعبيا ولكنه عمل فردى ينفذه فرد أو مجموعة من المنحرفين عن قواعد القانون والعرف وروح المجتمع المسالم ، ولهذا فكيف يتسنى لهؤلاء القتلة أن يفكروا ـ أو يؤمنوا ـ بأن لجريمتهم هدفاً ؟ إنهم ـ أى القتلة فى القرن العشرين ـ لم يقرأوا التاريخ لكى يتأكدوا بأنفسهم أن كل الاغتيالات التى كانت تحدث بصفة يومية لم تحقق أهدافها . . بل إنها ساعدت على تخلف المجتمع المصرى طوال العصور الوسطى . .فكيف لهم أن ينتظروا لها نجاحا فى العصر الحديث الذى أصبحت فيه مصر قوة إقليمية سياسيا واجتماعيا واستراتيجيا يعمل لها حسابها بين دول العالم . . إن قوة مصر هذه تساوى فى المقدار درجة الاستقرار الموجودة

بداخلها . . وبالتالى فلا يمكن عمليا للقتلة أن ينتظروا أن تتحقق أهدافهم . . ومع ذلك ولأنهم لا يقرأون ولا يتعلمون ولا يتفقهون ، علينا أن ندرس الأسباب التى تقف وراء اتجاههم للقيام بالقتل .

إن هناك قسمين أساسيين للأسباب . . القسم الأول وهو الأسباب الدافعة ، والقسم الثانى هو الأسباب المهيئة للاغتيال ، وفيما يلى شرح تفصيلى لكل قسم .

أولا : الأسباب الدافعة للاغتيال السياسى :

١ - التضخيم من انعكاسات المشاكل فى المجتمع . . حيث أن عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية يصاحبها عادة بعض السلبيات ، ويحدث ذلك فى كل المجتمعات الدولية المعاصرة . . فعمليات التنمية فى المجتمعات الرأسمالية يصاحبها عادة ظهور قدر من البطالة والفقر وازدياد أعداد الجرائم والانحرافات الأخلاقية . وبالرغم من المساعدات الاجتماعية من قبل الدول الرأسمالية تجاه الفقراء إلا أن هناك حدًّا دائماً لقدرة الحكومات أو الأغنياء على الأخذ بيد الفقراء . . فطبيعة النظام الرأسمالى نفسه بها هذا الخلل . . ومن يسافر إلى الولايات المتحدة يرى مظاهر الفقر وخاصة فى المدن الكبرى المزدحمة . . ومع ذلك فالمجتمع يسير كله نحو التقدم والازدهار ، ولم نسمع عن وقوع اغتيالات يقوم بها مشرد أو فقير أو عاطل عن العمل لأنه هو نفسه قبل عن طيب خاطر وجوده وبقاءه فى بلده .

وإذا كان هذا الحال فى المجتمعات الرأسمالية فإن الصورة تتكرر فى المجتمعات الاشتراكية (سابقا) . . فالمجتمع ينمو ويتطور علميا وصناعيا ولكن هناك - القيود المفروضة على حريات الأفراد وتعبيرهم عن آرائهم . . ان المواطن فى الدول الاشتراكية لا يستطيع أن يخرج من بلده للسياحة أو العلاج أو لزيارة أهله أو أصدقائه الذين يعيشون فى مجتمعات أجنبية ، ومع ذلك فلم نسمع أن هناك اغتيالات تحدث لرؤساء هذه الدول .

لقد عرفت العديد من دول العالم المتقدمة أن جرائم الاغتيالات السياسية لا تفيد ، ولذلك فإن شعوب هذه الدول تنعم بالاستقرار والرخاء .

وفى مصر - كدولة تسعى للتقدم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية هناك مشاكل اقتصادية واجتماعية تشتد أحيانا وتخف أحيانا ، ومع ذلك فإن هناك أفرادا لا

يفهمون أن نظرية التطور يصاحبها مشاكل . . فهم يريدون مجتمعاً إنسانياً بلا مشاكل (؟) ولهذا فهم يستغلون وجود سلبيات عمليات التنمية كمبرر لأعمالهم غير القانونية .

٢ - وجود قوى ضغط رافضة فى المجتمع . . وقوى الضغط هذه ربما تكون قوى حزبية أو قوى اقتصادية أو قوى نقابية . . وهى قوى شرعية أى أن الدستور وقانون البلاد يسمح بتأسيسها ووجودها . ولكن هذه القوى ليست فى كل الأحول قوى متضامنة مع الخط الرسمى أو الشعبى ولكنها تقوم بصفة مستمرة أو بصفة مؤقتة بنقد السياسات الاقتصادية أو الاجتماعية التى تمارسها الحكومة . . وهى بأسلوبها هذا قد تتخطى الكثير مما هو قائم من توازن فى القيم أو الفكر السياسى . ولهذا فهى تنحى تجاه الرفض الصريح وتأخذ فى مهاجمة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مما يشجع بدون شك على عدم الاستقرار المطلوب للتنمية . وإذا كان أفراد المجتمع ينظرون إلى هذه الجماعات الضاغطة نظرة رفض أو امتعاض أو نظرة تجاهل محايد فإن المجرمين السياسيين ينظرون لها على أساس آخر . . فهم ينظرون لها على أساس أنها تعطيهم تأييدها غير المعلن لممارسة أعمالهم غير الشرعية .

٣ - وجود قدر واضح من الإشاعات وتصديقها ، وأغلبها إشاعات غير موضوعية عن انحرافات موظفين رسميين بالدولة وعن رشاوى يتقاضونها أو تزوير فى أوراق - رسمية يقومون بها . . . الخ ، والحقيقة أن الإشاعات ظاهرة موجودة لدى البعض من المصريين لأسباب عديدة ، فهم يميلون إلى تصديق ما يقترب من عواطفهم وخيالاتهم . . وهم كأفراد يميلون إلى أن يكونوا عاطفيين أكثر من أن يكونوا عمليين وهذا يسبب الكثير من المشاكل فى حياتهم سرعان ما يسقطوها على الآخرين لأنهم لا يستطيعون أن يرجعوها إلى أنفسهم سواء لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا موضوعيين بما فيه الكفاية أو لأنهم يؤمنون بالغيبيات وقدرتها على أن تتحكم فيهم وفى مستقبلهم . ولهذا فان رد الفعل الأول لدى البعض هو تصديق الإشاعة وفى الحقيقة فإن الكثير من وسائل الإعلام والإعلان تستطيع أن تلعب دوراً أكثر أهمية فى توعية الأفراد وتثقيفهم . . كما أن خطباء المساجد يستطيعون أن يقوموا بدور هام أكثر من الدور الذى يقومون

به الآن . . وكذلك الحال لدى المدرسين فى المدارس ، والشخصيات الشعبية فى الأحياء السكنية .

٤ ـ وجود قوى خارجية معادية لمصر سواء أكان ذلك يعود إلى الغيرة من وضع مصر ووزنها المحلى والدولى أم يعود إلى رغبة هؤلاء الأعداء فى تعكير صفو الاستقرار السياسى والاجتماعى الذى تعيشه مصر . . فبدلا من أن تقوم هذه الدول من إرسال الوفود الرسمية الى مصر لتصفية الاختلافات أو المشاكل وفقا للأعراف القانونية الدولية فإنها تعمل فى الخفاء بدافع الحقد والكراهية لزعزعة الاستقرار وتعطيل خطط التنمية ، بدافع الابتزاز السياسى أو الاقتصادى .

ثانيا : الأسباب المهيئة للاغتيال السياسى :

إن الأسباب المهيئة لظهور الاغتيال السياسى فى مصر هى الأسباب التى تُكون روح التمرد والعصيان والجهل والاندفاع نحو الجريمة بكل صنوفها فى نفوس بعض الأفراد وهى عندما تتكون فى هذا الفرد فإنه يكون ضعيفا وغير متوازن ومهيًئا لكى يقع تحت تأثير (الأسباب الدافعة) التى سبق شرحها . ولهذا فهى فى غاية الأهمية عند محاولة دراستنا لأسباب الاغتيال السياسى فى مصر فى العصر الحديث .

١ ـ دور الأسرة فى تربية الأبناء : حيث يشكل أسلوب تربية الآباء والأمهات فى مصر لأطفالهم واحدة من أهم صور بناء الأجيال فإذا جنح الآباء أو الأمهات (أو كليهما معا) بسفينة الأسرة غرق الأبناء فى بحور مجتمع به من صور التباين التى تضغط على ضعاف التربية فى اتجاه الانحراف . . وإذا ما استقام الآباء والأمهات شب أبناؤهم عادة أقوياء أصحاء متزنين عقليا واجتماعيا . بمعنى أن الشجرة القوية تصبح قوية حتى أمام رياح عاصفة هوجاء تستطيع أن تطيح بالأشجار الضعيفة الأسس والبنيان . أما إذا كانت الشجرة مريضة لم يهتم بزرعها ورعايتها ونموها صاحبها المهمل شبت لتكون فريسة سهلة للعفن والسوس والنخر والموت حتى بدون أن تهب عليها العواصف من اليمين أو الشمال .

ولقد بدا واضحا لكل باحث اجتماعى تقريبا الآن أن البنيان الأسرى فى مصر يتغير الى الأسوء ، مما أحدث خللا فى البنيان الخاص بالحياة الاجتماعية بين الأفراد فسقطت قيم نبيلة أمام غباء عدد وافر من الآباء والأمهات تصوروا أن تساهلهم اللامحدود أو قسوتهم اللامحدودة وعجزهم عن ضرب المثل والقدوة الصالحة لأبنائهم سوف يساعدهم على اختيار مناهج حياتهم فى المستقبل بنجاح ، ولكنهم اكتشفوا ـ أو ربما لم يستطيعوا إلى الآن ـ أن أبنائهم قد انحرفوا ولا سبيل إلى الإصلاح ، فالرفاق أقوى تأثيراً من الآباء حتى فى سن كان من المحتم أن يكون إشراف الآباء وسيطرتهم على أهم جوانب سلوك الأبناء كاملا . . لقد رأى الباحثون الاجتماعيون هذا بطبيعة الحال منذ سنوات عديدة وحذروا منه مراراً وتكراراً فى كل مناسبة وشاركهم فى ذلك الفلاسفة والأدباء والمفكرون إلا أن الانحرافات فى ازدياد مستمر نتيجة لأن النظام الأسرى الوالدى فى مصر الآن أصبح ضعيفاً لأنه فقد الثقة فى ذاته فانحرف الصغار فى سن صغير وذلك لانحراف الآباء عن أسس التربية والرعاية الناضجة الواعية الرشيدة ، فكل جنحة أو جناية أو جريمة ترتكب يكون وراءها خطأ تربوى من الأسرة وفى كل حالة يحدث فيها قتل أو سرقة أو تهريب أو إدمان مخدرات أو اغتصاب سيدة أو فتاة يكون هناك غياب لدور الآباء والأمهات فى التوجيه والاهتمام والإشراف الحازم العطوف . إنهم لم يستطيعوا تعليم أولادهم النظام والقانون وحقوق الآخرين والمثل العليا والتفكير العلمى واحترام الغير وصون حقوقهم وممتلكاتهم . . بل تركوهم ينقمون على حياة الأسرة ، فخرجوا إلى الشوارع ليكونوا مجموعات وعصابات وقعت ضحية لكل أنواع الأعمال المنافية للقانون والعرف والقيم .

٢ ـ دور المدرسة فى تربية وتعليم الأبناء . . . ويأتى دور المدرسة فى المرتبة الثانية بعد الأسرة فى تربية وتهذيب وتعليم الأبناء . وهنا يمكن توقع أربعة اتجاهات : الاتجاه الأول وهو أن تكون الأسرة قوية والمدرسة قوية فينتج ابناء اقوياء يشكلون مواطنين صالحين . والاتجاه الثانى أن تكون الأسرة ضعيفة والمدرسة قوية فيكون هناك صعوبة لدى المدرسة فى تقويم اعوجاج الأبناء . والاتجاه الثالث أن تكون الأسرة قوية والمدرسة ضعيفة فيحدث صعوبة فى التكيف لدى الأبناء مع المدرسة ويجدر على الآباء أن يقوموا بإبعاد أبنائهم

عنها . والاتجاه الرابع أن تكون الأسرة ضعيفة والمدرسة ضعيفة فيحدث انحراف الأبناء ليقعوا عند الكبر ضحايا لكل أنواع الانحرافات ويقوموا بارتكاب الأعمال غير القانونية .

٣ - دور الحى والجيرة والرفاق : ان دور الحى والجيرة فى تشكيل سلوكيات الأفراد وعقائدهم الأخلاقية واتجاهاتهم الاجتماعية يعتبر فى غاية الأهمية . فالحى هو الوطن الصغير الذى تتشكل فى أنحائه العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة والمدرسة وأهمية الحى تعود إلى أنها تشكل ما يصح تسميته (بالعقل الجمعى) أى ذلك العقل الذى يسير به الأفراد الذين يعيشون فى ذلك الحى . . أو بمعنى آخر مجموعة الأفكار والمعتقدات والسلوكيات التى تنظم نوع الحياة الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية فى ذلك الحى (أو تلك القرية) . وكلما رسخت وقويت القوة البنائية لهذا الحى كلما أمكننا القول أن الأفراد فيه يسلكون كما كانت تسلك القبائل القديمة دون أخذهم فى الاعتبار كثيرا من المجتمع الكبير بما يمثله من انتماء أوسع ومجموعة قوانين مدنية وجنائية . . فقانون أو عرف المجتمع المحلى يبدو أنه أقوى فى بعض الأحيان من قانون الدولة ذاته . . ففى كثير من قرى مصر المنتشرة فى الصعيد هناك عادة الأخذ بالثأر . . ولا يمكن أن يتم اقناع أسرة أحد الضحايا بأن الدولة ستطبق القانون على القاتل . . فهم يعتقدون أن الجريمة التى وجهت ضدهم لا يمكن لأحد غيرهم أن يقوم بالأخذ بالثأر عنها .

. . ولهذا فهم يتربصون بالقاتل أو بأفراد عائلته ، وربما تمضى سنوات عدة قبل أن يقوموا بالانتقام . إن مثل هذه الأعمال وغيرها (مثل تجارة المخدرات أو زراعة اشجارها أو الاتجار فى السلاح) كلها أعمال غير شرعية يعاقب القائم بها وفق القانون . . ومع ذلك فهناك دائما من يقوم بها . . وقد تناول علم النفس ، وكذلك علم الاجتماع ظاهرة الافراد الذين لا يعيرون لقوانين المجتمع احتراما وطاعة ، فوصفهم علم النفس بالسيكوباتيين Psychopath ، ووصفهم علم الاجتماع بالسوسيوباتيين Sosiopath ، والاختلاف فى المسميين يعود إلى أن المصطلح الأول يشير إلى أن الفرد يعتبر مضادا للمجتمع لأسباب نفسية ، بينما يعود المصطلح الثانى إلى أن الفرد يعتبر مضادا للمجتمع لأسباب اجتماعية ،

وبغض النظر عن هذه المسميات ، يمكن القول : إن الفرد الذى يسلك سلوكا ضد نظم المجتمع وقوانينه وسياساته هو شخص يمكن وصفه باللغة المصرية الدارجة بلفظ (الفتوة) . . فهو تعلم أن تسير كل الأمور وفقا لمبادئه وأفكاره مهما كانت بدائية متخلفة ومهما كانت غير معقولة وأنانية . لقد تعلم أن يحصل على ما يريد دون اعتبار لمشاعر الآخرين . . ووضع نفسه بالتدريج قائداً للقرية أو للحى الشعبى الذى يعيش فيه . . واستطاع أن يجمع حوله عدداً من البدائيين المتخلفين الذين يؤمنون بمبدأ القوة والعنف ويواجهون كل تدخل فى أعمالهم وتصرفاتهم ولهوهم وفسادهم وانحرافهم . . ولما كان هناك الكثير من الشباب الذين خرجوا من أسر مفككة ولم يتعلموا شيئا من المدارس التى دخلوها لضعف مستوى وكفاءة المدرسين بها فإن شخصية (الفتوة) ومن معه تستقطبهم ، فيقعون فريسة لمبدأ عبادة القوة ، تماما كما يحدث فى القبائل البدائية التى يحكى عنها علماء الانثروبولوجى . وربما يبدأ عبادتهم لهذه الشخصية باغرائهم بالمخدرات أو بتشجيعها لهم لمطاردة النساء أو الاتجار فى المخدرات أو بسرقة المنازل أو بالتزوير وقبول الرشاوى أو بحيل النصب على المسالمين . . ولكنهم سرعان ما يصبحون هم أنفسهم عنصراً فوضوياً فى المجتمع يقومون فعلا بأعمال الإجرام السياسى أو يشجعون غيرهم من المنحرفين لارتكاب الجرائم السياسية .

مستقبل الجماعات السياسية المسلحة فى مصر :

أرى أنه يجب أن يكون واضحاً للجماعات المسلحة التى تقتل من تشاء وكذلك لجميع أفرادها ، أو من يود الانضمام إليها أن هذه الجماعات بأيديولوجيتها وتسليحها وأسلوبها فى التعامل مع المجتمع وأفراده ، وتكوينها البنائى مقضى عليها بالفشل فى كل المناسبات . . . فهم موضوعياً وعملياً من الناحية السياسية والتاريخية لن يصلوا إلى فرض أفكارهم فى حكم البلاد وهذا للأسباب الآتية :

١ ـ طالما بقيت هذه الجماعات المسلحة غير شرعية لاعتناقها الأيديولوجيات الفكرية التى تعتمد على العنف المسلح فى تحقيق الأهداف فإنها لن تصل الى التأثير على بنيان المجتمع المصرى .

٢ ـ أن مصر مجتمع آخذ فى التطور السياسى كل يوم ، وهذه حقيقة ملموسة

للجميع بدون شك ، والقيادة الحالية تعمل بحرص شديد (أحيانا كحرص علماء الكيمياء فى المعامل) على جعل التوازن السياسى والاجتماعى قائماً على أقوى الأسس باستمرار .

٣ ـ ان التيار الدينى غير المسلح يرفض تماماً الأفكار التى تستخدم السلاح بدلا من الحجج العقلية والحكمة فى التعامل السياسى . وبهذا فإن التيار الدينى غير المسلح وهو الأكبر والأقوى نضجا وتفهما لنظم وقواعد التطور الاجتماعى والذى يتمتع بالقبول ، سوف يقف ضد هذه الجماعات فى أى وقت من الأوقات .

٤ ـ أن جماعات العنف السياسى الدينى المسلحة على وشك الانقراض فى مصر فجميع أهدافها لم تتحقق حتى الآن مخلفين وراءهم مئات سيقضون حياتهم فى السجون وواضعين أمام كل فرد يحاول أن يحذو حذوهم ستاراً من الظلام الكثيف الممتد بلا نهاية .

٥ ـ أن الديمقراطية الحالية فى مصر ، وإن كانت حديثة النشأة ، إلا أنها حقيقية متطورة بسرعة ، وسوف يأتى وقت تتناوب الأحزب السياسية المعاصرة أو المقبلة قيادة حكم مصر وهنا ستشعر هذه الجماعات المتطرفة غير الشرعية أن أسلوب وطريق الديمقراطية هو الحل الوحيد لأى تطلعات سياسية تريد الظهور فى المجتمع المصرى .

٦ ـ ان هناك حقيقة شعوراً عاماً فى مصر بأن الدين الإسلامى بخير . . فالدولة ترعى كل أسس الإسلام الخمسة وتنشىء المساجد والمدارس والمستشفيات والمعاهد الإسلامية . . والأزهر الشريف موجود بكل ثقله الإسلامى المحلى والعربى والدولى والذى اكتسبه على مدى القرون ، وعلماؤه الأفاضل يمارسون دورهم الرائد فى إنارة عقول وقلوب الناس بقيم الإسلام ومبادئه العظيمة . .

٧ ـ التطور الاقتصادى والاجتماعى فى مصر يتم على نطاق واسع رفض العنف المسلح بكل صوره مهما كان مستخدموه ، وسيحل محل هذا العنف الأساليب المتحضرة والشرعية . وبالتالى تختفى هذه الجماعات ويختفى فكرهم من الساحة السياسية فى مصر ، ويمضى عليهم التاريخ ويطوى صفحتهم إلى

الأبد كحلم مزعج تم علاجه باستئصال مسبباته فى الجذور اللاشعورية للمجتمع المصرى ، ويصبحون كمخلفات التاريخ التى انقرضت .

***

الخاتمة

هذا هو إذن تاريخ الاغتيال السياسى فى مصر ، عرض بالتفصيل فى أهم العصور التاريخية لكى يتسنى للشباب المصرى أن يطلع على الحقائق التاريخية التى يمكن أن تساعد على القاء الضوء على المستقبل فلا يتوه فى سراديب التخمين والأوهام والتكهنات .

لقد حاولت فى ذلك الكتاب أن أثبت صحة حقيقة اجتماعية يعلمها كل باحث اجتماعى وهى أن المصريين شعب مسالم يحترم حياة الآخرين لأن الحياة ملك للخالق القدير وحده .. واستخدمت من أجل إثبات صحة تلك الحقيقة المنهج التاريخى ، فعسى أن ترسخ تلك الحقيقة فى عقول الشباب فيسلكوا فى حياتهم المسلك المشرف الذى يتناسب مع كونهم أعضاء فى مجتمع مسالم يحترم الشرعية والقانون .

إن العنف والتطرف والإجرام السياسى هى وسائل من فقدوا نعمة العقل والبصيرة .. فبمقدار ما يتحرك الإنسان نحو العنف بمقدار ما يبتعد عن فضيلة العقل .. وإذا ضاعت فضيلة العقل فماذا يبقى لدى المرء ليشيد مجتمع الرفاهية .

إن بداية الهداية السياسية للشباب فى مصر هو أن يحترم الدستور والقانون وأن يبتعد عن كل عنف وتطرف .. فالتمسك بالشرعية هو أول المضمون لرفاهية مصر وتقدمها .. فعسى الله أن ينير بنوره تعالى القلوب ، وينجى بفضله وكرمه المخلصين ، وينقذ من يسير وراء الوهم من الزلل فى طريق الضلال .

***



المراجع

أولا : المراجع العربية

١ ـ مجلة (المجال) ـ يناير ١٩٨٦ ـ تصدر عن وكالة الإعلام الأمريكية .

٢ ـ فجر الضمير ـ تأليف جيمس هنرى برستيد ، ترجمة الدكتور سليم حسن ـ مكتبة مصر بالفجالة ـ القاهرة .

٣ ـ مصر الفرعونية ـ تأليف أحمد فخرى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٠ .

٤ ـ الثائر الصامت ـ عبدالعزيز على ـ دار المعارف ١٩٧٦ ـ القاهرة .

٥ ـ تاريخ الفكر المصرى الحديث (من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩) ـ المبحث الأول الخلفية التاريخية ـ الجزء الأول ـ الدكتور لويس عوض ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

٦ ـ فى أعقاب الثورة ـ عبدالرحمن الرافعى ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الأولى ١٩٤٩ مكتبة النهضة ـ القاهرة .

٧ ـ مذكرات فى السياسة المصرية ـ د . محمد حسين هيكل ـ الجزء الثانى ـ مطبعة مصر ـ ١٩٥٣ .

٨ ـ أحزاب وزعماء ـ محمد شوكت التونى المحامى ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠ ـ مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

٩ ـ البحث عن الذات ـ قصة حياتى ـ محمد أنور السادات ـ المكتب المصرى الحديث ـ الطبعة الثالثة ـ أكتوبر ١٩٧٩ .

١٠ ـ مجلة المصور ١٩٨٧/٦/٥ (تصدر عن مؤسسة دار الهلال) .

١١ ـ مجلة المصور ١٩٨٧/٥/١٥ (تصدر عن مؤسسة دار الهلال) .

١٢ ـ مجلة المصور ١٩٨٧/٩/٤ (تصدر عن مؤسسة دار الهلال) .

١٣ ـ مجلة روزاليوسف ١٩٨٨/٢/٢٢ (مؤسسة روزاليوسف) .
١٤ ـ علم الاجتماع السياسى ـ المفاهيم والقضايا ـ الدكتور السيد الحسينى ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠ ـ دار الكتاب للتوزيع ـ القاهرة .
١٥ ـ الإرهاب السياسى ـ بحث فى أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية ـ الدكتور أدونيس العكرة ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣ .
١٦ ـ التحليل النفسى والسلوك الجماعى ـ تأليف سول شيدلنجر ـ ترجمة الدكتور سامى محمود على ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

كذلك يمكن العودة للمراجع التاريخية التالية :

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ لابن تغرى بردى .
- المختار من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ـ تأليف محمد بن أحمد بن اياس الحنفى المصرى ـ مطابع الشعب ١٩٦٠ (١١ جزءاً) .
- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ـ تأليف محمد عبدالله عنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣ ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة ـ دار الرفاعى بالرياض .
- المختار من تاريخ الجبرتى ـ تسعة أجزاء ـ كتاب الشعب ـ مطابع الشعب ١٩٥٩ .
- ابن الأثير ـ الكامل فى التاريخ ـ مطبعة بولاق بالقاهرة ١٣٥٧هـ .

ثانيا : المراجع الأجنبية

1- The Encyclopedia Americana- Intenational Edition 1988- Volume 2- Printed In The U.S.A.
2- The World Book Encyclopedia- Volume 1- 1988- Printed In The U.S.A.
3- The World Almanac & Book of Facts, 1990, Newspaper Enterprise Association, Inc. U.S.A.
4- U.S. News & World Report- August 16- 1982- Printed In The U.S.A.

***

الفهـرس

الصفحة

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل العاشر :

* * *



رقم الإيداع
١٩٩٢/٤٧٧٨
I.S.B.N
977- 269 - 007 -1

تجهيزات أوفست
جهاد
٢٢ج شارع سنان ـ الزيتون ـ القاهرة .

هـذا الكتـاب

سجلت لنا كتب التاريخ أن مصر شهدت أول حادث للاغتيال السياسى فى تاريخ العالم ..

ثم توالى حدوث ظاهرة الاغتيال السياسى فى معظم المجتمعات البشرية وفى أغلب جهات العالم .. حتى يمكن القول بأن الاغتيال السياسى يعتبر ظاهرة عالمية شائعة .. تحدث فى الدول المتقدمة كما تحدث فى الدول النامية .

ويتناول هذا الكتاب تاريخ ظاهرة الاغتيال السياسى فى مصر منذ بدايته الأولى فى العصور الفرعونية ، ثم فى انتشاره كظاهرة سياسية فى حقبات العصور الوسطى ، ثم حوادثه الشهيرة فى العصر الحديث .

ويستفيض المؤلف فى شرح وقائع الاغتيال فى كل حادثة ، مع بيان أسبابها ودوافعها والظروف التاريخية والسياسية التى أدت إليها ، كما يبين لنا أوجه الحلول للقضاء على تلك الظاهرة أو الحد منها على الأقل ، وذلك بتعاون الجميع على وضع حد حاسم لأعمال العنف السياسى ، وتضافرهم على معالجة أسباب اللجوء إلى هذا العنف ، قبل أن تستشرى وتصل إلى مرحلة الاغتيال .. وهى مرحلة بغيضة فى جميع الأحوال ..

« الناشر »



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO